دانيال فرانسيس جالاوي

سميولكرون-٣

ترجمة ياسمين العربي

سميولكرون-٣

تأليف
دانيال فرانسيس جالاوي

ترجمة
ياسمين العربي

مراجعة
هبة عبد المولى أحمد

هنـــداوي

سميولكرون-٣

دانيال فرانسيس جالاوي

Simulacron-3

Daniel F. Galouye

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شيبت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٣ ٣٣٨٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر الكتاب الأصلي باللغة الإنجليزية عام ١٩٦٤.
صدرت هذه الترجمة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بالترجمة العربية لنص هذا الكتاب محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة للكاتب دانيال جالاوي، عناية سبكترم ليتراري أجنسي.

Copyright © 1964 Daniel Galouye.

المحتويات

الفصل الأول	٧
الفصل الثاني	١٧
الفصل الثالث	٢٧
الفصل الرابع	٣٧
الفصل الخامس	٤٩
الفصل السادس	٦١
الفصل السابع	٦٩
الفصل الثامن	٧٩
الفصل التاسع	٨٧
الفصل العاشر	٩٧
الفصل الحادي عشر	١٠٧
الفصل الثاني عشر	١١٥
الفصل الثالث عشر	١٢٥
الفصل الرابع عشر	١٣٥
الفصل الخامس عشر	١٤٥
الفصل السادس عشر	١٥٥
الفصل السابع عشر	١٦٥
الفصل الثامن عشر	١٧٥

الفصل الأول

كان واضحًا منذ البداية أنَّ فعاليات الأُمسية لم تكن لتنتقصَ مثقالَ ذرةٍ من سُمعة هوراس بي سيسكين كمُضيفٍ استثنائي.

بالنظر إلى العرض الثلاثي لـ «فوهة تيخو القمرية للألعاب البهلونانية» وحده، فقد قدَّم سيسكين العرضَ الأروع لهذا العام. ولكن بدا جليًّا أنه حازَ مستوًى جديدًا تمامًا من التميُّز، عندما كشفَ عن أول حَجَرٍ منوِّم من منطقة «سيرتس ميجور» في المريخ.

ولكن في رأيي أنَّ العرضَ الثلاثي والحَجَر المنوِّم قد تراجَعا إلى مستوًى عادي قبل انتهاء الحفل، على الرغم مما تميَّزا به من جوانبَ شائقة. وذلك لأنني واثقٌ من أنه ما من شيءٍ أغرب من رؤية رجلٍ يختفي في لَمح البصر.

ولم يكن هذا جزءًا من العَرض بالمناسبة.

ولكي ندرك حجمَ ما أظهره سيسكين من إسرافٍ مُغالًى فيه، تجدر الإشارة إلى أنَّ الخدع التي كان يؤديها مقدِّمو عرض «فوهة تيخو القمرية» الثلاثي؛ قد استلزمت جاذبيةً معادِلة لجاذبية القمر. وقد طَغت المنصة المضادة للجاذبية، بهيئتها الضخمة غير المألوفة، على المكان الفاخر في إحدى الغرف بجناح السقيفة، بينما ازدحمت الحديقةُ العلوية بالخارج بمولِّداتها.

أما عرضُ الحَجَر المنوِّم، فقد كان عرضًا متكامِلًا في حد ذاته، اكتملَ بحضور طبيبَيْن. شاهدتُ أحداث العرض بفتور دون أدنى فكرة عن التطوُّرات الغريبة التي كانت تحملها لي تلك الأمسية لاحقًا.

كانت هناك شابَّةٌ سمراء نحيفة، اغرورقت عيناها الداكنتان الثاقبتان وفاضتا بالدموع، عندما غمرَ أحدُ أوجُه الحَجَر وجهَها بظلالٍ خفيفة باللون اللازوردي.

بحركةٍ غاية في البطء، دارت البِلَّورة على منضدتها الدوَّارة مُرسِلةً أشعةً من الضوء المتعدِّد الألوان الذي اجتاحَ الغرفة المُظلِمة، آخذةً شكلَ أصابع عجلة كبيرة. توقَّفت الحركة الشعاعية، وسقط شعاعٌ قرمزي على الوجه الذي بَدت عليه بعضُ أمارات الحَذر لشريك عملٍ كبير السن من شركاء سيسكين.

جاءَ ردُّ فعله على الفور قائلًا: «كلَّا! لم أُدخِّن قط في حياتي! ولن أُدخِّن الآن!»

ملأَ الضحكُ أرجاءَ الغرفة، واستأنفَ الحَجَر دورانه.

تسلَّلتُ عبر السجاد الوثير إلى مَنْفذ المرطِّبات؛ ربما بدافع الخوف من أن أكون الضحية التالية.

عندما وصلتُ إلى طاولة الشراب، طلبتُ من الساقي الآلي شرابَ سكوتش أستروايد، ووقفتُ أُحدِّق عبر النافذة في المدينة المتلألئة بالأسفل.

«هلَّا تطلب لي كأسًا من شراب البوربون والماء يا دوج؟» كان ذلك سيسكين. وقد بدا حجمُه في الضوء الخافت ضئيلًا للغاية. تعجَّبتُ من التناقض الذي اعترى مظهرَه عندما شاهدتُه يقترب. فلم يكن طوله يتعدَّى خمسَ أقدام وثلاثَ بوصات، بينما أَقدَم واثقَ الخُطى بخيلاء العمالقة، الذين كان منهم في واقع الأمر بالنظر إلى حجم ثروته. كان ذا رأسٍ كثيف الشعر، لا يخطُّه الشيبُ إلا في خصلاتٍ قليلة، لا تبدو عليه السنواتُ الأربع والستون من عمره، وكذلك كان وجهُه الذي خَلا من التجاعيد، وعيناه الرماديتان اللتان تشعَّان بالحماس والنشاط.

أجبتُه مؤكِّدًا بفتورٍ وأنا أُدخِل طلبه على الآلة: «كأسٌ من البوربون والماء في الطريق إليك.»

اتكأ مُسنِدًا ظهره إلى طاولة الشراب. وقال بنبرة تُوحي بالصلافة: «لا يبدو أنَّ الحفل يُعجبك.»

لكنني التزمتُ الصمت ولم أُعقِّب.

أسندَ قدمَه التي كان يرتدي فيها حذاءً مقاسه خمسة على مسند الكرسي الجالِس عليه. وقال مازحًا بعضَ الشيء: «لقد كلَّفني هذا الحفلُ الكبير الكثيرَ من المال. وهذا كلُّه من أجلك. ظننتُك ستُظهِر بعضَ الامتنان.»

وصل شرابُه وناولتُه إياه. وسألتُه قائلًا: «أهذا كلُّه من أجلي؟»

فردَّ قائلًا: «حسنًا، ليس كله.» وضحكَ ثم أردفَ: «لا بد لي أن أعترفَ أن للأمر أغراضَه الترويجية.»

«فهمتُ. لقد لاحظتُ بالفعل تمثيلًا جيدًا للصحافة وشبكات الإعلام.»

«ليس لديك اعتراض، أليس كذلك؟ شيءٌ كهذا من شأنه أن يمثِّل حفلَ توديع لائق لشركة ريأكشنز المحدودة.»

تناولتُ شرابي من فتحة الاستلام وتجرَّعت نصفَه. ثم قلتُ: «شركة رين ليست بحاجة إلى حفل توديع. فستصبح قويةً دون مساعدة من أحد.»

انتابَ سيسكين بعضُ الغضب، كما ينتابه عادةً عندما يشعر بمعارضة من أحد ولو كانت مجرد تلميح. «أنا معجبٌ بك يا هُول. وأتوقعُ لك مستقبلًا حافلًا بأي حال، ليس فقط في شركة رين، ولكن ربما في بعض شركاتي الأخرى. ولكن ...»

«إنني لست مهتمًّا بأي شيءٍ آخر غير شركة ريأكشنز.»

قاطعه قائلًا في حزم: «ولكن، في الوقت الحالي، تقتصر مساهمتُك بالأساس على الجانب التقني. فالزم العملَ على إدارة تصميمك واترك أيَّ شيءٍ آخر لمسئولي الترويج.»

تناولنا شرابنا في صمت.

ثم أدارَ الكأس في يده القصيرة. وقال: «أتفهَّمُ بالطبع أنك ربما تكون مستاءً لعدم تمتُّعكَ بحصة في الشركة.»

«لست مهتمًّا بالأسهم. إنني أتقاضى راتبًا جيدًا بما يكفي. كلُّ ما أريده هو أن أُنجِز عملي.»

قال سيسكين وهو يمدد أصابعه في توتر حول كأسه: «كما تعرف، لقد كان الأمر مختلفًا مع هانون فولر. فقد اخترعَ الجهاز، أي: النظام. وقصدني طلبًا للدعم المالي. أسَّسنا الشركة، وكنا ثمانية في واقع الأمر. وحسب الاتفاق، كان نصيبُه ٢٠ بالمائة من الأرباح.»

«أعي كلَّ ذلك بحكم أنني كنت مساعِده على مدى خمس سنوات.» طلبتُ إعادة ملء كأسي من الساقي الآلي.

«إذن ما الذي دفعَ بك للخروج إلى هنا عابسًا؟»

تسلَّلَت انعكاساتٌ من الحَجَر المنوِّم عبر سقف المكان وانتشرتْ على النافذة، فأَعتمَت المدينةُ الساطعة. صرخت امرأةٌ حتى أخمدتْ صرخاتِها الحادةَ موجةٌ من الضحك.

اندفعتُ واقفًا بعدما كنت جالسًا إلى طاولة الشراب، وحدَّقتُ في عينَي سيسكين باحتقار. ثم قلت: «لم يمضِ على موت فولر سوى أسبوع. أشعر وكأني ابن آوى وأنا أحتفل بترقيتي لأحلَّ مكانه.»

التفتُّ لأغادر، ولكن سرعان ما قال سيسكين: «لقد كنتَ ستترقى على أي حال. فقد كان فولر على وشك ترك منصبه كمدير فني. لم يكن يستطيع الصمود تحت ضغط.»

«ليس هذا ما سمعتُ به. فقد قال فولر إنه أصرَّ على منعك من استخدام مُحاكي البيئة الاجتماعية في التوقعات السياسية المحتمَلة.»

انتهى عرضُ الحَجَر المنوِّم، وبدأت الجَلَبة التي كانت حتى ذلك الحين خافتةً عن السمع، تتدفَّق نحو طاولة الشراب حاملةً معها مجموعةً من النساء يرتدين ثيابًا أنيقة، ويلوِّحن بأيديهن بصحبة مُرافِقيهن.

توجَّهَت شابةٌ شقراء في مقدمة الجَمْع نحوي مباشرة. وقبل أن أتمكَّن من الفرار، كانت قد جذبت ذراعي ووضعتها حول صِدارها المُقصَّب بخيوط ذهبية. كانت عيناها تملؤهما الدهشة، وكانت خصلات شعرها المُصفَّف كالصِّبية تَثِب فوق كتفَيها المكشوفتَين.

«ألم يكن الأمر غاية في الروعة يا سيد هُول، ذلك الحَجَر المنوِّم القادم من المريخ؟ هل لك صلة بالأمر؟ أظنك كذلك.»

رمقتُ سيسكين، الذي كان يبتعد لتوِّه خُلسة. ثم تذكَّرتُ أن الفتاة هي إحدى فتيات طاقم السكرتارية الخاص به. أصبحت المناورة واضحة. كانت لا تزال تعمل لديه. كلُّ ما في الأمر أن مهامها الآن أصبحت خارج ساعات العمل، مهام استرضائية، وخارج حدود مؤسسة سيسكين الداخلية.

«لا، لقد كانت فكرة رئيسكِ بالكامل.»

قالت محدِّقة فيه بإعجاب وهو يرحل عنها: «أوه، يا له من رجلٍ مُبتكِر ذكي! عجبًا، فما هو سوى دمية، أليس كذلك؟ دمية صغيرة أنيقة وبضَّة!» حاولتُ الإفلات منها، ولكنها كانت مُدرَّبة جيدًا.

«وماذا عن اختصاصك يا سيد هُول، هل له علاقة بالمُحا ... بالمحاكاة؟»

«اختصاصي هو المحاكاة الإلكترونية.»

«يا له من أمر رائع! ما أفهمه هو أنه عندما تتمكَّن أنت والسيد سيسكين من تشغيل الآلة ... يمكنني أن أطلق عليه مسمى آلة، أليس كذلك؟»

«إنه مُحاكٍ لبيئة كاملة. وقد تمكَّنا أخيرًا من حل مشكلاته التقنية في المحاولة الثالثة. وأسميناه «سميولكرون-٣»؛ أي المُحاكي الإلكتروني-٣.»

«عندما تتمكَّنا من تشغيل المحاكي، فسوف تنتفي الحاجةُ إلى أولئك المتطفِّلين.»

بالطبع كانت تقصد بالمتطفِّلين راصدي ردود الأفعال المعتمَدين، أو «مستطلعي الآراء» كما تشيعُ تسميتهم. وأنا أفضِّلُ التسمية الأخيرة؛ لأنني لا أُنكِر على أحدٍ على الإطلاق

فرصتَه لكسب العيش، حتى وإن كان ذلك يعني تكوين جيشٍ من ... حسنًا، المتطفلين، الذين يرصدون عاداتِ الناسِ اليومية وتصرفاتهم.

قلتُ شارحًا: «ليس في نيتنا تسريحُ أحدٍ من عمله. ولكن عندما يصبح أخذُ عينات الاقتراع آليًّا بالكامل، سيستلزم الأمرُ إجراءَ بعض التعديلات على ممارسات التوظيف.»

تلوَّت بتودُّد أمام ذراعي وقادتني إلى النافذة. «ماذا تنوي يا سيد هُول؟ أخبرني عن ذلك الـ... المحاكي الذي تعمل عليه. ولْتنادِني دوروثي كما يناديني الجميع.»

«ليس لديَّ الكثير لأخبركِ به.»

«أوه، لا تكن متواضعًا. أنا واثقة أنَّ لديك ما تقوله.»

إذا كانت ستمضي قُدمًا في المناورة التي خطَّط لها سيسكين، فلا يوجد ما يمنعني من المناورة أنا أيضًا، بمستوًى أعلى من استيعابها بعضَ الشيء.

«حسنًا، كما تعلمين يا آنسة فورد، نحن نعيش في مجتمع يتَّسم بالتعقيد، ويُفضِّل إبعادَ فرص المخاطرة عن الأعمال التجارية. لذلك، يوجد عدد لا يُحصَى من هيئات استطلاع الآراء. فقبل أن نصنع منتجًا نريد أن نعرف مَن سيشتريه، وبأي كمية، والسعر الذي سيكون المشتري على استعداد لدفعه، ووسائل الجذب التي ستنجح في تغيير المعتقدات، وحجم الفرصة السانحة أمام الحاكم ستون لإعادة الانتخاب، والمنتجات التي يرتفع عليها الطلب، وما إذا كانت العمَّة بيسي ستُفضِّل اللون الأزرق على الوردي في صيحة أزياء الموسم الجديد.»

قاطعتني بضحكة مُجلجِلة. «يختبئ المتطفلون خلف كل شُجيرة.»

أومأتُ موافقًا. وقلت: «هناك وفرة في مستطلعي الآراء. إنهم مزعجون بالطبع. ولكنهم يتمتعون بصفةٍ رسمية بموجب قانون رصد ردود الأفعال.»

«وهل سيقضي السيد سيسكين على كل ذلك ... أعني أنت والسيد سيسكين؟»

«بفضل هانون جيه فولر، وجدنا طريقة أفضل. يمكننا محاكاة بيئة اجتماعية إلكترونيًّا. ويمكننا تزويدها بنظائر لأشخاص عبارة عن وحدات هُوية تفاعلية. ومن خلال التلاعُب بهذه البيئة، عن طريق تحفيز وحدات الهُوية هذه، يمكننا تخمين السلوك على نحو تقديري في ضوء مواقفَ افتراضية.»

غابت عنها ابتسامتها المتلألئة لبرهة؛ ليرتسم على وجهها تعبيرٌ ينمُّ عن الحيرة، ثم عادَت إلى كامل زهوها مجددًا. وقالت: «فهمت.» غير أنه كان من الواضح أنها لم تفهم شيئًا. وقد شجَّعني هذا على مزيد من المناورة.

«المحاكي عبارة عن نموذج كهروريا‌ضي لمجتمع عادي. يتيح الإمكانية لوضع تنبؤاتٍ بالسلوك على المدى الطويل. وتكون هذه التنبؤات أصحَّ من النتائج التي يمكن الحصول عليها، من خلال فريقٍ كاملٍ من مستطلعي الآراء — المتطفلين — الذين يجوبون أرجاءَ المدينة.»

ضحكتْ ضحكة فاترة. وقالت: «بالطبع. عجبًا، لم أتخيَّل قط أن أكون ... دمية، هل تخيَّلت ذلك يومًا يا دوج؟ فلتجلب لنا شرابًا، أيَّ شيء.»

بدافعٍ من إحساس مُضلِّل بعضَ الشيء بالالتزام تجاه مؤسسة سيسكين، ربما كنت سأجلب لها الشراب. ولكن كان هناك أربعة أشخاص مُصطفون أمام طاولة الشراب، وبينما أنا متردِّد هكذا، توجَّه أحدُ رجال الإعلانات بحماسٍ نحو دوروثي.

مشيتُ بارتياح إلى مائدة الطعام. كان بالقرب مني سيسكين، الذي كان يقف على جانبَيه أحد كُتَّاب الأعمدة الصحفية وممثِّل لإحدى الشبكات الإعلامية، وكان يتحدَّث معهما باستفاضةٍ عن أعاجيب محاكي شركة رين الذي سيُعلَن عنه قريبًا.

فاضَ وجهه تهلُّلًا. وقال: «في الواقع، من المحتمَل أن يكون لهذا التطبيق الجديد لتقنية المحاكاة الإلكترونية — وهي عملية سرية كما تعلمون — أثرٌ كبير في ثقافتنا، لدرجة أنه سيجعل مؤسسات سيسكين الأخرى تتوارى إلى الظل أمام شركة ريأكشنز المحدودة.»

طرحَ المذيعُ سؤالًا، وجاءه ردُّ سيسكين على الفور. حيث أجابه قائلًا: «إنَّ المحاكاة الإلكترونية تقنية بدائية مقارنةً بهذا الشيء. فالتنبؤ بالاحتمالات باستخدام الكمبيوتر يقتصر على طريقة واحدة من طرق التحقيق المُحفِّز للاستجابة. بينما محاكي البيئة الكاملة الخاص بشركة رين — الذي نُطلِق عليه «سميولكرون-٣» — سيجيب عن أي سؤال يتعلق بأي رد فعل افتراضي على امتداد السلوك البشري بكل أشكاله.»

كان بالطبع يردِّد كلام فولر. غير أن الكلمات في فم سيسكين كانت مجرد زهو وتفاخُر. أما فولر، على النقيض من ذلك، فكان يؤمن بالمحاكي كما لو كان عقيدة، وليس مجرد مبنًى من ثلاثة طوابق مليء بالدوائر الكهربائية المعقَّدة.

تذكَّرتُ فولر وشعرتُ بالوحدة، وبأنني لست كُفئًا لتحدي المُضي على خُطاه الإدارية. لقد كان رئيسًا متفانيًا في عمله، وفي الوقت نفسه كان صديقًا وَدودًا ومراعيًا لمشاعر أصدقائه. حسنًا، لقد كان غريبَ الأطوار أيضًا. ولكن ذلك لم يكن لشيءٍ إلا لأنَّ هدفه كان بالغَ الأهمية. ربما لم يكن محاكي «سميولكرون-٣» سوى استثمار من وجهة نظر

سيسكين. ولكنه بالنسبة إلى فولر كان طريقًا مثيرًا وواعدًا ستنفتح أبوابه قريبًا على عالَم جديد وأفضل.

لم يكن تحالُفه مع مؤسسة سيسكين سوى وسيلة لتمويل مشروعه. ولكنه كان ينوي دائمًا أنه إلى جانب الأرباح المتعاقد عليها التي سوف يجنيها المحاكي، فإنه سوف يستكشف أيضًا المجالات غير المتوقعة للتفاعل الاجتماعي والعلاقات الإنسانية بصورة كاملة؛ ومن ثَم سيساهم في تكوين مجتمعٍ أكثر تنظيمًا، من أدنى مستوياته إلى أعلاها.

مشيتُ ببطءٍ إلى الباب، وشاهدتُ بطَرْف عيني سيسكين يبتعد عن المراسلين الصحفيين. اجتازَ الغرفة مُسرعًا وحجبَ زر الفتح بيده.

«تفكر في تركنا، أليس كذلك؟»

من الواضح أنه كان يلمِّح إلى احتمالية مغادرتي للحفل. ولكن مهلًا، أكان هذا ما يلمِّح إليه حقًّا؟ تبادَر إلى ذهني أنني كنت مَوردًا لا غنى عنه. أوه، ستواصل رين نجاحها الباهر من دوني. ولكن إذا أراد سيسكين تحقيق أقصى ربح من استثماره، فلا بد لي أن أبقى لتنفيذ التحسينات التي ائتمنني فولر عليها.

في تلك اللحظة، رنَّ الجرسُ وأضاءت شاشة الفيديو أحادية الاتجاه الموجودة على الباب بصورة شخص نحيف حسَن الملبس، يحمل على كُمِّه الأيسر شارة راصد ردود أفعال معتمَد.

ارتفعَ حاجِبا سيسكين في سرور. «إنه أحد المتطفلين، مدهش! سنُنعِش الحفل.» ثم ضغطَ على الزر.

تأرجح الباب وانفتح، وعرَّف المتصلُ نفسَه: «جون كروموبل، راصد ردود أفعال معتمَد رقم ١١٤٦-أ٢. إنني أمثِّل مؤسسة فوستر لاستطلاعات الآراء، بموجب عقد مع لجنة الطرق والوسائل بمجلس النواب.»

نظرَ الرجلُ إلى ما وراء سيسكين، ورأى جموعَ الضيوفِ الذين احتشدوا حول طاولة الشراب والمائدة. بدا نافدَ الصبر ومتوترًا.

تظاهرَ سيسكين بالاعتراض وهو يغمز لي: «يا إلهي! أوشكنا أن نقترب من منتصف الليل!»

«هذا استطلاع رأي ذو أولوية قصوى بتكليف من السلطة التشريعية للبلاد ودعمها. هل أنت السيد هوراس بي سيسكين؟»

«أجل، أنا هو.» طوى سيسكين ذراعَيه، وبدا أقربَ شبهًا إلى ما قالته دوروثي فورد عن كونه يشبه دميةً صغيرة وأنيقة.

قال الآخر، وقد أخرجَ دفترًا من النماذج الرسمية وقلم حبر: «جيد.» ثم أضافَ: «أودُّ أن أعرف رأيك في التوقعات الاقتصادية للسنة المالية القادمة، وكيف ستؤثر على دخل الدولة.»

قال سيسكين مكابرًا: «لن أجيب عن أي أسئلة.»

توقَّف بعض الضيوف عن محادثتهم لمشاهدة ما سيحدث بعد ذلك لعلمهم به. فجاءت ضحكاتهم على ما يترقَّبونه أعلى من همهمة محادثتهم.

قطَّب مستطلعُ الآراء جبينَه. وقال: «بل عليك أن تجيب. فأنت مُستجوَب مُسجَّل رسميًّا، ومُصنَّف في فئة رجال الأعمال.»

إذا كانت طريقته قد بدت رسمية ومُتكلَّفة، فهذا لأنها كذلك بالفعل. وذلك لأن راصدي ردود الأفعال دائمًا ما يرتقون لمستوى الحدث، حيثما تخدم عقود الاستطلاع المَنوطون بها المصلحةَ العامة. أما مسئولو الاقتراعات التجارية العاديون، فليسوا بالقدر نفسه من الرسمية والتكلُّف.

كرَّر سيسكين قائلًا: «ما زلت مُصرًّا على عدم الإجابة. إذا راجعت المادة ٣٢٦ من قانون رصد ردود الأفعال ...»

فقاطعه الآخر بنص المادة: «فسأجد أنه لا يجوز مقاطعة الأنشطة الترفيهية لأغراض الرصد.» ثم استطرد: «غير أن بند الامتيازات لا ينطبق عندما يكون استطلاع الرأي لمصلحة الهيئات العامة.»

ضحكَ سيسكين على تشبُّث الرجل برسميته، وأمسكه من ذراعه وقاده إلى الغرفة. «تعالَ. لنحتسِ شرابًا. وربما أقرِّر بعدها أن أجيب عن استطلاعك.»

انفصلت الدائرة الكهربائية للباب الخاصة بالسماح بالدخول عن السعة الكهروحيوية لمستطلع الآراء، فبدأ الباب في التأرجح وكان على وشك الانغلاق. ولكنه توقَّف وبقي مواربًا للسماح بدخول زائر آخر.

وقفَ الزائرُ الآخر في مكانه برأسه الأصلع ووجهه النحيل يتفحَّص الغرفة، بينما كانت أصابعه مُشبَّكةً وتهتز بلا هوادة. لم يكن قد رآني بعدُ؛ لأنني كنت خلف الباب أشاهده عبر شاشة الفيديو.

خطوتُ أمامه وجَفَل.

صرختُ: «لينش! أين كنت خلال الأسبوع الماضي؟»

كان مورتون لينش مسئولًا عن الأمن الداخلي في شركة رين. وكان في الآونة الأخيرة يعمل في مناوبةٍ ليلية، وأصبح مقرَّبًا للغاية من هانون فولر، الذي كان يُفضِّل هو الآخر العمل ليلًا.

همسَ بصوتٍ أجشَّ وعيناه تحدِّقان في عينيَّ: «هُول! لا بد أن أتحدَّث إليك! يا إلهي، لا بد أن أتحدث إلى أحد!»

أدخلتُه. لقد اختفى مرتَين في السابق، ليعود بعد ذلك منهَكًا ومستنفَدًا عقب انغماسه في محاكاة دماغية إلكترونية لمدة أسبوع. خلال الأيام القليلة الماضية، كانت هناك تكهناتٌ حول ما إذا كان غيابُه ردَّ فعل حزينًا على وفاة فولر، أو ما إذا كان مختبئًا في إحدى حُجرات التحفيز الكهربائي للدماغ. أوه، لم يكن مُدمنًا. وحتى الآن كان واضحًا أنه لم يُسرِف في استخدام تيارات المحاكاة التي تعمل على القشرة الدماغية.

قُدتُه خارجًا إلى الحديقة العلوية حيث لا يوجد أحدٌ بالمرة. وسألتُه: «هل الأمر بخصوص حادث فولر؟»

انتحبَ منهارًا على كرسيٍّ شبكي النقش وقد دسَّ وجهه بين يدَيه: «أوه، نعم! لكنه لم يكن حادثًا!»

«إذن مَن قتله؟ كيف ...»

«لا أحد.»

«لكن ...»

هنا أصدرَ الصاروخُ القمري هديرًا مُدوِّيًا باتجاه الجنوب، وراء الأضواء المتلألئة التي تنتشر مثل بِساطٍ من سطوع متناسق بعيدًا في الأسفل، وغطَّى المدينةَ بانعكاساتٍ قرمزية أثناء تحرُّكه متثاقلًا نحو الفضاء.

عندما انطلقَ الصوت مدويًا، كاد لينش يقفز عن كرسيه. أمسكتُ بكتفَيه وثبَّته محاولًا تهدئته. «انتظر هنا. سأحضر لك شرابًا.»

وعندما رجعتُ بشراب البوربون الصافي، تجرَّعه دفعةً واحدة وترك الكأس يسقط من يده.

استأنفَ كلامه وقد هدأ ارتعاشه بعضَ الشيء: «كلَّا. فولر لم يُقتَل. ما حدث له أسوأ بكثير من أن يُوصَف بكونه قتلًا.»

قلت له ما أتذكره عن الحادث: «لقد اصطدم بسلك عالي الجهد. كان ذلك في وقتٍ متأخر من الليل. وكان منهَكًا. هل رأيتَ الحادث؟»

«لا. لقد تجاذبتُ معه أطراف الحديث قبل ثلاث ساعاتٍ من موته. ظننتُه مجنونًا بسبب ما أخبرني به. قال إنه لا يريد أن يورِّطني في الأمر، ولكن كان عليه أن يخبر أحدًا. كنتَ لا تزال في إجازتك. ثم ... ثم ...»

«ثم ماذا؟»

«ثم أخبرني أنه يعتقد أنه سيُقتَل؛ لأنه قرَّر عدم الإبقاء على الأمر سرًّا بعد الآن.»

«أيُّ سر؟»

لكن لينش كان متوترًا للغاية لدرجةٍ لا يمكن معها مقاطعته. «وقال إنه إذا اختفى أو مات، يجب أن أعرف أن الأمر لم يكن حادثًا.»

«ماذا كان هذا السر؟»

«ولكني لم أستطع أن أخبر أحدًا، ولا حتى أنت. لأنه إذا كان ما قاله صحيحًا ... حسنًا، أظن أنني قضيتُ الأسبوع الماضي أفكِّرُ وأحاول أن أقرر ما ينبغي فعله.»

تعالت فجأة في الحديقة النغماتُ المتنافرة للحفل التي كانت خافتة وراء الأبواب المغلقة حتى ذلك الحين.

«أوه، ها أنت ذا يا دوج العزيز!»

اختلستُ النظر سريعًا لألمح ظِل دوروثي فورد عند المدخل، ووجدتُها تتمايل من أثر الإسراف في الشراب. أؤكِّد على عبارة «اختلستُ النظر» للإشارة إلى أن عينيَّ لم تبرحا مورتون لينش لأكثر من عُشر ثانية.

لكني عندما أرجعتُ النظر إلى الكرسي وجدتُه شاغرًا.

الفصل الثاني

بحلول ظهيرة اليوم التالي، كانت جهود سيسكين الترويجية تؤتي ثمارها. بقدر ما استطعت التأكُّد منه، قدَّم برنامجا فيديو صباحيان تعليقًا «داخليًّا» على التطور الوشيك في مجال المحاكاة الإلكترونية. وتضمَّنت الطبعاتُ الأولى من الصحف المسائية ثلاث المقالات في صفحاتها الأولى حول شركة ريأكشنز المحدودة، ومحاكي البيئة الكاملة «المذهل» الذي أنتجته «سميولكرون-٣».

غير أنني لم أجد شيئًا عن اختفاء مورتون لينش إلا في موضع واحد. فقد اختتم ستان والترز عموده في صحيفة «إيفيننج بريس» بالفقرة التالية:

> يبدو أن الشرطة اليوم مهتمة، وإن كان ظاهريًّا فحسب، بما ورد إليها عن «اختفاء» شخصٍ يُدعَى مورتون لينش، مسئول الأمن الداخلي في شركة ريأكشنز المحدودة، المنشأة الأسطورية الجديدة لقطب الأعمال هوراس بي سيسكين. ولكننا نراهن على أن البحث في هذه القضية لن يقضَّ مضاجعهم لوقت طويل. يقول المُدَّعي إن لينش «اختفى» فجأة. يُفترَض أن الأمر برُمَّته قد حدث البارحة في حفل سيسكين بالطابق العلوي. والجميع يعلم أن أشياء أكثر دهشة تحدث في حفلات سيسكين الكبيرة.

كنت قد ذهبتُ بالطبع إلى مقر الشرطة وأدليتُ بأقوالي. ما الذي كان بوسعي أن أفعله غير ذلك؟ فاختفاء رجل على هذا النحو المفاجئ ليس بالشيء الذي يمكنك ببساطة تجاهله ونسيانه.

رنَّ جرسُ جهاز الاتصال الداخلي على مكتبي، لكنني تجاهلتُه متابعًا سيارة طائرة تهبط في منطقة الهبوط المركزية بالشارع. بعدما استقرت السيارة الطائرة على مستوى

تحويم ست بوصاتٍ مالت عبر الطريق حتى توقفت أمام حافة الرصيف. نزلَ منها سريعًا اثنا عشر رجلًا يحملون شارات راصدي ردود الأفعال المعتمَدين.

وزَّعوا أنفسهم على مسافاتٍ فوق الرصيف أمام مبنى شركة رين، وحملوا لافتاتٍ مكتوبًا عليها الآتي:

شركات سيسكين تهدِّدنا
بطالة جماعية!
اضطراب اجتماعي!
فوضى اقتصادية!

رابطة راصدي ردود الأفعال

كانت هذه هي الاستجابة الفورية الأولى للتوقع المرتقَب بتخفيض العمالة في أول تطبيق واسع النطاق للمحاكاة الإلكترونية. ولم يكن هذا بالأمر الجديد. فقد شهد العالم من قبلُ صدماتٍ مماثلة، خلال الثورة الصناعية عند التحوُّل إلى استخدام الآلات.

رنَّ جرس جهاز الاتصال بمزيد من الإصرار، وأدرتُ المفتاح. ظهر وجه الآنسة بويكينز على الشاشة، وقد بدت عليه أمارات القلق ونفاد الصبر. «السيد سيسكين هنا!»

طلبتُ من موظفة الاستقبال السماح له بالدخول متعجبًا بحقٍّ من زيارته.

لكنه لم يكن وحده. هذا حسب ما وسعني رؤيته عبر الشاشة. في الخلفية بجانب الآنسة بويكينز، كان الملازم ماكباين من إدارة المفقودين، والنقيب فرانستوك من مكتب جرائم القتل. كلاهما كان هنا في وقت سابق من صباح اليوم.

اقتحمَ سيسكين المكتب يتأجَّج غضبًا. وكانت يداه مشدودتَين في قبضتَين ضئيلتَين وهو يخطو إلى الأمام.

انحنى فوق مكتبي. وقال: «ما الذي تحاول فعله بحق الجحيم يا هُول؟ ما كل هذه الجَلَبة حول لينش وفولر؟»

نهضتُ عن مكتبي احترامًا. وأجبتُه: «لقد أخبرت الشرطة بما حدث فحسب.»

«حسنًا، هذا غباء، وأنت تجعل نفسك وتجعل المؤسسة بأكملها موضع سخرية!»

استدار ليقف وراء المكتب، وعرضتُ عليه أن يجلس في مقعدي. وقلتُ في إصرار: «ولكن ذلك ما حدث بالضبط.»

هزَّ ماكباين كتفَيه بعدم اكتراث. «أنت الوحيد الذي يرى ذلك فيما يبدو.»

حدَّقتُ في الرجل، في ملابسه المدنية. «ماذا تقصد؟»

«لقد كلَّفتُ قِسمي باستجواب جميع ضيوف الحفل. لم يرَ أحدٌ مطلقًا لينش ليلة أمس.»

غاصَ سيسكين في الكرسي الذي ابتلعَ جسمه الصغير بين ذراعَيه المنحنيَين. «بالطبع لا. سنعثر على لينش، حسنًا ... بعد أن نُداهِم ما يكفي من حُجرات التحفيز الكهربائي للدماغ.»

التفت إلى ماكباين. وقال: «أدمَنَ الرجلُ تيارات المحاكاة التي تعمل على القشرة الدماغية. إنها ليست المرة الأولى التي يدخلُ فيها في نوبات الأقطاب الكهربائية.»

حدَّق فيَّ ماكباين بصرامة، لكنه خاطَب سيسكين. «هل أنت متأكِّدٌ من أن لينش هو مَن أدمَنَ ذلك؟»

قال سيسكين متذمِّرًا: «إنَّ هُول على ما يُرام، وإلا فلم أكن لأجعله يعمل في مؤسستي. ربما أَسرفَ في الشراب قليلًا ليلة أمس.»

قلتُ محتجًّا: «لم أكن ثِملًا.»

تقدَّمَ فرانستوك نحوي. «إنَّ مكتب جرائم القتل مهتمٌّ بما يُفترض أنَّ هذا الرجل المدعو لينش قد قاله عن قتل فولر.»

ذكَّرتُه قائلًا: «لقد قال صراحةً إنَّ فولر لم يُقتَل.»

بدا النقيب متحيِّرًا. وقال: «أودُّ أن أرى مكان وقوع الحادث وأتحدَّث إلى أحد الشهود هناك.»

«لقد كان في غرفة دمج الوظائف. كنت في إجازة من العمل في ذلك الوقت.»

«أين؟»

«في كوخ أمتلكه في أعالي الجبال.»

«هل كان أحد معك؟»

«لا.»

«هل يمكننا إلقاء نظرة على غرفة الوظائف؟»

قال سيسكين: «إنها تابعة للقسم الذي يَرأَسه ويتني. إنه مساعِد السيد هُول.» أدارَ مفتاحًا في جهاز الاتصال الداخلي.

أضاءت الشاشة متذبذبةً بين نمط أو نمطَين متعرِّجَين، ثم استقرت على صورة شاب صغير الحجم، كان في مثل عمري تقريبًا، غير أن شعره أسود مجعَّد.

سألَ تشاك ويتني متفاجئًا: «ما الأمر يا سيد سيسكين؟»

«سيكون الملازم ماكباين والنقيب فرانستوك في الردهة في غضون عشر ثوانٍ تقريبًا. رافِقهما وأرِهما قسم دمج الوظائف.»

بعدما غادر ضابطا الشرطة، كرَّر سيسكين كلامه. فقال: «ما الذي تحاول فعله بحق الجحيم يا دوج، أتريد أن تقضيَ على شركة رين قبل أن تبدأ عملها؟ سنبدأ بعد شهرٍ الإعلانَ عن عقود الأبحاث التجارية. شيء كهذا من شأنه أن يُربِكنا! ما الذي يجعلك تفكِّر في أن موت فولر لم يكن حادثًا؟»

«لم أقُل إنه لم يكن حادثًا.»

لم ينتبه إلى الفَرق. «على أي حال، مَن يريد قتل فولر؟»

«أيُّ شخص لا يريد أن يرى شركة ريأكشنز تنجح في عملها.»

«مثل مَن؟»

أشرتُ بإبهامي إلى النافذة. وقلتُ: «هم.» لم يكن اتهامًا فعليًّا. كلُّ ما في الأمر أنني كنت أحاول الإشارة إلى أن الجريمة لم تكن بعيدة المنال إلى ذلك الحد.

نظرَ ورأى — لأول مرة كما كان واضحًا — اعتصامات اتحاد راصدي ردود الأفعال. جعله هذا يقفز عن كرسيه ويدور واثبًا مثل قزم صغير.

«إنهم يعتصمون يا دوج! تمامًا كما توقعتُ! ستكون هذه دعاية عظيمة لنا!»

قلت: «إنهم قلقون بشأن ما ستعنيه شركة رين لهم، وهو تسريحهم من العمل.»

«حسنًا، أتمنَّى ألَّا تكون مخاوفهم في غير موضعها. فانتشارُ البطالة في مجتمع مستطلعي الآراء سيتناسب طرديًّا مع نجاح شركة رين.»

غادرَ مندفعًا على عجلة من أمره، قائلًا: «أراكَ قريبًا.»

وقد غادرَ في الوقت المناسب. دارت الغرفة بجنون من حولي، وترنَّحتُ أمام المكتب. تمكَّنتُ من الجلوس على الكرسي، ثم مالَ رأسي إلى الأمام.

بعد لحظاتٍ استعدتُ توازني، ربما في ذهول وخوف، ولكني كنت على الأقل مالكًا زمام نفسي.

ثم أدركتُ أنه لا يمكنني تجاهل نوبات اضطراب الوعي أكثر من ذلك. لقد أصبحَت الآن تزداد بوتيرة أكثر تكرارًا من ذي قبلُ. ولم يساعدني حتى قضاءُ إجازة لمدة شهر في الكوخ على إيقاف النوبات المتكررة.

لكني لن أستسلم للأمر. فقد كنت مصمِّمًا على رؤية انطلاق شركة ريأكشنز بالشكل اللائق.

لم يكن شيءٌ ليُقنِعني بأنَّ لينش لم يَختفِ حقًّا. ربما لم يَلحَظ وصولَه أحدٌ غيري ممَّن حضروا الحفل. ولكن أن تكون الواقعة برُمَّتها من وحي خيالي، فهذا تسليم بأمر لم أستطع أن أُقنِع نفسي به.

انطلاقًا من هذه النقطة، كان عليَّ التعامل مع ثلاث فرضياتٍ بديهية، غير أن كلًّا منها تتعارض مع الأخرى، وهي أن لينش قد اختفى بالفعل، وأن فولر لم يَمُت في حادث على أي حال، وأن هناك «سرًّا» في الأمر على حدِّ تعبير لينش، وهذا السر كان على ما يبدو السبب في وفاة فولر واختفاء لينش.

ولكن إذا أردتُ التحقق من صحة أيٍّ من هذه الفرضيات، فسيتعيَّن عليَّ القيام بذلك بنفسي. فقد جاء ردُّ فعل الشرطة غير متفهِّم، وهو ما كان متوقَّعًا في حالة بلاغ غريب كهذا.

غير أن المسار المنطقي الوحيد للأمر لم يُفصِح عن نفسه إلا في صباح اليوم التالي. وهو أنني يجب أن أتحرَّى الأمر بواسطة نظام الاتصال الذي كنت أتواصل من خلاله مع فولر. وقد هداني أيضًا إلى هذا المسار شيءٌ ذكره لينش.

اعتدتُ أنا وهانون فولر أن يستعرض كلٌّ منا ملاحظات الآخر بشكلٍ دوري لتنسيق جهودنا. وكنا في كتابتنا لهذه الملاحظات نستخدم الحبر الأحمر؛ لتمييز النقاط التي ينبغي للآخر ملاحظتها.

وَفقًا لما قاله لينش، فقد عَهِد إليه فولر بشيءٍ ذي طبيعة سرية. غير أن في ذلك إشارةً بأنه كان سيخبرني أنا وليس هو فقط لو أنني كنت حاضرًا حينها. ومن ثَم، كان من الممكن أن يكون فولر قد تدبَّر بالفعل نقل المعلومات المتعلقة بالموضوع عبر وسيلتنا المتمثلة في تلك الملاحظات المكتوبة بالحبر الأحمر.

ضغطتُ على زر جهاز الاتصال الداخلي. وسألتُ: «هل نُقلتْ متعلقات السيد فولر الشخصية يا آنسة بويكينز؟»

«لا يا سيدي. ولكنها ستُنقَل قريبًا. النجَّارون والكهربائيون على وشك التوجُّه إلى مكتبه.»

تذكَّرتُ الآن أن المكان سيجري تحويله إلى غرض آخر. فقلتُ لها: «أخبريهم أن ينتظروا إلى الغد.»

عندما وجدتُ بابَ مكتب فولر مواربًا، لم أتفاجأ على الإطلاق؛ لأننا كنا نستخدم غرفة استقباله الخارجية لتخزين معدات المحاكاة الإلكترونية. ولكن بعدما عبرتُ فوق السجاد السميك إلى الباب الداخلي، تراجعتُ متوترًا.

كانت هناك امرأة جالسة إلى المكتب تتصفَّح كومة من الأوراق. ويبدو أنها قد فتَّشَت المكان جيدًا، حيث كانت الأدراج لا تزال مفتوحة، وكومات المقالات بجانب النشَّاف.

تسلَّلتُ إلى الغرفة، ووقفت خلفها، محاولًا الاقتراب قدر الإمكان دون أن تكتشف وجودي.

كانت شابَّة، لم تكن بالتأكيد قد تجاوزت أوائل العشرينيات. كانت وَجْنتاها ناعمتَين مَلساوَين، على الرغم من صرامتهما الناتجة عن انهماكها بالبحث في أوراق فولر. تنافست شفتاها مع عينَيها الكبيرتَين على احتلال المساحة الأكبر من وجهها. ومع أن شفتَيها كانتا ممتلئتَين ونَضِرتَين، فقد وضعت عليهما قدرًا بسيطًا من أحمر الشفاه أبرزَ حُسنَهما في غير تكلُّف ولا إسراف. كان لون عينَيها العسليتَين، المنصرفتَين تمامًا إلى المذكرات، يصنع تباينًا مستحَبًّا مع لون شعرها الأبنوسي البارز من قبعة صغيرة، ذات تصميم يتسم إلى حدٍّ ما بكونه خارج السياق.

تسحبتُ خلفها، ولكني تلكَّأتُ كي لا ينكشف وجودي. كان وجودها هنا إما بصفتها عميلة لإحدى مؤسسات المحاكاة الإلكترونية باستخدام الكمبيوتر، التي كانت شركةُ ريأكشنز على وَشْك أن تحلَّ محلَّها، أو لأنها ذات صلة ما بـ «سِر» فولر الغامض.

كانت الفتاة قد أوشكت على الانتهاء من قراءة الملاحظات. شاهدتُها تقلِّب الصفحة ما قبل الأخيرة، وتضعها وجهُها للأسفل فوق الكومة التي أنهت تفحُّصها. ثم سقطت عيناي على الورقة الأخيرة.

كانت الورقة بالحبر الأحمر! غير أنه لم يكن فيها أي كلمات أو صيغ أو رسومات تخطيطية. مجرد رسم عشوائي لا معنى له. أظهَر الرسم محاربًا من نوع ما، يمكن الحُكم من خلال سترته وسيفه وخوذته بأنه محارب إغريقي، كما أظهر الرسم سلحفاة. لم يكن في الورقة شيءٌ آخر. غير أن كلَّ شيءٍ فيها كان قد وُضعَت تحته عدة خطوط حمراء.

تجدر الإشارة هنا إلى أن فولر عندما كان يريد لفْت انتباهي إلى شيءٍ مهم في مذكراته، كان يضع تحته خطًّا أو أكثر حسب أهميته. على سبيل المثال، عندما انتهى من وضع صيغة التحويل لبرمجة السمات الشعورية في وحدات رد الفِعل الذاتية للمحاكي، وضَع

تحتها خمسة خطوط عريضة بالحبر الأحمر. وقد كان محقًّا في ذلك؛ حيث إنها حجر الأساس الذي بُني عليه نظامُه للمحاكاة البيئية الكاملة برُمَّته.

في هذه الحالة، وضع عدة خطوط أسفل المحارب الإغريقي والسلحفاة، خمسين خطًّا على أقل تقدير، حتى لم يَعُد لديه مكان في الورق!

انتفضَت الفتاةُ من مكانها عندما شعرتْ بوجودي أخيرًا. فأمسكتُ بمعصمها خوفًا من أن تركضَ نحو الباب.

سألتُها: «ما الذي تفعلينه هنا؟»

ارتجفتْ تحت ضغط يدي. ولكن الغريب أنه لم تظهر على وجهها أماراتُ الدهشة أو الخوف. بل إن عينيها كانتا تتحركان بغضب هادئ ووَقور.

قالت بلا انفعال: «أنت تؤلمني.»

حيَّرتني للحظةٍ فكرةُ أنني ربما قد رأيتُ من قبلُ هاتَين العينَين الحازمتَين، وهذا الأنف الصغير المعقوف. خفَّفتُ من قبضتي ولكنني لم أترك معصمها.

قالت دون أن تُخفِّف من سخطها: «شكرًا لك يا سيد هُول. أنت السيد هُول، أليس كذلك؟»

«بلى. لماذا تسرقين محتويات هذا المكتب؟»

«حسنًا، على الأقل أنت لست دوجلاس هُول الذي كنت أعرفه.» حرَّرتْ معصمَها بسحبة عنيدة. «ولكني لا أسرق شيئًا. لقد رافقني إلى هنا أحدُ حُراسك.»

تراجعتُ في ذهول. «ألستِ أنتِ ...؟»

ظلَّت قسماتُها جامدة. وكان الانضباط الشديد في تعبيراتها يدعم ذلك الجمود.

وجدتُ نفسي فجأة أحدِّق فيها — في هيئتها المتعجرفة التي جمعت الرزانة ومظهر المثقفين الذي اكتسبته حديثًا — ثم رجعتُ بذاكرتي ثماني سنواتٍ إلى «جينكس» فولر الخرقاء، البالغة من العمر حينها خمسة عشر عامًا. وتذكَّرتُ أنها كانت حتى في ذلك الوقت مندفعة وسليطة اللسان، ولم يحدَّها عن ذلك تقويم أسنانها، أو ضفائر التلميذات، أو زي المراهقات.

تذكَّرتُ أيضًا بعضَ التفاصيل، ومنها عندما تحدَّث بحرجٍ عن أن ابنته المراهقة «مُولَعة» بـ «العَم» دوج، وكذا المشاعر المختلطة التي انتابَتني وقتها وأنا في برج نضجي العالي، عندما كنت في الخامسة والعشرين من عمري، وعلى وشك الحصول على درجة الماجستير في العلوم تحت إشراف الدكتور فولر. أرسلَ فولر ابنته للعيش مع أخته في

مدينة أخرى؛ كي تحظى برعايةٍ شبيهةٍ برعاية الأم، ولاستكمال دراستها؛ وذلك إدراكًا منه للصعوبة التي كان من شأنه أن يواجهها في مهمته كأب أرمل.

أعادني صوتُها من الماضي. «أنا جوان فولر.»

صحتُ مندهشًا: «جينكس!»

ترقرقت عيناها، وبدا أن بعضًا من ثقتها بنفسها يذهب عنها. وخاطبتني قائلة: «لم أتصوَّر أن أحدًا سينادي بذلك الاسم مرة أخرى.»

أمسكتُ بيدها باهتمام. ثم حوَّلتُ انتباهها عن عمدٍ شارحًا سبب وقاحتي. فقلتُ: «لم أعرفكِ.»

«بالطبع لم تعرفني. وعن سبب وجودي هنا، فقد طُلِب مني القدوم لأخذ أغراض أبي.»

أفلتُّ يدها لتعود إلى الكرسي مرة أخرى، واتكأتُ أنا على المكتب. ثم قلت: «كان من المفترَض أن أعتني بهذا الأمر. ولكنني لم أكن أعرف ... ظننتُكِ خارج البلاد.»

«لقد عدتُ من شهر.»

«هل كنتِ تُقيمين مع الدكتور فولر عندما ...؟»

أومأتْ برأسها أنْ نعم، متجنِّبةً عن عمدٍ النظرَ إلى الأشياء التي جمعتها على المكتب.

كان ينبغي ألَّا أتسرَّع في التطرُّق إلى الأمر في تلك المرحلة بالذات. ولكنني لم أكن لأفوِّت الفرصة.

«بالحديث عن والدكِ ... هل بدا قلقًا أو منزعجًا؟»

رمقتني بنظرة حادة. وقالت: «لا، لم ألحظ أيًّا من ذلك. لماذا؟»

«لأنه اتضح أن ...» ثم قررتُ أن أكذب حتى لا أُقلِقها. فأردفتُ: «كنا بصدد العمل على شيءٍ مهم. وقد كنت في إجازة. يهمُّني أن أعرف ما إذا كان قد وجد حلًّا للمشكلة.»

«هل للأمر أي صلة بـ... التحكم في الوظائف؟»

تفحَّصتُ تعابيرها جيدًا. «لا. لماذا تسألين؟»

«أوه، لا أدري. لا شيء.»

«ولكن لا بد أن هناك سببًا للسؤال.»

تردَّدتْ. ثم قالت: «حسنًا، لقد كان قلقًا بعضَ الشيء حيال شيءٍ ما، على ما أظن. كان يقضي الكثير من الوقت في غرفة مكتبه. ورأيتُ بعضَ الكتب والمراجع التي تتناول ذلك الموضوع على مكتبه.»

لا أعرفُ ما الذي جعلني أشعر وقتها بأنها تحاول إخفاء شيءٍ ما. ومن ثَم قلتُ: «إذا كنتِ لا تمانعين، أودُّ القدوم إلى المنزل في وقتٍ ما والاطلاع على مذكراته. ربما أجد ما أبحث عنه.»

كان ذلك، على الأقل، أكثر لباقة من أن أخبرها بأن وفاة والدها لم تكن حادثًا.

أمسكتْ بحقيبة بلاستيكية وبدأتْ في ملئها بمتعلقات فولر الشخصية. وقالت: «يمكنك القدوم وقتما تشاء.»

«ثمة شيء آخر. هل تعلمين ما إذا كان مورتون لينش قد زار والدكِ مؤخرًا؟»

عبستْ لبرهة. ثم قالت: «مَن؟»

«مورتون لينش ... «عمكِ» الوحيد، بخلافي.»

نظرت إليَّ في حيرة. ثم قالت: «لا أعرفُ أحدًا يُدعَى مورتون لينش.»

أخفيتُ حيرتي خلف صمتٍ متجهِّم. كان لينش يعمل في أعمال الإصلاحات بالجامعة، عامل صيانة. أتى معي أنا والدكتور فولر عندما ترك فولر التدريس، من أجل العمل في مجال الأبحاث الخاصة. علاوةً على ذلك، فقد عاش مع عائلة فولر لأكثر من عشر سنوات، ولم يقرر الانتقال للعيش في منزل أقرب إلى مبنى شركة رين إلا قبل سنتَين.

«ألا تتذكَّرين مورتون لينش؟» أنعشتُ الذكريات الراسخة لرجل كبير في السن يبني لها بيوتًا للدُّمى، ويصلح لها الألعاب، ويحملها على كتفَيه لساعاتٍ متواصلة في كل مرة.

«لم أسمع به من قبل.»

تجاوزتُ عن الأمر، وقلَّبتُ بعناية في كومة المذكرات الموضوعة على المكتب. توقَّفتُ عندما وصلتُ إلى رسم المحارب الإغريقي، ولكني لم أُطِل.

«هل من شيءٍ أساعدكِ فيه يا جينكس؟»

ابتسمتْ. وبهذا عاد كلُّ الدفء والعفوية اللذين كانا أيام شغفها، عندما كانت في الخامسة عشرة من عمرها. للحظة، شعرتُ بشيء من الأسى أنَّ «ولعها» بي جاء في سنٍّ مبكرة جدًّا في حياتها.

قالت مُؤكِّدةً: «سوف أتدبَّر أمري. لم يترك أبي الكثير من المال. وأنوي العملَ ... بدرجتي العلمية في تقييم الآراء.»

«هل ستصبحين راصدة ردود أفعال معتمَدة؟»

«أوه لا، ليس في مجال أخذ العينات. بل في التقييم.»

كانت ثمة مفارقة في أن تقضي أربع سنواتٍ في التدريب على مهنة ستندثر؛ بسبب ما كان والدُها يعمل عليه في الفترة نفسها.

ولكن لم يكن ثمة مجال للتعاطف هنا. وقد أعربتُ عن تعاطفي بما يكفي عندما قلتُ: «ستتدبرين حالكِ جيدًا بحصتكِ في شركة ريأكشنز.»

«أتقصد نسبة العشرين بالمائة التي كان يملكها أبي؟ لا أستطيع الاقتراب منها. أوه، إنها ملكي. ولكن سيسكين استحوذ عليها بموجب اتفاق قانوني مُلزِم. وحصلَ على الوكالة. ستظل الأسهم والأرباح في عُهدته حتى أبلغ الثلاثين من عمري.»

إنه انتزاع كامل للحق. ولم يتطلب الأمر الكثير من الدهاء لمعرفة السبب. لم يكن فولر الوحيد الذي أصرَّ على تخصيص جزءٍ من جهود شركة ريأكشنز لجهود البحث، من أجل الارتقاء بروح الإنسان من مستنقعها الشديد البدائية الذي لا تزال تقبع فيه. فقد كان إلى جانبه ما يكفي من الأصوات المؤيِّدة لإعطاء أولويةٍ للأمر في أي اجتماع لمجلس الإدارة. ولكن الآن، بعد أن استحوذ سيسكين على نسبة العشرين بالمائة التي كانت لفولر، أستطيع الجزم أن جهاز المحاكاة لن يُستخدَم في مشروعاتٍ مثالية أو غير هادفة للربح.

أغلقَت الحقيبة البلاستيكية. ثم قالت: «أنا آسفة على تصرفي معك بوقاحة يا دوج. ولكن الغيظ قد تملَّكني. كلُّ ما جاء في ذهني بعدما قرأتُ عن حفل سيسكين هو شعورك بالانتشاء لأخذكَ مكان أبي. لكن كان يجب أن أدرك أن الأمر ليس بهذه الصورة.»

«بالطبع، ليس كذلك. على أي حال، الأمور لا تسير حسبما أراد لها الدكتور فولر. لا يهمني كيف تُدار الأمور. وظني أنني لن أمكث طويلًا إلا بالقدْر الذي يُمكِّنني من رؤية جهاز المحاكاة الذي صمَّمه يعمل على أرض الواقع. فجهوده تستحق ذلك القدر من التقدير على الأقل.»

ابتسمتْ بودٍّ، ودسَّت الحقيبة تحت ذراعها، وأشارت إلى كومة المذكرات التي أصبحت الآن مبعثرة. وكان أحد أركان الورقة التي تحتوي على الرسم بالحبر الأحمر ظاهرًا، وشعرتُ أن المحارب الإغريقي كان ينظر إليَّ ساخرًا.

قالت متوجِّهةً إلى الباب: «ستحتاج إلى فحص هذه الأوراق. سأنتظر زيارتك بالمنزل.»

بعدما غادرتْ، عدتُ متلهِّفًا إلى المكتب وأمسكتُ بالمذكرات. ولكنني رفعتُ يدي فجأة مجفِلًا.

لم يَعُد المحارب ينظر إليَّ. قلَّبتُ على عجل في كومة الملاحظات. لم يكن الرسم بها.

قلَّبتُ في الأوراق كالمجنون، ثم رحتُ أقلِّب فيها بعناية مرارًا وتكرارًا. بحثتُ في الأدراج، ونظرتُ تحت النشَّاف ومشَّطت الأرضية.

لكن الرسم كان قد اختفى تمامًا كما لو لم يكن موجودًا من الأساس.

الفصل الثالث

مرت عدة أيام قبل أن أتمكَّن من محاولة التعمق في اللغز الذي يربط بين المحارب الإغريقي ولينش وفولر. لم يكن ذلك لنقصٍ في اهتمامي بالأمر. بل لأنني كنت مضغوطًا جدًّا بضرورة الانتهاء سريعًا من وضع اللمسات الأخيرة على محاكي البيئة، ودمج جميع وظائفه.

ظلَّ سيسكين يستعجلني بشدة. كان يريد أن يكون النظام جاهزًا للعرض النهائي في غضون ثلاثة أسابيع، على الرغم من أنه كان لا يزال هناك أكثر من ألف دائرة لردود الأفعال بحاجة إلى الدمج في النظام لزيادة «جمهوره المستهدَف» إلى عشرة آلاف شخص.

نظرًا لأن محاكاتنا لكل نظام اجتماعي يجب أن تمثِّل «مجتمعًا» واحدًا، كاملًا في ذاته، كان من الضروري تزويد آلاف الدوائر الرئيسية بعناصر من البيئة المادية. شملَ هذا تفاصيل مثل وسائل النقل، والمدارس، والمنازل، ونوادي البستنة، والحيوانات الأليفة، والمنظَّمات الحكومية، والشركات التجارية، والمتنزَّهات، وجميع المؤسسات الأخرى اللازمة لأي منطقة حضرية. وبالطبع تم كلُّ شيء عن طريق المحاكاة الإلكترونية، بدءًا من الانطباعات المسجَّلة على شرائط مغناطيسية، والجهد الكهربائي اللازم لاستقطاب الشبكات الرئيسية، والترميزات على حاويات التخزين.

نتجَ عن كل ذلك في النهاية مُناظِر كهروریاضي لمدينة «عادية» تجثم غير عابئة بشيءٍ في عالَمها الزائف. لم أستطع في البداية أن أصدق أنه داخل تلك الأميال من الأسلاك، وما لا يُحصى من محوِّلات الطاقة وأجهزة قياس الجهد الدقيقة، والآلاف المؤلَّفة من أجهزة الترانزستور، ومولِّدات الوظائف، وأنظمة حيازة البيانات، داخل كل هذه المكونات يقبع مجتمع بأكمله، جاهزًا للاستجابة إلى أي محفِّز لردود الأفعال يُبرمَج في مُوزِّع مدخلاته.

لم أقتنع حتى شغَّلتُ إحدى دوائر المراقبة، ورأيتُ كلَّ شيءٍ قيد التشغيل.

بعد إنهاك يوم طويل من العمل، أخذتُ قسطًا من الراحة، وقدماي مُسنَدتان إلى المكتب، منصرفًا بذهني عن التفكير في جهاز المحاكاة.

لم يكن يوجد سوى مُنعطَف واحد آخر يمكن أن يكونوا قد سلكوه، هكذا عدتُ إلى التفكير في مورتون لينش، وهانون جيه فولر، والمحارب الإغريقي، والسلحفاة، وفتاة تُدعَى جينكس كانت ذات يوم مراهقة أشبه بالجِنِّية، ثم نَضِجت، على ما يبدو بين عشية وضحاها، لتصبح امرأة شابة شديدة الجاذبية، ولكن بذاكرة سيئة للغاية.

انحنيتُ إلى الأمام وضغطتُ على أحد أزرار جهاز الاتصال الداخلي. استجابت الشاشة على الفور، لتظهر صورة رجل أشيب الشعر، تبدو على وجهه أمارات التعب.

قلتُ: «أفيري، يجب أن أتحدَّث إليك.»

«أرجوك ليس الآن يا بُنيَّ. أنا مرهق. ألا يمكن إرجاء الأمر؟»

احتفظَ أفيري كولينجسورث — الحائز على درجة الدكتوراه — بامتيازِ أن يدعوني «بُنيَّ»، على الرغم من أنه كان أحد مرءوسيَّ. لكنني لم أمانع؛ لأنني كنت ذات يوم أكُدُّ باجتهاد لحضور دروسه في علم الإلكترونيات النفسية. ونتيجةً لهذه الصلة، أصبح الآن مستشارًا نفسيًّا في شركة ريأكشنز المحدودة.

قلتُ له مؤكدًا: «الأمر ليس له أي صلة بالشركة.»

ابتسم. وقال لي: «في هذه الحالة، أعتقد أنه يمكنني مساعدتك. لكن بشرط واحد. عليك أن تقابلني في حانة ليمبي. بعد تدريب اليوم أريدُ ...» ثم خفضَ صوته: «... أن أُدخِّن.»

قلتُ موافقًا: «في حانة ليمبي بعد ١٥ دقيقة.»

أنا لا أخالف القوانين عادةً. غير أنه ليس لديَّ قناعة جازمة بالتعديل رقم ٣٣. أعتقد أن مجموعات ضبط النفس لديها وجهة نظر. على الأقل، فإن الرأي القائل بأن النيكوتين يضرُّ بصحة الفرد وأخلاق الأمة لم يأتِ من دون إحصاءاتٍ داعمة.

غير أنني أعتقد أن التعديل رقم ٣٣ لن يصمد. إنه لا يحظى بشعبية كما كان الحال مع التعديل رقم ١٨ قبل قرن من الزمان. ولا أرى سببًا يمنع المرء من التدخين بين الحين والآخر إذا توخَّى الحذر، حتى لا ينفث دخانه في اتجاه الحُراس المسئولين عن سلامة رئتَينا.

ولكن عندما اتفقتُ على مقابلة كولينجسورث في أحد أماكن التدخين السرية خلال ١٥ دقيقة، لم آخذ اعتصام راصدي ردود الأفعال المعتمَدين في الحسبان. لا يعني ذلك أنني وجدتُ صعوبة في تجاوز الحشود المعتصِمة أمام المبنى. أوه، لقد أحدثوا جَلَبة قوية عندما

مررتُ بهم. بل إنني سمعتُ بعض التهديدات. غير أن سيسكين كان قد استخدم نفوذه واستَقدَم مجموعةً من أفراد الشرطة لتظل مرابطةً في المكان على مدار ٢٤ ساعة.

ما أخَّرني حقًّا هو حشدٌ من جامعي الآراء الذين يختارون دائمًا وقتًا متأخرًا بعد الظهيرة ليبذلوا فيه أقصى جهودهم في العمل؛ حيث يمكنهم الانقضاض على جموع الناس المغادِرة لمكاتب العمل ومتاجر وسط المدينة.

تقع حانة ليمبي على مسافة بضعة مربعاتٍ سكنية فقط من شركة ريأكشنز. ومن ثَم، سلكتُ الرصيف المتحرك المنخفض السرعة، ما جعلني فريسة سهلة لأي مستطلِع آراء يعترض طريقي. وقد اعترضوا طريقي بالفعل.

كان أولهم للمصادفة يريد أن يعرف رأيي بالتفصيل في التعديل رقم ٣٣، وما إذا كان لديَّ أي اعتراض على استخدام سجائر خالية من الدخان والنيكوتين.

وما إن غادر حتى تقدَّمتْ نحوي سيدة مُسِنة، ممسكة بدفتر ملاحظات، لتسألني عن رأيي في زيادة أسعار أُجرة رحلة ماكورثر إلى القمر. ولم يُشكِّل كوني لم أتوقَّع يومًا القيام برحلة كتلك أيَّ فارق في الأمر.

عندما انتهت من عملها، كنت قد تخطيتُ ثلاثة مربعاتٍ سكنية من حانة ليمبي، واضطُررتُ إلى المرور بمربعَين سكنيَّين آخرَين كي أصل إلى أول رصيف تحويل.

اعترضَ طريقَ عودتي راصدُ ردود أفعال معتمَد آخر. رفضَ بأدب طلب استبعادي من استطلاعه، متمسكًا دون تردد بحقوقه التي يكفلها له قانون راصدي ردود الأفعال. أخبرتُه بنفاد صبرٍ أنني لا أعتقد أن قلقاس المريخ المُعلَّب، الذي أجبرني على ابتلاع عينة منه، سيَلقى أيَّ قَدْر مبرَّر من الطلب لدى الجمهور.

كانت تمر عليَّ أوقات — وكان هذا بالتأكيد أحدها — أتطلع فيها ببعض اللهفة إلى العصر الذي ستكتسح فيه المحاكاة الإلكترونية الشوارع، وتُخلِّصنا من جميع راصدي ردود الأفعال المعتمَدين الذين يشبهون أسرابَ النحل.

وصلتُ متأخرًا ١٥ دقيقة عن الوقت المتفَق عليه، وسرتُ عبر متجر التُّحف الذي كان بمثابة واجهة لحانة ليمبي التي كان الناس يُدخِّنون فيها سرًّا.

بالداخل، انتظرتُ حتى تتكيَّف عيناي مع الظُّلمة ذات الضباب الأزرق. عَلِقت في الهواء رائحةُ التبغ المحترق اللاذعة والعَذبة في الآن نفسه. وملأ جنباتِ الغرفة صوتٌ غامِر، فأحاطها بشعور دافئ حيث همسَت جدرانُها المكسوَّة بالمفروشات بأنَّات أغنية من زمانٍ فائت «يدخل الدخان إلى عينَيك» (سموك جيتس إن يور آيز).

وقفتُ عند طاولة الشراب أنظرُ حولي إلى الطاولات والمقصورات. لم يكن أفيري كولينجسورث قد وصل بعد. وتخيَّلتُه في مشهدٍ مُضحِك ومثير للشفقة في الآن نفسه، وهو يحاول جاهدًا تَفادي أحد مستطلِعي الآراء.

جاء ليمبي يَعرج عبر الممر الضيق بجوار طاولة الشراب. كان رجلًا قصيرًا بدينًا، يبدو دائم التوتر، يعاني رعشةً في جفنه الأيسر تُضفي عليه مظهرًا كاريكاتوريًّا.

سألني: «أتريد شرابًا أم سيجارة؟»

«القليل من كلَيهما. هل رأيتَ دكتور كولينجسورث؟»

«لم أَره اليوم. أيَّ شراب تريد؟»

«سكوتش أستروايد، ضِعف الكمية. وسيجارتَين بالمنثول.»

وصلت السيجارتان أولًا، موضوعتَين بأناقة في علبة بلاستيكية ذات غطاءٍ قلَّاب. أخرجتُ واحدةً وطَرقتُها على منضدة الشراب، ثم وضعتُها بين شفتيَّ. وعلى الفور، اقتربَ أحدُ مساعِدي ليمبي وفي يده قدَّاحة مملوءة ومتَّقدة ليُشعِل لي السيجارة.

انساب الدخانُ إلى حَلْقي بمذاقه الحارق، لكنني تمكَّنتُ من قمع رغبتي في السعال. وما هو إلا نَفَس آخر أو نَفَسان حتى زال عني ذلك الإحساسُ الذي ينتاب غير المعتادين على التدخين. وعندما اجتاحَ الدخانُ اللاذع أنفي وحَلْقي، شعرتُ بتلك النشوة والدُّوار الممتِع للنفس.

بعد قليل، ازداد شعوري بالنشوة مع تناولي رشفةً من السكوتش ذي المذاق الملطِّف. ارتشفتُه ممتنًّا، ورُحتُ أجول بناظري في أرجاء الغرفة شبه الخالية. كان الضوءُ خافتًا، وكان المدخِّنون يتحدَّثون في هدوءٍ حتى اختلطَت همساتُهم وهمهماتُهم بنغمات الموسيقى الغابرة.

كانت نغماتُ أغنيةٍ أخرى من الماضي تنسابُ عبر مكبرات الصوت، «سيجارتان في الظلام» (تو سيجاريتس إن ذا دارك). ووجدتُ نفسي أتساءل عن رأي جينكس في التعديل رقم ٣٣، وعن إحساسي لو أني استرخيتُ برفقتها في حديقةٍ علوية، أشاهدُ وهجَ سيجارةٍ وهو يُلقي بظلالٍ قرمزية على نعومة وجهها الحريري.

أكَّدتُ لنفسي للمرة المائة أنه لم يكن من المحتمَل أن تكون لها أي علاقة باختفاء رسم فولر الغامض. راجعتُ المشهدَ بتفاصيله في ذهني. لقد رأيتُ الرسم وأنا أقودها إلى الباب. وعندما عدتُ إلى المكتب، كان قد اختفى.

ولكن إذا لم تكن متورطة في الأمر بطريقةٍ ما، فلماذا أنكرت معرفتَها بمورتون لينش؟

تجرَّعتُ ما تبقَّى من السكوتش، وطلبتُ كأسًا أخرى، ودخَّنتُ سيجارتي لبعض الوقت. كم كان الأمر سيصبح بسيطًا إذا تمكَّنتُ من إقناع نفسي بأنني لم أرَ مورتون لينش، وأنه لم يكن موجودًا على الإطلاق! في تلك الحالة، ما كانت وفاة فولر لتُحدِق بها الشكوك، وستكون جينكس مُحِقة في إنكار معرفتها به. غير أن ذلك لن يُقدِّم تفسيرًا واضحًا لاختفاء الرسم.

جلسَ شخصٌ على المقعد المجاور لي، ووضعَ يده الممتلئة برفق على كتفي. «اللعنة على المتطفلين!»

رفعتُ نظري لأجده أفيري كولينجسورث. وسألتُه: «هل نالوا منك أنت أيضًا؟»

فأجابني: «أربعة منهم. أحدُهم أجرى معي استطلاعًا حول العادات الشخصية لأعضاء نقابة الأطباء. كنت أفضِّل أن يُقتلَع لي سِن على أن أقابله.»

أخرج ليمبي غليون كولينجسورث، كان تجويفه مملوءًا بمزيج الحانة الخاص، وطلب له شراب الويسكي الصافي.

قلتُ متمعِّنًا بينما يُشعِل غليونَه: «أفيري، أودُّ أن أناقشَ معك لغزًا في رسمٍ ما. إليك ما في هذا الرسم. إنه يُصوِّر محاربًا إغريقيًّا في يده حَربة، ينظر عن يمينه ويتقدَّم خطوة. وأمامه سلحفاة تتحرك في الاتجاه نفسه. أولًا: بماذا يوحي لك هذا الرسم؟ ثانيًا: هل رأيتَ شيئًا مُشابهًا مؤخرًا؟»

«لا. أنا ... مهلًا، ما هذا الرسم؟ كان من الممكن أن أكون الآن في منزلي آخذ حمامًا.»

«لقد تركَ الدكتور فولر هذا الرسم لي. لنفترضْ أولًا أنَّ له مغزًى معينًا. وكل ما هنالك أنني لا أستطيع فَهْم معناه.»

«إنه شيءٌ غريب، إذا كنت تريد رأيي.»

«حسنًا، إنه شيءٌ غريب. ولكن هل له أي دلالة؟»

تأمَّله مليًّا وهو ينفث غليونه مُستغرِقًا في التفكير. ثم قال: «ربما.»

وردًّا على صمته المتواصل، سألتُه: «حسنًا، ماذا؟»

«زينو.»

«زينو؟»

«مفارقة زينو. أخيل والسلحفاة.»

طقطقتُ أصابعي وقلتُ في نفسي: «بالطبع!» لا يتمكَّن أخيل في سباقه مع السلحفاة من اللحاق بها مطلقًا؛ لأنه في كل مرة يقطع فيها نصفَ المسافة بينهما، تكون السلحفاة قد تقدَّمت عنه بمسافةٍ مكافِئة.

سألتُ متحمِّسًا: «أتظن أنَّ هذه المفارقة تنطبقُ بأي حالٍ على مجال عملنا؟»

هزَّ كتفَيه في النهاية. وقال: «لا توجد لديَّ الآن إجابة حاضرة. ولكني على أي حالٍ غير مسئول إلا عن الجزء الخاص بالبرمجة النفسية في العملية. ولا أستطيع التحدُّث بشكلٍ رسمي عن المراحل الأخرى.»

«إنَّ خُلاصة المفارقة، على ما أتذكَّر، هو الافتراض بأنَّ الحركةَ مجردُ وهم.»

«بالضبط.»

«لكن هذا لا ينطبق على أي شيءٍ لدينا، على حدِّ علمي.» من الواضح أن مفارقة زينو لم تكن هي ما يعنيه فولر في رسمه.

مدَدتُ يدي إلى كأسي، لكن أفيري أَوقفَ ذراعي. وقال: «لن أعوِّل بجدية على أي شيءٍ فعله فولر خلال الأسابيع القليلة الماضية. كان يتصرَّف بغرابةٍ شديدةٍ كما تعلم.»

«ربما كان لديه سببٌ وراء ذلك.»

«لا يوجد سببٌ يفسِّر كلَّ تلك الغرابة.»

«هلَّا تذكر لي مثالًا؟»

زمَّ شفتيه. وقال: «كنت ألعب معه الشطرنج قبل الحادث بليلتَين. وقد ظلَّ يشرب طَوال الليل. والغريب في الأمر أنه رغم ذلك لم يَسكَر.»

«لا بد إذن أنه كان مشغولًا بشيء ما؟»

«لم أتمكَّن من تحديد شيءٍ بعينه، لكنني لاحظتُ أنه لم يكن على طبيعته بالتأكيد. وقد ظلَّ يتحدَّث بحماس عن الغاية الفلسفية.»

«هل كان حديثه حول البحث في مجال العلاقات الإنسانية وتحسينها؟»

«أوه لا، ليس شيئًا من هذا القبيل. ولكن ... حسنًا، لأَصدُقك القول، لقد تخيَّل أن عمله مع شركة ريأكشنز كان على وشك أن يؤتي ثماره من خلال ما أسماه «اكتشافًا أساسيًّا».»

«أيُّ نوعٍ من الاكتشافات؟»

«لم يقُل.»

كان هذا تأكيدًا لظنوني نوعًا ما. فقد تحدَّث لينش أيضًا عن «سِر» فولر؛ أي: المعلومات التي كان ينوي الاحتفاظ بها لي. في ذلك الحين، كنت على يقين أن لينش قد جاء بالفعل إلى حفل سيسكين، وأنني تحدَّثتُ إليه في الحديقة العلوية.

أشعلتُ سيجارتي الثانية.

«لمَ أنت مهتم للغاية بكل هذا يا دوج؟»

«لأنني لا أعتقد أن موت فولر كان حادثًا.»

وبعد برهة قال بجدية: «اسمع يا بُنيَّ. أنا على علم بكل عناصر الخلاف بين سيسكين وفولر، بدءًا من تخصيص وقت البحث الاجتماعي وكل تلك الأمور. ولكن لا أظنُّك تعني بذلك أن سيسكين يائسٌ لدرجة أن يُجرِي تصفية جسدية ...»

«لم أقُل ذلك.»

«بالطبع لم تقُل ذلك. ومن الأفضل ألَّا تقوله، أبدًا. سيسكين رجل له نفوذ ومحب للانتقام.»

وضعتُ كأسي الفارغة على الطاولة. وقلت: «من ناحية أخرى، كان بإمكان فولر أن يجد طريقه معصوبَ العينَين وسط أسلاك مولِّدات الوظائف المتشابكة كالأحشاء. إنه آخِر شخصٍ يمكن أن يصطدم بسلك عالي الجهد.»

«هذا صحيح عن فولر في حالته الطبيعية، ولكن فولر صار غريب الأطوار. ليس فولر الذي عرفتُه في الأسابيع القليلة الماضية.»

تناولَ كولينجسورث شرابَه أخيرًا. ثم طرقَ بكأسه على طاولة الشراب وأعادَ إشعال غليونه. بدَت ملامحه أقل حِدَّة في الضوء المنبعث من تجويف الغليون. وقال معقِّبًا: «أظن أنني أستطيع أن أُخمِّن ماهيةَ اكتشافِ فولر الأساسي.»

أصابني التوتر. وسألتُه مستوضحًا: «أحقًّا تستطيع؟»

«بالطبع. أراهنُ أنه له علاقة كبيرة بموقفه تجاه وحدات رد الفعل الذاتية في جهاز المحاكاة الذي صمَّمه. إن كنتَ تَذكُر، فقد كان يشير إليها عادةً باعتبارها «أناسًا حقيقيين».»

«لكنه كان يمزح ليس غير.»

«أكان يمزح حقًّا؟ أتذكَّر أنني سمعتُه يقول: «تبًّا! لن نضع أيًّا من مستطلعي الآراء التناظُريِّين في هذا النظام!»»

قلتُ شارحًا: «لقد صمَّم النظامَ بحيث لا نُضطر إلى استخدام وحدات البحث لاستطلاع الآراء في الآلة لدينا. وقد رَضي بنظام مختلف؛ من محفِّزاتٍ سمعية وبصرية، مثل لوحات الإعلانات، والإعلانات التي تُوزَّع باليد، والبث التلفزيوني المبتكَر. ونأخذ عينات ردود الأفعال من خلال النظر سريعًا في دوائر التقمُّص والمراقبة.»

سألني: «لماذا لا يوجد مستطلعو آراء في عالَم فولر الافتراضي؟»

«لأنه في الواقع أكثر كفاءة من دونهم. وسنتمكَّن من الحصول على معلوماتٍ أدقَّ حول السلوك الاجتماعي دون أن نتكبَّد العناءَ المزعج بأخذ عيناتِ الرأي شفهيًّا.»

«ذلك من الناحية النظرية. ولكن كم مرة سمعت فولر يقول: «لن أدع أيًّا من المتطفِّلين اللُّعناء يزعجون أُناسي الصغار»؟»

لقد كان محقًّا. وقد رأيتُ أنا أيضًا أن فولر قد بالغَ فيما تصوَّره من ذكاءٍ في وحدات الهُوية التي كان يُبرمِجها داخل محاكيه، ولم يكن لديه ما يبرِّر ذلك.

بسطَ كولينجسورث يدَيه وابتسم. ثم قال: «أعتقدُ أنَّ «الاكتشاف الأساسي» لفولر أنَّ وحدات رد الفعل لم تكن مجرد دوائر كهربائية ذكية في مجمعٍ للمحاكاة الإلكترونية، بل كانت شخصياتٍ حقيقية حيَّة ومفكِّرة. وأنا على يقين أنه كان يرى أنَّ لهم وجودًا حقيقيًّا. ربما في عالَم ذاتوي، ولكنه لم يشكَّ قطُّ في أن حياتهم السابقة كانت اصطناعية؛ أي إنه لم يظن أنَّ عالَمهم لم يكن عالَمًا حقيقيًّا متماسكًا وراسخًا وماديًّا.»

«ألا تؤمن بشيءٍ من قبيل ...»

عكستْ عيناه اللتان بدا عليهما الابتهاجُ الوميضَ المتقطِّع لقدَّاحة سجائر مشتعلة بجانبه. وقال: «يا بُنيَّ، أنا مجرد عالِم نفس، سلوكي النزعة. تتَّبع فلسفتي هذا النهج عن كَثب. في حين أنك وفولر وجميع علماء المحاكاة الإلكترونية الآخرين تنتمون لسلالة غريبة. عندما تشرع في المزج بين علم النفس وعلم الإلكترونيات، وتضيف إلى ذلك جرعة غير مقيَّدة من الارتباطات الشرطية للاحتمالات، فمن المؤكَّد أنك ستحصل على قناعاتٍ شديدة الغرابة من هذه الفوضى. من الصعب أن تملأ آلة ما بأشخاصٍ دون التفكير أولًا في الطبيعة الأساسية للآلات والأشخاص.»

كان النقاشُ يأخذنا بعيدًا. حاولتُ إعادته إلى مساره. فقلت: «أنا لا أتفق مع افتراضك حول «الاكتشاف الأساسي» لفولر. وذلك لأنني أعتقد أنَّ اكتشافه هو نفسه ما أراد لينش أن يخبرني به.»

«لينش؟ مَن هو؟»

جفلتُ. ثم ابتسمتُ عندما أدركتُ أنه حتمًا قد سمع جينكس فولر تقولُ إنها لم تسمع قطُّ عن لينش. لا بد أنه يحاول المزاح معي بطريقته الخاصة.

تابعتُ قائلًا: «لو لم أكن حقًّا قد صدَّقتُ رواية لينش حول «سِر» فولر، لَما ذهبتُ إلى الشرطة.»

«لينش؟ الشرطة؟ عمَّ تتحدَّث؟»

بدأتُ أشكُّ في كونه يتحدَّث بجدية. فقلت له: «أفيري، لستُ في مزاجٍ يسمح بالمزاح. إنني أتحدَّث عن مورتون لينش!»

هَز رأسه بعناد. وقال: «لا أعرفُ هذا الرجل.»

قلتُ وقد كدتُ أصرخ: «لينش! مسئول الأمن في شركة رين!»

أشرتُ إلى كأس برونزية بَهيجة الشكل خلف طاولة الشراب. وقلتُ: «ذلك هو لينش! الرجل الموضوع اسمه على تلك الكأس بعد هزيمتك أمامه في بطولة ألواح المقذوفات العام الماضي!»

أشارَ كولينجسورث بيده عبر طاولة الشراب، فجاءه ليمبي. ومن ثَم سأله: «أيمكنك أن تخبر السيد هُول مَن كان رئيس الأمن الداخلي في المُنشَأة على مدى السنوات الخمس الماضية؟»

أشارَ ليمبي بإبهامه نحو رجل في منتصف العمر مُكفهِرِّ الوجه يجلس على المقعد الأخير. ثم قال: «جو جادسِن.»

«والآن يا ليمبي، ناوِل السيد هُول هذه الكأس.»

قرأتُ النقش: «أفيري كولينجسورث، يونيو ٢٠٣٣.»

ترنَّحَت الغرفةُ ودارت بي، وبدا أن رائحة التبغ اللاذعة تندفع عاصفةً وتُغلِّفني كالضباب. تلاشت الموسيقى، وآخِر ما أَتذكَّره كان محاولتي أن أتمالكَ نفسي بالتشبُّث بطاولة الشراب.

لكن لا بد أنني لم أفقد الوعي تمامًا. فما أتذكَّره بعد ذلك أنني اصطدمتُ بشخصٍ على الرصيف الثابت بجوار سير المارَّة الأبطأ سرعةً. استفقتُ واتكأتُ على مبنًى على بُعد عدة بنايات من مكان التدخين السري.

لا بدَّ أنها كانت نوبة أخرى، ولكنني فيما يبدو ظللتُ خلالها مالكًا زمامَ نفسي. ربما حتى لم يلحظ أفيري أنَّ شيئًا لم يكن على ما يُرام. وها أنا أستعيدُ وعيي فجأة، شعرتُ أنني مُشوَّش ومُضطرِب، ورحتُ أُحدِّق عميقًا في سماء الشفق.

فكَّرتُ في أمر لينش وأنا أشعر بالعجز، في اسمه على الكأس، وفي رسم فولر. هل اختفى كلُّ هذا حقًّا؟ أم تُراها كلها تهيُّؤاتٍ من نَسج خيالي؟ لماذا بدا النظام والمنطق يتداعيان فجأةً من حولي؟

عبرتُ منصة تحويل الرصيف المتحرك متحيِّرًا من أمري، وتوجَّهتُ نحو الجانب الآخر من الطريق. كانت حركة المرور خفيفة، ولم تكن هناك سياراتٌ طائرة على وشك الهبوط على أقرب منطقة هبوط مركزية. بالأحرى لم أجد أيًّا منها حتى اقتربتُ مسافة ٢٠ قدمًا من الجزيرة.

ثم جاءت سيارةٌ طائرة تنقضُّ خارجةً من الغبار المتجمِّع، تعوي بصافرة الطوارئ. يبدو أنها كانت خارجةً عن السيطرة؛ فقد اهتزَّت بعنفٍ، حيث انزلقت خارجةً تمامًا عن مسار شعاع توجيه الهبوط، واتجهت نحوي مباشرةً.

هُرعتُ إلى الرصيف المتحرك العالي السرعة. كادت حركة السير المفاجئة ترمي بي مرةً أخرى أسفل السيارة الهابطة. لكنني تمسكتُ وتمالكتُ زمام نفسي في النهاية لأعتدل في جِلستي وأنظر خلفي.

أسندَت السيارةُ الطائرة نفسَها آليًّا باندفاعٍ هوائي للطوارئ أوقفَ زخمَها أخيرًا على بُعد بوصةٍ واحدةٍ من الطريق.

لو لم أكن قد خرجتُ عن المسار، لكانت الريشات الداخلية قد مزَّقَتني إرْبًا إرْبًا، ولم تترك مني شيئًا يمكن الاستدلال به على هُويتي.

الفصل الرابع

انتابتني سلسلةٌ من الكوابيس، كنت فيها كلما أمسكتُ بشيءٍ تحوَّل إلى أشلاء، فلم أحظَ إلا بفتراتِ نومٍ قصيرة متقطِّعة دون راحة حتى ساعاتِ النهار الأولى. ومن ثَم أطلتُ في النوم، واضطُررتُ للخروج دون أن أتناول الإفطار.

ومع ذلك، فقد تجنَّبت، في طريقي إلى وسط المدينة، الطُّرقَ ذات الاختناقات المرورية الكبيرة، وهو ما زاد من تأخري نظرًا لطول المسافة التي قطعتُها، ورحتُ أفكِّر في أثناء ذلك في حادث الليلة السابقة الذي كاد يقضي عليَّ. هل ما حدث طبيعي؟ هل خرجت السيارة الطائرة عن نطاق السيطرة عمدًا؟

نفضتُ عني الشك. ما كان من الممكن أن يكون الحادث مدبَّرًا. ومن ناحية أخرى، فقد تعرَّض الدكتورُ فولر لحادث أودَى بحياته لا يمكن أن يكون مدبَّرًا كذلك. وكان هناك كذلك اختفاءُ لينش. هل كانت ثمة نية عصية على التصوُّر وراء ذلك أيضًا؟ وكيف بدا الآن أنَّ ثلاثة من أقرب معارف لينش لم يسمعوا به من قبل؟

هل كان منبع كل هذه التطورات المذهلة هو بعض المعلومات المبهَمة التي نقلها فولر إلى لينش؟ هل كانت معرفة لفتت الأنظار، أول ما لفتت، إلى صاحبها الأصلي، ثم إلى مَن خلفه في معرفتها؟

حاولتُ تجميع أجزاء اللُّغز معًا في منظور منطقي بعضَ الشيء، لكنني لم أستطع. فقد ظلَّت صورة اللافتة المُبدلة على الكأس تتصدر المشهد أمامي مرارًا وتكرارًا، جالبةً معها رسمًا بالحبر الأحمر أصبحَ الآن غير موجود، ورجلًا ضئيل الجسم أشبه بحيوان ابن عِرس، جلسَ متعجرفًا في مقعده في مكان التدخين السري، في حين ادَّعى ليمبي أنه رئيسُ الأمن في شركة رين.

الأمر برُمَّته يفوح برائحة شيءٍ لا يمكن وصفه بأقل من أنه خارق للطبيعة. لقد تجنَّبتُ هذا التفسير قدر ما تمكَّنتُ. ولكن ماذا عساه أن يكون غير ذلك؟

على أي حال، بدا شيءٌ واحد على أقل تقدير مرجَّحًا، وهو أنَّ فولر ولينش قد تورَّطا بمعرفة «معلوماتٍ سرية» أو «اكتشافٍ أساسي»، سَمِّه ما تريد. ماذا كان سيحدث لي لو كنت قد حصلتُ على تلك البيانات؟ أو حتى استمررتُ في إبداء اهتمامي بها؟ هل كان حادث السيارة الطائرة مجرد تحذير؟

وجَّهتُ عربتي للهبوط في ساحة انتظار شركة رين، وجعلتُها تتحرك بسرعة إلى مكانها المخصَّص. بمجرد أنْ أطفأتُ المحرك، سمعتُ جَلَبة أمام المبنى.

عندما تمكَّنتُ من العبور، تفاديتُ أنبوبًا يندفع في الهواء في اتجاه نافذة الطابق الأول. ولكنه فقدَ زَخْمه في وابل من الشَّرر، ثم تحطَّم على الأرض عند حافة حاجز التنافُر.

ازداد عددُ المعتصمين من راصدي ردود الأفعال بمقدار ثلاثة أضعاف. ومع ذلك، كانوا لا يزالون محافظين على النظام. غير أن مصدر القلق كان بالأحرى من حشدٍ غلبت عليه الفظاظة كان قد تَجمهَر متحديًا فِرقةً من قوات مكافحة الشغب.

في نهاية المربع السكني، وعلى منصة التحويل، كان هناك رجل أحمر الوجه يصرخ في مكبِّر صوتٍ:

«فلتسقط شركة ريأكشنز! لم نشهد كسادًا منذ ثلاثين عامًا! سيؤدي الجمع الآلي للآراء إلى انهيار اقتصادي كامل!»

اقتربَ مني رقيبُ فِرقة مكافحة الشغب. وسألني: «هل أنتَ دوجلاس هُول؟»

عندما أومأتُ برأسي أنْ نعم، أضاف قائلًا: «سأُرافِقكَ إلى الداخل.»

شغَّل مولِّد الشاشة المحمول الخاص به، وشعرت بوخزٍ نتيجة مجال التنافُر الذي طوَّقَنا أثناء تكوُّنه حولنا.

قلتُ له معبِّرًا عن استيائي وأنا أتبعه نحو المدخل: «لا يبدو أنكَ تحاول فضَّ هذا الحشد.»

«نحن نوفِّر لك الحماية الكافية. علاوةً على ذلك، إذا لم نسمح لهم بالتنفيس عن غضبهم، فسيزداد الأمر سوءًا.»

بالداخل، كان كلُّ شيءٍ طبيعيًّا. لم يكن هناك ما يشير إلى أنه على بُعد أقل من مائة قدم كان المتعاطفون مع راصدي ردود الأفعال يستفزُّون عُش الدبابير. لكن حجم العمل العاجل في جدول أعمال اليوم تطلَّب هذا القدر من اللامبالاة.

ذهبتُ مباشرةً إلى قسم شئون العاملين. لم أجد في خزانة الملفات، وتحديدًا في الحرف «إل»، أيَّ ملفاتٍ باسم مورتون لينش.

ووجدتُ في الحرف جي «جادسِن، جوزيف إم، مدير الأمن الداخلي». كان تاريخُ صدور استمارة طلب التوظيف ١١ سبتمبر ٢٠٢٩؛ أي قبل خمس سنوات. وأَظهَر الملفُّ أنه عُين في منصبه الحالي منذ أسبوعَين.

سألتني موظَّفة الملفات: «هل من خَطبٍ ما يا سيد هُول؟»

فالتفتُّ إليها. وسألتُها: «هل هذه البيانات مُحدَّثة؟»

قالت باعتدادٍ: «نعم يا سيدي. إني أحدِّثها كلَّ أسبوع.»

«هل أتتنا أي شكاوى بشأن جو جادسِن؟»

«أوه، لا يا سيدي. لا يوجد في ملفه سوى شهادات الكفاءة والأهلية. علاقتُه جيدة بالجميع. أليس هذا صحيحًا يا سيد جادسِن؟» وابتسمتْ بلطفٍ تجاه شخصٍ يقف خلفي.

التفتُّ. كان الرجلُ ذو الوجه الشبيه بوجه حيوان ابن عِرس يقف هناك.

ابتسمَ ابتسامةً عريضة. وقال: «هل اشتكى أحدٌ مني يا دوج؟»

التزمتُ الصمتَ للحظة. ثم تمكَّنتُ أخيرًا أن أقول «لا» بنبرة ضعيفة.

ردَّ قائلًا، وكان من الواضح أنه نظرَ إلى الأمر برُمَّته بسطحية: «ذلك جيد. بالمناسبة، هيلين تشكرك على السلمون المُرقَّط الذي أرسلتَه من البحيرة. إذا لم تكن مرتبطًا بأي شيءٍ مساءَ الجمعة، فلتأتِ إلى منزلنا ولْتتناول العشاءَ معنا. يريد جونيور أن يسمع المزيدَ عن المحاكاة الإلكترونية. لقد جعلته منبهرًا للغاية بالموضوع.»

جو جادسِن، هيلين، جونيور، تردَّدت الكلماتُ جوفاءَ في أذني بلا معنًى، كما لو كانت أسماءً غريبة للسكان الأصليين لعالَم لم يُكتشَف بعدُ على الجانب الآخر من المجرَّة. وقد ذكرَ سمك السلمون المرقَّط، عجبًا، لم أصطد سمكة واحدة طَوال الشهر الذي كنت فيه عند البحيرة! على الأقل، لم أتذكَّر أنني اصطدتُ أيَّ سمك.

خطرت لي فكرةُ إجراء اختبار أخير. تركتُ جادسِن والموظَّفة يتبادلان النظرات في ذهول، وأسرعتُ عبر الممر إلى مكتب تشاك ويتني في قسم توليد الوظائف. وجدتُه مُنكبًّا برأسه يتفحَّص الأجزاء الداخلية لمدمج البيانات الرئيسي الذي يستخدمه. ربتُّ على كتفه ورفعَ رأسه.

بدأتُ قائلًا: «تشاك، أنا ...»

فسألني: «نعم يا دوج، ما الأمر؟» وقد بدت البشاشةُ على وجهه الوَدود الضارِب إلى السُّمرة، ثم بدا متحيِّرًا من تردُّدي الجَلي.

مرَّر يده خلف رأسه عبر شعره الأسود الكثيف، الذي كان شديد التلبُّد في تجعُّداته العنيدة على نحو يُذكِّرنا بقَصَّة البحَّارة ذات الشعر القصير، التي عفا عليها الزمن منذ ما يزيد على جيل كامل. ثم سأل وقد بدا عليه القلق: «هل لديك مشكلة؟»

قلتُ مترددًا: «الأمر يتعلق بـ... مورتون لينش. هل سمعتَ عنه من قبل؟»

«مَن؟»

كرَّرتُ قائلًا وقد تملَّكَني اليأسُ فجأة: «لينش. مورتون، مسئول ... أوه، لا تهتم. انسَ الأمر.»

بعد لحظاتٍ كنت عند مَدخل غرفة الاستقبال في مكتبي، ورُحِّب بي ببشاشةٍ: «صباح الخير يا سيد هُول.»

أَعدتُ النظر إلى موظَّفة الاستقبال. كانت الآنسة بويكينز قد رحلت. وفي مكانها جلست دوروثي فورد، شقراء على نحو لافت للنظر، ومُتأهِّبة حيث نظرتْ إليَّ بأُنسٍ خَجول. تمتمتْ: «هل تفاجأتَ؟»

سألتُها: «أين الآنسة بويكينز؟»

فأجابتني: «استدعاها السيدُ سيسكين وذهبتْ إليه. إنها الآن في ربوع المؤسسة الداخلية المريحة، هانئة، حسبما نأمُل؛ حيث تحظى بحفاوة القُرب من «عظيم الشأن قصير القامة».»

دنوتُ منها. وسألتُها: «هل هذا تعديلٌ دائم؟»

أرجعتْ للوراء خصلةَ شعر كانت قد ضلَّت طريقها على صُدغها. ولكنها بطريقة ما لم تبدُ بذلك القدر من التهور، أو عدم الكفاءة الذي كانت عليه في حفل سيسكين. نظرت للأسفل إلى يدَيها وقالت بنبرةٍ إيحائية: «أوه، أنا متأكِّدة أنك ليست لديك مشكلة مع التغيير يا دوج.»

لكنني كان لديَّ مشكلة مع الأمر. وربما أظهرتُ ذلك كثيرًا عندما دخلتُ إلى مكتبي قائلًا بضجر: «سأعتادُ الأمر.» لم أكن أقدِّر حقيقةَ أن سيسكين كان كمَنْ يُحرِّك بيادقَه على رقعة الشطرنج، وأنني كنت واحدًا من تلك البيادق. أصبح من الواضح الآن أنه يعتزم فرض إرادته عندما يحين الوقت لتعيين المهام التي سيؤديها محاكي البيئة. ولم يكن لديَّ أدنى شك في أنه سيرفض توصيتي باستخدام جزءٍ من النظام لأغراض البحث الاجتماعي، تمامًا حسبما كان على وشك أن يعطي فولر رفضًا قاطعًا على الأمر نفسه.

ولكن في حالتي، كان هناك شكلٌ من أشكال المهادنة، ومن الواضح أنه شكلٌ من أشكال الإلهاء المفترَض أن يثير الاهتمام. من المُسلَّم به أن هيئة الآنسة بويكينز لم تكن متكلَّفة بالقدر الذي يجعلها نقيضًا صارخًا لمفهوم البساطة، ولكنها كانت تتمتع بالكفاءة واللُّطف. أما دوروثي فورد المتعددة المواهب، فقد كان من شأنها أن تخدم أغراضًا عديدة، والتي من أهمها، بلا شك، «مراقبتي» لصالح مؤسسة سيسكين.

لم تشغل تلك الأفكار ذهني لفترة طويلة، حيث جذبني لغز لينش مرةً أخرى كالمغناطيس.

فتحتُ الهاتفَ المرئي، وفي غضون ثوانٍ ظهر الملازم ماكباين على الشاشة.

بعد أن عرَّفتُه بنفسي، قلتُ: «بخصوص بلاغي حول مورتون لينش ...»

«ما هي الإدارة التي تريد التحدُّث إليها؟»

«إدارة المفقودين، بالطبع. أنا ...»

«متى قدَّمتَ بلاغك؟ وعمَّ كان؟»

بلعت ريقي بصعوبة. ولكن ردَّ فعله لم يكن غريبًا بطريقة ما. قلتُ متلعثمًا: «مورتون لينش. في حفل سيسكين. حادث الاختفاء. لقد جئتُ إلى شركة ريأكشنز و...»

«معذرةً يا سيد هُول، لكن لا بد أنك قد اختلط عليك الأمرُ بيني وبين شخص آخر. لم تتلقَّ هذه الإدارة أيَّ بلاغ من هذا النوع.»

بعد عدة دقائق كنت لا أزال أحدِّقُ في الشاشة الفارغة.

ثم انحنيتُ فجأةً للأمام في مقعدي وفتحتُ الدُّرج العلوي. كانت طبعة الجريدة المسائية التي وضعتُها جانبًا لا تزال موجودة. قلَّبتُ صفحاتها بفارغ الصبر حتى وصلت إلى صفحة العروض، وقرأتُ المقال الأخير في عمود ستان والترز.

لقد كان نقدًا ساخرًا ولاذعًا لأحدث عروض مسرح المجتمع.

لم تُذكَر كلمةٌ واحدة عن مورتون لينش والحفل الذي أقامه سيسكين في سقيفة مبناه.

كان صوتُ جرسِ جهاز الاتصال الداخلي يرنُّ بلا هوادةٍ إلى أنْ ضغطتُ أخيرًا على زِر الرد، دون حتى أن أنظر إلى الشاشة. وقلتُ: «نعم يا آنسة فورد؟»

«السيدُ سيسكين هنا لمقابلتك.»

مرة أخرى لم يكن وحده. أحضر معه هذه المرة رجلًا أنيقًا جعلتْ بِنيتُه «دمية دوروثي الصغيرة الأنيقة» تبدو أصغر بجواره.

قال سيسكين بحماس: «دوج، أريدُ أن أعرِّفك بشخص ليس هنا! هل تفهمني؟ لم يكن هنا قط. وبعد رحيلنا، سيبدو كما لو أنه لم يكن موجودًا، وذلك حسبما تعتقد.»

نهضتُ واقفًا، وكدتُ أطيح بمقعدي عندما أدركتُ التشابه بين ما قاله وما حدث للينش.

قال معزِّفًا كلًّا منا إلى الآخر وقد بلغَ ذروة حماسه: «دوجلاس هُول، وين هارتسون.»

مدَدتُ يدي مرتجفًا، وعلى الفور أمسكتْ بها قبضةٌ قوية بإحكام.

سأل هارتسون: «هل سأعمل مع هُول؟»

«ليس قبل أن نسوي كلَّ شيء. وليس قبل أن يعي دوج أنَّ ما نقوم به هو لمصلحة الجميع.»

عبسَ هارتسون. «ظننتُ أنكَ قد سويتَ كلَّ شيءٍ داخل مؤسستك.»

طمأنَه سيسكين قائلًا: «أوه، لقد قمت بذلك بالفعل!»

ثم تذكَّرتُ الرجل. إنه وين هارتسون، أحد أبرز الشخصيات السياسية في البلاد.

تابعَ سيسكين وهو يكاد يهمس: «من دون هارتسون، لم تكن الإدارة لتتمكَّن من مباشرة أعمالها. بالطبع كل علاقاته سرية؛ لأن ظهوره لم يكن إلا للتوفيق بين جهود الحزب والحكومة.»

اتصلت دوروثي، وظهر وجهها عبر جهاز الاتصال الداخلي. وقالت: «راصد ردود أفعالٍ مُعتمَد رقم ٣٤٧١-ج عبر الهاتف المرئي يريد التحدُّث إلى السيد هُول.»

توهَّج الغضبُ في عينَي سيسكين عندما دفع بنفسه أمام الشاشة. وقال: «أخبريه ...»

غير أنَّ وجه الفتاة كان قد اختفى، وحلَّ محلَّه بالفعل وجهُ مستطلِع الآراء. قال: «إنني أُجري استطلاعًا حول تفضيلات الرجال لهدايا أعياد الميلاد.»

ردَّ سيسكين متذمِّرًا: «إذن هذا ليس استطلاعًا ذا أولوية، أليس كذلك؟»

«بلى يا سيدي. ولكن ...»

«السيد هُول يرفض الإجابة. يمكنك استخدام تسجيل هذه المحادثة لتحصيل الغرامة.»

أغلق سيسكين الاتصالَ واختفَت الصورة، بينما كان الرجل يستجمع شتات نفسه، ويحاول رَسْم ابتسامةٍ على وجهه. لا ينزعج راصدو ردود الأفعال مطلقًا من المطالبة بنصيبهم من غرامات رفض إجراء الاستطلاعات.

تابعَ سيسكين: «وأما عن السيد هارتسون، فكنت أقول إن الإدارة لا تستطيع تدبُّر أمرها من دونه.»

قلتُ، متوخِّيًا الحيطة مما كنت أعلمُ أنه سيحدث لاحقًا: «لقد سمعتُ عن السيد هارتسون.»

سحب هارتسون كرسيًّا وجلس واضعًا ساقًا فوق الأخرى، واكتسى وجهُه بتعبيرٍ يُوحي بالصبر وطول الأناة.

ذَرَع سيسكين المكانَ جيئةً وذهابًا، وأخذَ يرمقني بين الحين والآخر. ثم قال: «لقد تحدَّثنا عن هذا الأمر من قبل يا دوج، وأنا أعلم أنك لا تتفق معي في بعض النقاط. ولكن، يا فتى، يمكن أن تصبح شركة ريأكشنز أهم شركة في البلاد! ثم بعد أن نستردَّ استثماراتنا، سأُنشئ لك نظامَ محاكاةٍ آخر يمكنك استخدامه حصريًّا في الأغراض البحثية.

الأمر وشيك يا دوج، أعني نظام الحزب الواحد. لا يمكننا إيقافه. ولست على يقين أنه سيحلُّ بالسوء على البلاد. لكن بيتَ القصيد في الأمر هو أن شركة ريأكشنز سيكون لها دور في المراحل المبكرة لهذا التحوُّل!»

أعربَ هارتسون عن رأيه. وقال بصراحة: «يمكننا النجاحُ في غضون العامَين القادمَين أو الأعوام الثلاثة القادمة، بإعاقة الحزب الآخر تمامًا واستجلاب أهم كوادره، إذا لعبنا أوراقنا على النحو الصحيح.»

انحنى سيسكين على المكتب. وقال: «وهل تدري ما الذي سيخبرهم بالأوراق التي يلعبونها ... في جميع الانتخابات المحلية والوطنية وفي كل مسألة؟ إنه المُحاكي الذي صنعتُه لكم!»

شعرتُ ببعض الغثيان من حماسه المتهوِّر. ومن ثَم، سألتُه: «وما الذي سيعود عليك من هذا؟»

استأنف ذَرْعه جيئةً وذهابًا بعينين مفتوحتين لا تستكينان، ثم قال معدِّلًا سؤالي: «بل ما الذي سيعود علينا؟» ثم أردفَ: «سأخبرك يا بُنيَّ. يمكننا التطلع إلى اليوم الذي سوف يحظر فيه القانون منظومة استطلاع الآراء بأكملها، الرصد الشفهي لردود الأفعال، باعتبارها مصدر إزعاج لا يُطاق للجمهور.»

سعلَ هارتسون لجذب الانتباه. ثم قال: «ستكون شركة ريأكشنز في الصدارة بعمليتها السرية. فستظل هناك حاجة لاستطلاعات الآراء، التي ستكون أكثر شموليةً من أي وقتٍ مضى. لكن ...» هزَّ رأسَه في قلقٍ زائف، ثم قال: «لا أدري كيف ستُلبَّى هذه الحاجة دون إقامة امتياز فيدرالي لشركة رين.»

أمسكَ سيسكين بالمكتب بقوة، وقال: «ألا ترى يا دوج؟ سيكون نظامُ محاكاة سيسكين وهُول في كل مدينة! سيكون القرار بيد وحدات رد الأفعال «الخاصة بك!» سيعني هذا عالَمًا جديدًا كليًّا! وحينئذٍ، بعد وضع جميع الأساسات، ستكون لديك مجموعةٌ كاملة من

مؤسسات المحاكاة الإلكترونية تبحث في طرق تحسين العالم، وجَعْله مكانًا أفضل وأكثر عدلًا وإنسانية!»

ربما كان عليَّ أن أخبره أنَّ عليه البحث عن مختصٍّ محاكاة إلكترونية آخر، ولكن ما الفائدة التي كان من الممكن أن تعود عليَّ من ذلك؟ إذا كان الأمرُ — كما اعتقد فولر — أنَّ سيسكين والحزب يخطِّطان لمؤامرةٍ كبرى، فما الذي كان سيعود عليَّ من التنازل عن موقع استراتيجي؟

سألتُ: «ماذا تريدني أن أفعل؟»

ابتسمَ سيسكين ابتسامةً عريضة. وقال: «واصِلْ عملك على نفس المنوال الحالي. وأبرِمْ بعضَ العقود التجارية. سيُمكِّننا هذا من اختبار إمكانات النظام. وفي الوقت نفسه، يمكنك التفكير في إعادة برمجة الآلة بأكملها، محوِّلًا إياها إلى مُحاكٍ مُوجَّه للأغراض السياسية.»

اقتحمت دوروثي المحادثة عبر جهاز الاتصال الداخلي. وقالت: «يا سيد هُول، السيد ويتني يعمل على برمجة تلك الدفعة الجديدة من وحدات رد الأفعال. ويريد أن يعرف ما إذا كان بإمكانك أن تأتي إليه.»

في طريقي إلى قسم توليد الوظائف، صادفتُ أفيري كولينجسورث في الممر.

قال: «لقد أعطيتُ ويتني لتوِّي موافقةً نهائية على الخصائص النفسية لوحدات الهوية السبع والأربعين الجديدة. هذا موجَز الأمر في حالِ أردتَ أن تفحصه.»

رفضتُ أن آخذ لوحَ الكتابة الذي قدَّمه لي. وقلتُ: «لا ضرورة لذلك. لم أشكِّك في حكمك من قبل.»

فقال بدوره: «قد أخطئ سهوًا، كما تعلم.» وابتسم.

ورددتُ: «لن تُخطئ.»

تردَّد، وحاولتُ أن ألوذَ بالفرار دون أن أجعله يظن أنني كنت قلقًا بشأن ما حدث في غرفة التدخين السرية.

لمس ذراعي باهتمام. ثم سألني: «هل أنتَ بخير الآن؟»

أجبتُه: «بالطبع.» وأجبرتُ نفسي على إطلاق ضحكة عفوية. ثم أضفت: «بشأن الليلة الماضية في حانة ليمبي، أظن أنني أسرفتُ في الشرب بعضَ الشيء بينما كنت أنتظرك.»

ابتسمَ بارتياح واستمر في طريقه إلى نهاية الردهة.

خارج قسم ويتني، وقفتُ بحيوية واتكأتُ بظهري على الحائط. ها هو الأمر نفسه يحدث من جديد، بحارٌ تمُوج في أذنيَّ، ونبضٌ يضرب صُدغيَّ. لكني قاومتُ فِقدانَ الوعي.

في النهاية استقرت الجدران، ووقفتُ هناك متوترًا خائفًا. وبعد أن ألقيتُ نظرة على الممر لأرى إنْ كان أحد قد شاهدَ النوبة التي انتابتني، واصلتُ طريقي إلى غرفة توليد الوظائف.

كان تشاك ويتني مبتهجًا وهو يخرج من تجويف الصيانة. صاح قائلًا: «دُمجَت جميعُ وحدات الهوية السبع والأربعين بنجاح!»

سألتُه: «ألم تواجهك أي مشكلات؟»

فأجابني: «لم يحدث أيُّ انسحابٍ مفاجئ. يبلغ تعدادُ السكان الحالي في المُحاكي ٩١٣٦.»

أخذنا المصعدَ إلى إحدى «ردهات» الهوية في الطابق الثاني. سِرتُ إلى أقرب صف من صفوف وحدات التخزين. توقفتُ مبهورًا عند وصولي إلى بداية الصف الذي يحوي الكيانات المضافة حديثًا.

كانت كلُّ وحدة من وحدات التحكم تبثُّ تأكيدًا مطَمئنًا عبر صوتٍ خفيض من حاويات الذاكرة الطنَّانة، وقعقعة نقاط الاتصال المتشابكة، وإيقاعات الآليات المُعزِّزة، بحيث أصبحت الحياة الزائفة بداخلها مُفعَمة بالحيوية ومنظَّمة، وأصبحت الدوائر المعرفية مُحفَّزة كما ينبغي.

شاهدتُ الأضواءَ المتعددة، الدالة على تشغيل الوظائف، تومِض على لوحتَين. بدَت المصابيح المقابِلة وكأنها تُومِض وتنطفئ في تناغُم تام. وتخيَّلتُ هذا الزوج من وحدات رد الفعل في اتصال متجانس. ربما شاب وشابة. محمولان على الرصيف المتحرك، مُشبِّكان ذراعَيهما. بل ربما يفكِّران في أفكار مماثلة، بينما يكوِّن كلٌّ منهما هيكله الخاص للتجربة الاختيارية بناءً على الواقع الذي قدَّمناه لهما.

فهمتُ جيدًا، دون تَحفُّظ الآن، كيف قرَّر فولر أن يشير إلى الشخصيات في مُحاكيه بعبارة «أشخاصي الصغار».

قاطعَ تشاك أفكاري. فقال مقترِحًا: «يمكنني أن أخصِّصَ لك دائرة تقمُّص مباشر أو دائرة مراقبة أشخاص، إذا كنت تريد أن تُجري فحصًا عشوائيًّا سريعًا.»

لكنَّ السماعة المعلَّقة على الحائط رنَّت فجأةً، وسُمع صوتُ دوروثي فورد. إذ قالت: «يا سيد هُول، يوجد هنا رئيسُ شرطة يُدعَى فارنستوك يطلبُ رؤيتَك. إنه ينتظر في غرفة الوظائف.»

نزلنا بالمصعد، وتقدَّم فارنستوك نحونا مُظهِرًا شارته.

سألَ مُحدِّقًا في ويتني: «هل أنت هُول؟»

صحَّح له تشاك قائلًا: «لا، أنا ويتني. هذا هُول.»

شعرتُ بالتوتر، ولكن للحظة فقط، عندما لم يستطع التعرف عليَّ. ولكن ألم يتصرف الملازم ماكباين وكأنه لم يسمع بي قَبلًا قبل ما لا يزيد عن ساعة؟

غادرَ تشاك الغرفة وقال قائدُ الشرطة: «أودُّ أن أطرحَ عليك بعضَ الأسئلة بخصوص وفاة الدكتور فولر.»

رفعتُ حاجبي في فضول، وسألتُه: «لماذا؟» ثم أضفتُ: «لقد قال محقِّق الوفَيَات إنَّ الوفاة كانت حادثًا، أليس كذلك؟»

ارتخت أساريرُ رئيس الشرطة الجامدةُ الغليظة. وقال مستعليًا: «نحن لا نتوقفُ في تحقيقنا مطلقًا عند هذا الحَد. سأكون صريحًا معك يا سيد هُول. من المحتمَل أنَّ ما حدث لفولر لم يكن حادثًا على الإطلاق. بَلَغني أنكَ كنت في إجازة في ذلك الوقت.»

أربكَني سؤاله. ليس لأنه يستجوبني حول ما تعتبره الشرطة الآن جريمة قتل. ولكن لأنَّه بدا لي أنَّ بعضًا من أجزاء هذا اللُّغز تتجمَّع بطريقة غير متوقَّعة تمامًا.

مات فولر، ورحل لينش. ولم يَعبأ أحدٌ أيضًا. كلُّ ذلك بسبب بعض المعلومات «الأساسية» التي أحاولُ الآن معرفة طبيعتها. وكنت على وشك أن أُقتَل في أثناء ذلك. والآن، تحقيق الشرطة الذي تغيَّر فجأة. هل كانت مناورة تكتيكية لإقصائي وتنحيتي جانبًا؟ ولكن كيف؟ ومَن عساه أن يكون المسئول عن ذلك؟

قال فارنستوك مهادِنًا: «حسنًا، ما قولك؟»

أجبتُه: «أخبرتُك أنني كنت في كوخي على البحيرة.»

فسألني مجدَّدًا: «ماذا تقصد بأنكَ قد أخبرتني؟»

بلعتُ ريقي. ثم قلتُ: «لا شيء. لقد كنت في كوخي.»

«هل كان معكَ أحد؟»

«لا.»

«إذن ليس لديك إثباتٌ من أي نوع أنك كنت هناك في وقت وفاة فولر. أو أنك قد ذهبت إلى كوخك من الأساس.»

«لماذا عليَّ أن أثبت أيَّ شيء؟ لقد كان فولر أعزَّ أصدقائي.»

ابتسمَ ابتسامةً ساخرة. «هل كان لك بمثابة أب؟»

نظرَ حوله، كما لو كان يرى المبنى بأكمله وليس غرفة الوظائف فحسب. وقال: «أنت في منصب جيد الآن، أليس كذلك؟ المدير الفني. ولديك فرصة في الحصول على حصةٍ في ملكيةِ واحدةٍ من أبرز شركات القرن الحادي والعشرين.»

قلتُ بهدوءٍ: «يوجد مستودَع للمؤن على بُعد نصف ميل من الكوخ، حيث كنت أذهب إليه كلَّ يوم تقريبًا للحصول على أغراضي. ستُظهِر أشرطةُ الحساب عدد مرات محاسبتي بسعتي الحيوية الخاصة وأوقاتها.»

قال بحذر: «سنرى.» ثم أضافَ: «في الوقت الحالي، لا تذهب إلى أي مكان بخلاف الأماكن المعروف لنا أنك تتردد عليها.»

الفصل الخامس

مرت بضعة أيام أخرى قبل أن يُتاح لي الوقتُ لإجراء فحص عشوائي للمحاكي «سميولكرون-٣». علاوةً على كوني أسيرًا للعمل، كان عليَّ استرضاءُ سيسكين من خلال وَضْع بعض الخطط الأولية؛ لتحويل مجمع المحاكاة الإلكترونية إلى قاعدة ذات توجُّه سياسي.

في هذه الأثناء، ظلَّت أفكاري مشوَّشةً بتحقيق الشرطة الذي فُتح مجدَّدًا. أتُراه إجراءً مستقلًّا اتخذَته الشرطة من جانبها؟ أم أن غاية ما في الأمر أنَّ سيسكين كان يستخدم نفوذه ليوضِّح لي ما يمكن أن يحدث إذا قررتُ عدم مسايرته هو والحزب؟

في إحدى المرات، خلال محادثة عبر الهاتف المرئي مع سيسكين، طرحتُ مسألة زيارة رئيس الشرطة فارنستوك. وشعرتُ أنَّ شكِّي كان في محله، عندما لم يُبدِ سوى القدر القليل من الدهشة من اهتمام الشرطة المفاجئ بوفاة فولر.

قال كي يوضِّح لي ببراعةٍ أنه من مصلحتي أن أظلَّ أعمل لصالحه: «إذا شرعوا في مضايقتك، فما عليكَ سوى أن تُعلِمني.»

قررتُ بعد ذلك أن أجسَّ نبضه في مسألة أخرى. قلتُ بحذر: «لا يمكنك إلقاء اللوم على الشرطة لالتزامهم بالتحقيق في الأمر. فقد ظلَّ لينش يزعم أن وفاة فولر لم تكن حادثًا.»

«لينش؟ لينش؟»

واصلتُ بجرأة ولكن بغموضٍ في الوقت نفسه. «مورتون لينش. الرجل الذي اختفى أثناء حفلك.»

«لينش؟ اختفى؟ ما الذي تتحدَّث عنه يا بُنيَّ؟»

كان ردُّ فعله صادقًا. وهذا يعني أن سيسكين، مثله مثل أي شخصٍ آخر سواي، قد نسي تمامًا الرجل الذي اختفى من الحديقة العلوية في مَبناه. أو لعله يجيد التمثيل ببراعة فائقة.

قلتُ متقنًا الكذب: «ظلَّ لينش يمزح معي بشأن التخلص من فولر والاستحواذ على منصبه.»

عندما تسنَّى لي الوقتُ أخيرًا لإجراء الفحص العشوائي للمُحاكي الذي اقترحه ويتني، فوجئتُ أنني وجدتُ نفسي أُقبِل على التجربة بترقُّبٍ أكثر من المعتاد.

اصطحبني تشاك إلى غرفة «العين السحرية»، ووجَّهني إلى أقرب أريكة للاستلقاء عليها. سألني بابتسامة عريضة: «أيَّ نوعٍ من المراقبة تريد؟ أترغب في دائرة مراقبة؟»

فأجبتُه: «لا. أريدُ فقط اقترانًا تقمُّصيًّا عاديًّا.»

«هل تفضِّل وحدة هُوية بعينها؟»

«فلتَخترْ أنت.»

من الواضح أنه كان قد اختار بالفعل. ومن ثَم قال: «ما رأيك في دي طومسون، وحدة هُوية رقم ٧٤١٢؟»

«يناسبني ذلك. ما مهنته؟»

«سائقُ سيارةٍ طائرة. سنستدعيه في مهمة توصيل. ما رأيك؟»

«هيا بنا.»

وضع خوذة الانتقال على رأسي، ثم قال مازحًا: «إذا تسبَّبتَ لي في أي مشكلة، فسأعطيك جرعة من الجهد الكهربائي العالي.»

لم أضحك. حسب نظرية فولر، فإن الانفلات في إشارات المُعادِل يمكن أن يتسبَّب في انتقال عكسي. فكما ثُبِّتت ذاتُ المراقِب مؤقتًا في وحدة تخزين الهوية، قد تتسلَّل وحدةُ الهوية وتطبع نفسها في دماغ المراقِب في تبادُل عنيف ومفاجئ.

لا يعني ذلك أنَّ الانتقال العكسي لا يمكن التراجع عنه لاحقًا. ولكن إذا حدث شيءٌ ما لصورة وحدة الهوية في تلك الأثناء، فستتكوَّن نظريًّا حواجزُ أمام المراقِب المُحاصَر في بيئة المحاكاة.

اتَّكأتُ فوق بطانة الأريكة الجلدية أشاهدُ تشاك وهو يضبط إعدادات لوح الانتقال، مُجريًا بعضَ التعديلات النهائية، ثم مَد يده إلى مفتاح التفعيل.

كان ثمة تشويشٌ حاد قصير المدى في جميع حواسي، بدءًا من توهُّج ضوءٍ متغيِّر الألوان، مرورًا بدَويٍّ صوتٍ صارخ، وانقضاض مذاقاتٍ وروائح لا تُطاق، وانتهاءً بشعور باللمس.

ثم أصبحتُ هناك، في الجانب الآخر. مررتُ بلحظةٍ شعرتُ فيها بالخوف والارتباك؛ حيث أعادَت عملياتي الإدراكية التكيُّف مع المَلَكات الإدراكية لدى دي طومسون، وحدة هُوية رقم ٧٤١٢.

جلستُ إلى وحدة التحكم في السيارة الطائرة، أشاهد على مهلٍ المدينةَ التناظرية تمرُّ مُسرِعة من تحتي. كنت أشعر بكل شيءٍ، حتى بصدري (أو بالأحرى، صدر طومسون) بصعوده وهبوطه المنتظم، وبدفءِ أشعة الشمس المتوهِّجة عبر القُبَّة البلكسيكية.

غير أن علاقتي بهذا العالَم كانت سلبية. فلم يكن بإمكاني أن أفعل شيئًا سوى أن أنظر، وأسمع، وأشعر. ولكني لم أكن أملك القدرة على الحركة. كما لم تكن ثمة طريقة تُمكِّن الوحدة الذاتية من إدراك الاقتران التقمُّصي.

انزلقتُ بالشاحنة إلى المستوى الأدنى حيث يغيب الصوتُ، ووصلتُ إلى تدفُّق أفكاره الواعية، فوجدتُني كنت قلقًا أن أكون قد تأخَّرت. ولكن، اللعنة، فأنا (وحدة هُوية رقم ٧٤١٢) لا أعبأ بشيء. عَجبًا، كان بإمكاني أن أكسبَ ضِعف المبلغ لدى أي شركة توصيل أخرى.

بعدما أصبحتُ راضيًا عن اكتمال الاقتران، تراجعتُ (أنا دوج هُول) من التقمُّص التام إلى التقمُّص الواعي، ونظرتُ بعينَي طومسون حيث حدَّق في الرجل الجالِس في المقعد الآخر.

وتساءلتُ عما إذا كان مساعِده هو أيضًا وحدة هوية كاملة أم مجرد «دُمية». فقد صنعنا مئات الآلاف من «الدُّمى» لتجهيز البيئة المُحاكاة بشكل كامل.

انتظرتُ بفارغ الصبر أن يغذِّي تشاك مُحفِّز الاختبار. كنت أتطلَّعُ إلى المغادرة مبكرًا عصرَ ذلك اليوم؛ لأنه كان لديَّ موعدٌ مع جينكس في منزلها لتناول العشاء، والاطلاع على مذكرات الدكتور فولر.

وصلَ المحفِّز أخيرًا. وظلَّ طومسون يحدِّق فيه لمدة عشر ثوانٍ كاملة قبل أن أدركَ ماهيته.

على سطح أحد المباني المرتفعة بالأسفل، كانت مصابيحُ الزينون المتصاعِدة الأبخرة، والعالية الكثافة، لإحدى اللوحات الإعلانية الأفقية؛ تومِض مرارًا وتكرارًا:

سكوتش سوروبمان: مُعتَّق وغير لاذع
هل تعرف منتجًا أفضل تقطيرًا؟

لقد كانت خدعة لتحفيز وحداتنا الذاتية على التعبير عن رأيها. وقد جاء ردُّ الفعل الانعكاسي من طومسون، الذي كان قد ذاق المحاكي الإلكتروني المكافئ لسكوتش سوروبمان لما بدا له وكأنه عدة سنوات.

«اللَّعنة على الخمر الرديئة!»، هكذا شعرتُ (أنا وحدة هُوية رقم ٧٤١٢). «ربما لم يكن ليصبح بهذا السوء إذا كان قد عُتِّق بما يكفي للتخلُّص من مذاقه اللاذع. ولكن أيضعون شرابَ السكوتش في زجاجة تشبه كرة البولينج؟»

وفي الوقت نفسه، كانت جميعُ وسائل الإعلان المرئية الأخرى في جميع أنحاء المدينة التناظُرية تُومِض بالرسالة نفسها.

وكانت ردود أفعال الآلاف من كيانات وحدات الهوية يُجرَى فرزها، وتحليلها، وتجميعها في سجل الإخراج الرئيسي. في هذا السجل يُجرَى تصنيفها، وتخزينها، وفهرستها. وبمجرد ضغطة زر واحدة، تحصل على توزيعاتٍ حاسمة كاملة حسب العُمر، والجنس، والمهنة، والانتماء السياسي، وغيرها.

في غضون ثوانٍ قليلة، أنجزَ جهازُ محاكاة فولر ما كان سيستغرق شهرًا من الجهد، من قِبَل كتيبةٍ من راصدي ردود الأفعال المعتمَدين.

ما حدث بعد ذلك باغَتني، وكان من حُسن حظي أنَّ الاقتران التقمُّصي كان من طرَف واحد فقط. وإلا كان دي طومسون قد عرف أنه لم يكن وحده في دهشته.

ضربَت السماءَ الصافية صاعقةُ برقٍ عنيفة. توهَّجت ثلاثُ كراتٍ من النار فوق رءوسنا. ظهرت الغيوم من العَدم، وتوسَّعَت سريعًا في مداها حتى حجبَت كلَّ بقعةٍ تقريبًا من ضوء النهار، وأطلقت العِنان لسيول من البَرَد تسقط عنيفةً كضرب السِّياط. واشتعلت النيران فجأةً في مبنيَين أصغر بالأسفل.

استبعدتُ وأنا مذهول احتمالَ أن يكون تشاك قد تلاعبَ بدعائم خلفية المشهد. على الرغم من أن شيئًا كهذا كان من الممكن ألا تكترث به وحداتُ الهوية، دون اللجوء إلى بذل جهد محظور، باعتباره «نزوة من نزوات الطبيعة»، فلن يخاطر ويتني بإخلال التوازن الدقيق لمجتمعنا التناظري.

لم يبقَ سوى احتمال واحد، وهو أنَّ عُطلًا ما قد وقع في مجمع المحاكاة الإلكترونية! إخلال في التوازن، أو تعطُّل، أو توليد مضطرب للطاقة، أو حتى قطْع بسيط في الدائرة

الكهربائية، كلُّ هذا يمكن للنظام ترجمته تلقائيًّا على أنه مكافِئات «طبيعية» نوعًا ما لقوًى إلكترونية شاردة. لا بد من حدوث خلل في مكان ما في خط الاتصال، لكن تشاك لم يُرجِعني؛ لأنَّ الانسحاب من اقتران الاستعراض العاجل يجب أن يكون طوعيًّا أو في نهاية الفترة المُبرمَجة. وبخلاف ذلك، قد يُفقَد جزءٌ كبير من كيان وحدة الهوية ولا يُمكن استرداده.

ثم جابَ طومسون لوحة الإعلانات الأفقية بعينيه، وشعرتُ بردِّ فعله الذي غلبت عليه الحيرةُ تجاه الرسالة الغريبة التي كانت في ذلك الحين تُومِض بأضواءِ الزينون:

دوج! عُد! حالة طوارئ!

على الفور، قطعت الاقتران التقمُّصي وطفوت عبر الانتقال النازع للروح إلى ذاتي الحقيقية. كانت غرفة العين السحرية في حالة فوضى من الإشارات المنطلقة، والأصوات الصارخة، والحرارة الخانقة، والروائح اللاذعة للعازل المحترق.

ألقى تشاك نظرة خاطفة على أريكتي، وهو يحاول جاهدًا إخماد النيران التي اندلعت في لوحة التحكم مُستخدِمًا مِطفَأة حريق.

صرخ: «لقد عدت! حمدًا لله! كنا سنتعرض لزيادة في التيار في أي لحظة!»

وبعدها فصل المفتاح الرئيسي. توقَّف فجأةً صوتُ طقطقة الشرارات الكهربائية كما لو أنَّ أحدًا قد أغلق عليه بابًا. إلا أنَّ الضوءَ الشديد المُضطرِم استمرَّ في التدفُّق من فتحات التهوية بلوحة التحكم.

خلعتُ الخوذة. وسألتُه: «ماذا حدث؟»

فأجاب: «وضعَ شخص ما شحنة ثرميت في جهاز التعديل!»

«الآن؟»

«لا أعرف. لقد غادرتُ بعد إجراء الاقتران. لو لم أعُدْ في الوقت المناسب، لكنتَ قد استحلتَ إلى رماد!»

اتَّسم ردُّ فعل سيسكين تجاه واقعة شحنة الثرميت برباطة جأشٍ مثيرة للدهشة، وبهدوءٍ مفرِط، هكذا رأيتُه. وفي غضون دقائق، كما بدا، كان في شركة ريأكشنز يتفحَّص الضرر، ويُومئ لنا مطَمْئنًا أن التأخير لن يطول لأكثر من يومٍ أو يومَين.

أما عن المسئول عن الخيانة، فقد كان تفسيره جاهزًا، وأكَّده بالدق بقبضته في راحة يده. حيث قال: «يا لراصدي ردود الأفعال اللُّعناء! تمكَّن أحدُهم من التسلل إلى هنا!»

نفَى جو جادسن هذا الاحتمالَ بشدة. فقال: «إنَّ إجراءاتنا الأمنية لا تُخطئ أبدًا يا سيد سيسكين.»

تجهَّم وجهُ سيسكين. وقال: «إذن، جاءت الخيانة من الداخل! أريدُ إجراء فحص مضاعَف وشامل للجميع مرةً أخرى!»

عندما عدتُ إلى مكتبي، سِرتُ أمام النافذة، ورحتُ أُطالِع المشهدَ بالخارج وقد عاد إلى نظامه مجدَّدًا. لم يكن هناك سوى اعتصامات مستطلِعي الآراء. اختفى الغوغاء الثائرون. ولكن إلى متى سيظل المشهد على تلك الحالة؟ وما هو القاسم المشترك بين راصدي ردود الأفعال وهجوم الثرميت إلى غير ذلك من أمور مستحيلة حدثت مؤخرًا؟

كنت متأكِّدًا بطريقة ما أنه لا بد من وجود ارتباطٍ جوهري بين جميع الأحداث الغريبة التي وقعت خلال الأسبوع الماضي أو نحو ذلك، بدءًا من وفاة فولر، واختفاء لينش، ثم «المحو التام» لاسم لينش من شبكة الخبرات السابقة بأكملها، وما تركه فولر من رسم أخيل الذي أصبحَ مفقودًا الآن، وتغيُّر النقش على الكأس خلف طاولة الشراب في حانة ليمبي، وتحقيقات الشرطة المتغيِّرة كلَّ حين.

يبدو أن قنبلة الثرميت، على سبيل المثال، كانت ردة فعل عنيفة من اتحاد راصدي ردود الأفعال ضد المؤسسة التي تهدِّد استمراريته. ولكن هل كانت هكذا حقًّا؟ أم أنها كانت تستهدفني أنا تحديدًا؟

من كان وراءها؟ بالطبع لم يكن سيسكين. ذلك أنه حتى لو كانت لديه أسباب لرغبته في إقصائي، فقد كان بإمكانه فعل ذلك من خلال تحقيق الشرطة الذي كان يتلاعب به.

بعد ذلك، عندما توقَّفتُ للنظر من النافذة، خطرَ لي احتمالٌ آخر، وهو أنَّ العديد من الآثار المُربِكة ربما كانت تستهدف على نحو غير مباشر مُحاكي البيئة نفسه!

موت فولر، واختفاء لينش، وشحنة الثرميت، والحادث الذي كاد يُودي بحياتي، هل هي حملة مخطَّطة للقضاء على أكثر اثنَين من مختصِّي المحاكاة الإلكترونية، في مقدورهما ضمان نجاح شركة رين؟

أشارت أصابعُ الشكِّ مجددًا إلى اتحاد راصدي ردود الأفعال. ولكن، مرةً أخرى، يقضي المنطقُ باستبعاد أن يكون الاتحاد وراء هذا الأمر. لا بد أنَّ وكالةً ما تمتلك قوًى خارقة للطبيعة أو وسيلة لمحاكاة مثل تلك القوى على نحو مُقنِع.

لم أستطع إخراج سلسلة الألغاز هذه من ذهني، حتى أثناء استمتاعي بعشاءٍ هادئ ولطيف مع جينكس مساءَ ذلك اليوم.

تناولنا طعامَنا في صمتٍ دام عشرَ دقائق كاملة، عندما خطرَ لي أنه لا يوجد سببٌ يدعوها للتعمُّق في التفكير.

حدَّثتُها قائلًا: «جينكس.»

جفلت وأسقطت شوكتَها. فأصدرَت الشوكةُ صلصلةً في صحنها، وابتسمتْ هي في حَرجٍ ثم ضحكت. وقالت: «لقد أخفتني.»

غير أنَّ كلَّ ما فعلتُه هو أنني همستُ باسمها. ومن ثَم، سألتُها: «هل من خطبٍ ما؟»

كانت ترتدي فستانًا كريمي اللَّون لامعًا، تراجعَ عن كتفَيها كثيرًا. ومن ثَم، كشف عن مساحة كبيرة من بشرتها السمراء التي ينسدل عليها شعرُها الأسود الطويل.

قالت: «أنا على ما يُرام. كنت أفكِّر في أبي.»

ألقتْ نظرةً خاطفة نحو المكتب ورفعتْ يدَيها لتُخفي بهما وجهَها. توجَّهتُ إليها في الناحية الأخرى من الطاولة لمواساتها، إلا أنني وقفتُ مكاني وقد أربَكَني إدراكي أن شيئًا ما لم يكن صحيحًا تمامًا. كان بإمكاني أن أتفهَّم حزنها لأنها ووالدها لم يكن لكلٍّ منهما سوى الآخر. غير أن هذا الانكشاف لعاطفتها كان بمثابة رجوعٍ لافت للنظر إلى منتصف القرن العشرين.

لقد كانت الأمور مختلفة قبل أن يُغيِّر التنوير موقفَ الناس تجاه الموت، ويُخلِّصنا من القسوة الشديدة التي تكتنفُ الشعائرَ الجنائزية. في تلك الأيام، كان إثبات الوفاة يتم تأكيده على أساسٍ عملي. فهؤلاء الذين يَحضُرون مراسم السهر عند جثمان الميت قبل دفنه وشعائر دفن الموتى، كانوا يرَون المُتوفَّ وقد غادر الحياة، ويصدِّقون ذلك بناءً على رؤيتهم له. ثم يتركونه وهم مقتنعون أنه قد فارق هذه الحياة بالفعل، وأنه لا مجالَ لأي تعقيداتٍ تنشأ من احتمالية أن يعود هذا الشخص الذي يُفترَض أنه مات إلى الحياة مرة أخرى. ولا حسابَ في ذلك كله للجروح النفسية التي يعاني منها بعد ذلك الأشخاصُ المقرَّبون من المُتوفَّ.

ولكن بمجرد أن فرضَت التكنولوجيا نفسها، أصبحت هناك وفرة في أدلة إثبات الوفاة المتاحة، حتى من خلال التقنيات البدائية مثل بصمات الأصابع، وقياس السعة الحيوية، وفحوصات رنين القشرة الدماغية. وأصبحَ الجُرح الأكبر الذي تعاني منه العائلات هو لحظة إخبارهم بوقوع الوفاة، وبأنه تم تدبير أمر التعامل مع الجثمان.

ما أحاولُ شرحَه هو أنه على خلفية معرفتي بجينكس كفتاةٍ عادية، فإنَّ حزنَها العميق الحالي بعيدٌ كلَّ البُعد عن شخصيتها.

وعندما اصطحبَتني إلى المكتب بعدها بلحظات، تساءلتُ فجأة عما إذا كانت تدفعني فحسب إلى تصديق أن انفجارها في البكاء كان بدافع الحزن. وعما إذا كانت تُخفي سببًا أعمق بكثير وراءَ ألمها؟

أشارت نحو مكتب فولر. وقالت: «ابحث بنفسك عما تريد، بينما سأذهبُ أنا لتعديل مكياجي.»

شاهدتُها متأمِّلًا وهي تترنَّح خارجةً من الغرفة، كانت طويلة رشيقة، وجميلة على الرغم من عينَيها الملتهبتَين.

غابت لفترة طويلة بما يكفي لأتصفَّح أغراضَ فولر المهنية القليلة. غير أنه لم يجذب انتباهي سوى أمرَين. الأول أنه في دفاتر الملاحظات القليلة على نحو عجيب، التي كانت منتشرة فوق المكتب، ومُخزَّنة في درجَين من أدراجه؛ كانت بعضُ المذكرات مفقودة. كيف عرفتُ ذلك؟ حسنًا، أخبرني فولر عدة مراتٍ أنه كان يُجري بحثًا في منزله حول عواقب المحاكاة الإلكترونية على الفهم البشري. ولم أتمكَّن من العثور على كلمة عن ذلك الموضوع.

الأمر الثاني هو أنَّ أحد أدراج المكتب — وهو الدرج الذي احتفظَ فيه بملاحظاته المهمة — كان قد فُتح عَنوة.

أما فيما يخصُّ الملاحظات نفسها، فلم يكن بها ما يثير اهتمامي، ولم أكن أتوقَّع حقًّا العثور على أي شيء.

عادت جينكس وجلست متوترةً على حافة الأريكة دون أن تبتسم، وقد ضمَّت يدَيها النحيلتَين حول ركبتَيها. كان وجهُها قد استعاد نضارته. ولكن يبدو أن ثمة إصرارًا حذِرًا في خطوط فهمها الدقيقة.

سألتُها: «هل كلُّ شيءٍ كما تركه الدكتور فولر تمامًا؟»

فأجابت: «لم يُمَس شيءٌ.»

قلتُ، وأنا أراقِب بحذر ردَّة فعلها: «بعضُ الملاحظات مفقودة.»

اتسعت عيناها. وقالت: «كيف عرفت؟»

فقلتُ: «لقد حدَّثني عن شيءٍ كان يعمل عليه. لا أجد أيَّ ذكر عنه.»

أشاحت بنظرها بعيدًا — ربما بقلق — ثم أعادت النظر إليَّ. وقالت: «أوه، لقد تخلَّص من الكثير من الأوراق، خلال الأسبوع الماضي.»

«أين؟»

«أحرقَها.»

أَشرتُ إلى الدرج المكسور. وسألتُها: «وماذا عن هذا؟»

فأجابت: «أنا ...» ثم ابتسمت واقتربت من المكتب. وقالت: «هل هذا استجواب؟»

قلتُ مهدِّئًا: «أحاولُ فحسب أن أُلِمِ شتاتَ بعضِ ما تبقَّى من أبحاثه.»

«لا يمكن أن يكون الأمر بهذه الأهمية، أليس كذلك؟» ولكن قبل أن أتمكَّن من الإجابة، اقترحَت باندفاع: «دعنا نذهب في جولة بالسيارة الطائرة يا دوج.»

أَعدتُها إلى الأريكة وجلسنا متجاورَيْن. وقلتُ لها: «دعيني أطرح بضعة أسئلة أخرى فحسب. ما خطبُ هذا القُفل المكسور؟»

«أضاعَ أبي مفتاحه. كان ذلك قبل حوالي ثلاثة أسابيع. ومن ثَم، فَتح الدرج عَنوةً مستخدِمًا سكينًا.»

كنت أعلم أن هذه كذبة. فقبل عام، كنت قد ساعدت فولر في تثبيت مُحفِّز للسعة الحيوية على القفل؛ كي يتمكَّن من فتح الدرج دون الحاجة إلى مفتاحه، الذي طالما كان يضعه في غير مكانه.

نهضَت واقفةً. وقالت: «إذا كنا سنذهب في جولةٍ بالسيارة الطائرة، فسأُحضِر معطفًا.»

ولكني قلتُ: «فيما يخصُّ الرسم الذي رسمه والدُكِ ...»

فسألتني: «أيُّ رسم؟»

«رسم أخيل والسلحفاة بالحبر الأحمر، الذي كان في مكتبه. لَم تأخذيه، أليس كذلك؟»

«أنا حتى لم أرَه.»

لم تكن قد لاحظَت الرسم فحسب، بل كنت واقفًا خلفها أشاهدُها وهي تتفحَّصه لبعض الوقت.

قررتُ أن أتَّبع معها أسلوبَ الصدمة؛ لأتمكَّن فقط من معرفة تأثير ذلك عليها. ومن ثَم، قلتُ: «جينكس، ما أحاولُ فعله حقًّا هو معرفة ما إذا كانت وفاة والدكِ حادثًا أم لا.»

فغَرَت فاها وتراجعَت للخلف. ثم قالت: «أوه يا دوج، هل أنت جاد؟ هل تعني أنَّ أحدًا ربما يكون قد ... قتله؟»

«أظن ذلك. كما أظن أنَّ ثمة شيئًا في ملاحظاته يكشف عن القاتل والدافع وراء القتل.»

«لكن لا أحدَ يريد أن يفعل شيئًا كهذا!»

لاذت بالصمت للحظة. ثم أضافت: «ولو كنتَ على حق، فقد تكون أنتَ أيضًا في خطر! أوه يا دوج، ينبغي أن تنسى الأمر!»

«ألا تريدين الإيقاعَ بالجاني؟»

تردَّدتْ قائلةً: «لا أعرف. أنا خائفة. لا أريدُ أن يحدث لك أيُّ شيء.»

لاحظتُ باهتمام أنها لم تقترح الذهابَ إلى الشرطة. سألتُها: «لماذا تظنين أن ثمة خطبًا ما سيحدث لي؟»

فقالت: «أنا ... أوه يا دوج. أنا مرتبكة وخائفة.»

حوَّل قرصُ القمر اللامع القبَّةَ البلكسيكية للسيارة إلى قُبَيبة فضية مُتلألِئة، تُضفي بريقًا ناعمًا على جسد الفتاة الجالسة إلى جانبي.

كانت صامتة وشاردة، عيناها تنظران بضجرٍ على الطريق الذي امتدَّ أمام الوسادة الهوائية للسيارة، فبدَت مثلَ خزَف الدريسدن الهَش، الذي قد يتهشَّم تحت الاجتياح الناعم لضوء القمر.

كانت حينئذٍ مستغرِقةً في التفكير، غير أنها لم تكن على هذه الحال قبل بضع دقائق. ثم توسَّلتْ إليَّ، شِبه يائسة، أنْ أنسى أنَّ والدها ربما يكون قد قُتل.

ولم يزدني ذلك سوى حيرة. بدا الأمرُ وكأنها كانت تقف حاجزًا بيني وبين ما أصاب والدها أيًّا ما كان هو. ولم أستطع تجنُّب الشعور بأنها كانت تحاول حماية المسئول عن الحادث.

وضعتُ يدي على يدها. وسألتُها: «جينكس، هل أنتِ في ورطة؟»

من المفترَض أن يكون ردُّ فعلها الطبيعي هو سؤالي عما أعطاني هذا الانطباع. لكنها لم تقل سوى: «لا، بالطبع لا.»

تحمل الكلمات هدوءًا وإصرارًا على المُضي قُدمًا في المسار الذي اختارته. وعلمتُ أنه لا يمكنني الدفع لأبعد من ذلك في هذا الاتجاه. كان عليَّ أن أسلك طريقًا آخر، على الرغم من أن جينكس كانت تُمثِّل طريقًا مباشرًا إلى هدفي.

ومن ثَم، تراجعتُ للتقوقُع حول أفكاري، وبدَّلتُ نظام القيادة إلى النظام الآلي، وتركتُ السيارة الطائرة توجِّه نفسها على طريق ضواحي المدينة المهجور وغير المألوف. لم يكن هناك سوى احتمالَين فقط لتفسير جميع التناقضات. الأول هو أنَّ جهة كبيرة، وذات أغراض خبيثة وقدرة ضارية، لا يمكن التنبؤ بها؛ كانت تتَّبع مسارًا غامضًا يتعذَّر فهمُه. والاحتمال الثاني هو أنه لم يحدث شيءٌ على الإطلاق خارجٌ عن المألوف، إلا في ذهني.

لكنني لم أستطع التخلص من الشعور الذي ظلَّ يراوغني بأنَّ هناك قوة ضارية وغامضة مصمِّمة على أن تَثنيني عن معرفة السبب وراء وفاة فولر، بينما تُعطيني في

الوقت نفسه انطباعًا ضمنيًّا بأنني إذا توقَّفتُ عن الاستهانة بهَيمنة تلك القوة ونفوذها، كما بدا أنها وجينكس تُريدانِنني أن أفعل، فسيكون كلُّ شيءٍ على ما يُرام.

كنت أريدُ حقًّا أن تسير الأمور على ما يُرام. عندما رمقتُ الفتاةَ بنظرةٍ سريعة، أدركتُ كم كنت أتوق بشدة إلى الحالة الطبيعية للأمور. كانت جينكس جميلة في ضوء القمر، مثل فنار يبثُّ دفئًا ويدعوني إلى التخلي عن تعاستي وقبول الأشياء العادية.

لكنها لم تكن عادية. كانت شيئًا مميزًا للغاية.

بدت وكأنها تستشعر ما يجول في خاطري؛ ومن ثَم اقتربَت مني وأخذَت ذراعي في ذراعها، وأراحت رأسها على كتفي.

قالت بمزيجٍ غريب من الكآبة والأمل في صوتها: «هناك الكثير حقًّا في الحياة، أليس كذلك يا دوج؟»

أجبتُها: «بالقدر الذي تريدين أن تَجديه فيها.»

«وما الذي تريد أن تجده؟»

فكَّرتُ فيها، في اقتحامها لعالَمي في الوقت الذي كنت فيه في حاجة ماسَّة إلى شخصٍ مثلها.

قالت: «عندما كنت خارج البلاد، لم أكفَّ قط عن التفكير فيك. شعرتُ كأنني طفلة حمقاء مُحبَطة طَوال الوقت. لكني لم أكفَّ قط.»

انتظرتُ أن تستأنفَ كلماتها الناعمة التي تتدفَّق بانسيابية، لكني لم أسمع سوى صوت تنفُّس عميق. وجدتُها قد نامت. ولمع فوق وجنتَيها نهران بلَون الزئبق الفضي في ضوء القمر.

كانت تهرب من شيءٍ ما، مثلي تمامًا. لكنني علمتُ حينها أنه على الرغم من أننا ربما تشاركنا مشاعر اليأس نفسها، فلا سبيلَ لنا لتبادُل أطراف الحديث بيننا حول ذلك؛ لأن هذا هو ما أرادَته لسبب غير مفهوم.

صعدت السيارة الطائرة جانب تل، غامرةً المنحدَرَ بضوئها، وكاشفة عن جزءٍ من ضواحي المدينة لم أره من قبل.

وصلنا إلى القمة، وشعرتُ بالخوف وكأنه عصفة جليد تمزِّق صدري. ضغطتُ على المكابح وتوقَّفنا بسلاسة وسرعة.

تفزَّعت جينكس لكنها لم تستيقظ.

جلستُ في مكاني وكأنه قد مضى عهد من الزمن، ورحتُ أحدِّق أمامي متشكِّكًا.

كانت نهاية الطريق على بُعد مائة قدم.

على جانبَي الطريق، سقطَت الأرضُ نفسها في حاجز منيع من الظلام الدامس.

لم تكن هناك نجوم ولا بصيصٌ من ضوء القمر، لا شيءَ سوى العَدم المطلَق الذي تجده عندما تغور في أعماق ما وراء اللانهائية الحالكة.

الفصل السادس

أدركتُ لاحقًا أنه كان عليَّ أن أوقِظ جينكس في ذروة هذه الجولة المحطِّمة للمنطق إلى ضواحي المدينة. فحينها كنت سأعرف من رد فعلها ما إذا كان نصفُ الخليقة قد اختفى فجأةً من الوجود، أم أن الأمر كله من نسج خيالي فحسب. ولكنني اكتفيتُ بالجلوس مكاني مقاومًا نوبة فِقدان وعي جزئية أخرى. عندما تجاوزتُ النوبة أخيرًا وتمكَّنتُ من رفع نظري مرة أخرى، كان الطريق هناك، تُحيطه الحقول الهادئة والتِّلال الملتفَّة التي ظهرت بوضوح في ضوء القمر.

ها هي مرة أخرى، حالة الشعور بالتعزِّي. كان الطريق قد اختفى. لكنه لا يمكن أن يكون كذلك؛ لأنه كان موجودًا. وهكذا اختفى لينش أيضًا. ولكنَّ جميع الأدلة تشير إلى أنه لم يكن موجودًا على الإطلاق. لا توجد طريقة لإثبات أنني رأيتُ رسمًا لأخيل والسلحفاة. ولكني أجد عزائي في احتمالية أنه لم يُرسَم من الأساس.

لم يظهر تشاك ويتني إلا عصر اليوم التالي، وواجهَته مشكلةٌ كبيرة مع المحاكاة الإلكترونية لينقذ أفكاري من انجرافها في اللامعقول.

دخل غرفة مكتبي من الباب الخاص بالموظفين، وارتمى في كرسي، ورفع قدمَيه واضِعًا إياهما فوق المكتب. «حسنًا، تمكَّنا أخيرًا من إصلاح مُعادِل المراقبة.»

استدرتُ حيث كنت أحدِّق عبر النافذة في اعتصامات راصدي ردود الأفعال بالخارج. وقلتُ: «لا يبدو أنك سعيد جدًّا حيال الأمر.»

«خسرنا يومَين كاملَين.»

«سنعوِّض ذلك.»

«بالطبع.» ابتسمَ ابتسامةً يعتريها التعب. وأضاف: «لكن تلك الأعطال في البيئة أفزعت وحدة الاتصال الخاصة بنا هناك. ظننتُ لوهلة أن بي أشتون سيُصاب بالجنون، وأنه يتعيَّن القضاء عليه.»

رمقتُ الأرضية في غير ارتياح. ثم قلت: «أشتون هو نقطة الضعف الوحيدة في نظام فولر. لا يمكن لأي عقلية تناظرية أن تتحمَّل معرفة أنها ليست سوى مجموعة من الشحنات الإلكترونية في واقع مُحاكًى.»

«لا يروق لي الأمر أيضًا. لكن فولر كان على حق. يجب أن يكون لدينا مراقِب يُعتمَد عليه هناك. يمكن أن تسوء أمورٌ كثيرة دون أن نعلم عنها شيئًا لأيام.»

كانت تلك مشكلة جرَفَتني في مستنقع من الأفكار لأسابيع طويلة، ما دفعني أخيرًا لأخذ تلك الإجازة التي استمرت لمدة شهر كي أتمكَّن من فهم سبب استيائي. وبطريقة ما، لم أستطع أن أنفضَ عني فكرة أنَّ السماح لوحدة الاتصال بمعرفة أنها مجرد كيان مُحاكًى إلكترونيًّا؛ كانت منتهى القسوة.

قلتُ وقد قررتُ فجأة: «تشاك، سنتخلَّص من وحدة الاتصال تلك في أسرع وقتٍ ممكن. وسنُعِد فريقًا للمراقبة بدلًا منها. سوف نُجري جميع عمليات المراقبة عبر وسيط الإسقاط المباشر على جهاز المحاكاة. لن نحتاج إلى بي أشتون بعد اليوم.»

تبدَّلَت أساريره لتكسوها ابتسامةٌ مليئة بالارتياح. وقال: «سأبدأ في إعداد الفريق. وبالمناسبة، لا تزال لدينا مشكلة أخرى. سيتعيَّن علينا الاستغناء عن كو نو.»

«مَن؟»

«كو نو. إنه «المهاجر النموذجي» ضمن سكان عالَمنا المُحاكَى. بُورميُّ الأصل. وحدة هُوية رقم ٤٣١٣. أبلغنا أشتون قبل نصف ساعة أنه حاولَ الانتحار.»

«لماذا؟»

«حسبما سمعت، دفعته الأحوال الفلكية لذلك. فقد جعله هذا الاضطراب البيئي يقتنع بأن يوم الفناء قد اقترب.»

«يمكن حل هذه المشكلة بسهولة. أَعدْ تحفيزه. وإذا كانت قد نمَت لديه نزعةٌ انتحارية، فأَزِلها من برمجته.»

نهضَ تشاك واتَّجه إلى النافذة. ثم قال: «الأمر ليس بتلك البساطة. فقد جعجع واهتاج متحدثًا عن النيازك والعاصفة والنيران، جاذبًا حشدًا كبيرًا. وأقنعهم بأن جميع هذه الظواهر الغريبة في الطبيعة لا يمكن أن تحدث كلها في وقت واحد. قالت أشتون إن العديد من وحدات الهوية تتساءل عن هذا الاضطراب.»

عقبتُ قائلًا: «أوه. هذا سيئ.»

هزَّ كتفَيه غير مبالٍ. وقال: «ربما يُنسَى الأمر من تلقاءِ نفسه. ولكن إذا حدث شيءٌ مُشابِه، فسينتهي بنا الأمر بمجموعة من وحدات رد الفعل التي فقدَت عقولها تجول في أرجاء النظام. أفضل شيءٍ نفعله هو أن نُغلِق «سميولكرون-٣» لبضعة أيام أخرى، ونزيل العاصفة والنيران تمامًا من الذاكرة. يجب أن نقضي على كو نو أيضًا. إنَّ «هَوَسه» عميقٌ للغاية.»

بعد أن غادر، استقرَّ بي الحالُ على المكتب، ودون أن أدرك، سرعان ما وجدتُ قلمي في يدي. ودون أن أنتبه، حاولتُ نسخ رسم فولر للمحارب الإغريقي والسلحفاة.

لكن سرعان ما طرحتُ القلم جانبًا لانزعاجي من حقيقة كون الرسم عصيًّا على الفهم. خطرَ على ذهن أفيري كولينجسورث شيءٌ ما، على ما أتذكَّر، من الوصف الذي قدَّمته من الرسم، وهو مفارقة زينو. لكنني كنت على يقين من أنَّ رسم فولر لم يكن الغرض منه أن يشير إلى المفارقة، أو إلى قضية زينو المنطقية الناتجة، وهي أنَّ الحركة مستحيلة.

وبدلًا من ذلك، ردَّدتُ على لساني العبارة: «كلُّ حركةٍ وهم».

ثم أدركتُ أن هناك إطارًا مرجعيًّا واحدًا تكون فيه كلُّ حركة مجرد وهم، وهو في المحاكي نفسه! تتصوَّر الوحدات الذاتية أنها تعيش في بيئة مادية. ولكن عندما يتنقَّلون فإنهم لا يذهبون في الحقيقة إلى أي مكان. كلُّ ذلك يحدث عندما «يسير» أحدُ كيانات ردود الأفعال مثل كو نو من مبنًى إلى آخر، على سبيل المثال، وما يحدث بالفعل هو أن تيارات المحاكاة الإلكترونية تؤثر في إحدى الشبكات، وأن محوِّلات الطاقة تُغذِّي «الخبرات» الوهمية في حاوية الذاكرة.

هل أراد فولر أن أكتشفَ هذا المبدأ في تصميمه؟ لكن ما الذي كان يحاول قوله؟

ثم ترنَّحتُ من فوق الكرسي.

كو نو!

كان كو نو هو مَربَط الفرس! الأمر واضحٌ الآن وضوحَ الشمس في رابعة النهار. كلُّ ما كان مقصودًا من الرسم هو أن يَستدعي في الأذهان كلمة «زينو»!

عند الإشارة إلى الشخصيات في جهاز المحاكاة الخاص بنا، اعتمد فريقُ ردود الأفعال الممارسة غير الرسمية بتعريفهم بالاسم الأخير والحرف الأول من الاسم الأول.

وهكذا، أصبح كو نو «سي نو»، وهو المكافئ الصوتي تقريبًا لـ «زينو»!

بالطبع كانت لدى فولر معلوماتٌ مهمة يريد أن يخبرني بها. وقد استخدم أكثر الوسائل سِريةً للقيام بذلك. فقد سجَّل المعلومات في حاوية تخزين إحدى وحدات رد الفعل. وتركَ رسالة مشفَّرة تحدِّد الوحدة!

أسرعتُ عبر غرفة الاستقبال، تاركًا دوروثي فورد في فضولها تحدِّق فيَّ، وقد تجمَّدَت حركاتها وهي تُعدِّل من خصلات شعرها القصير.

صعدتُ الدرج قفزًا، وأنا أوبِّخ نفسي على عدم معرفتي في أي جناحٍ من أجنحة وحدات الهُوية توجد لوحة التحكُّم الخاصة بذاكرة كو نو.

بعد فحص فهارس الجدران في جناحَيْن، اندفعتُ إلى الجناح الثالث لأصطدم بويتني؛ ومن ثَم يُطرَح على ظهره. فانسكبَت محتويات صندوق الأدوات الذي كان يحمله على الأرض.

سألته: «كابينة كو نو! أين هي؟»

أشار من فوق كتفه. وقال: «الأخيرة على اليسار. لكنها مُعطَّلة. لقد مسحتُ لتوِّي الدوائر بالكامل.»

بالعودة إلى المكتب، تشبَّثتُ بطرف المكتب، وانكمشتُ خوفًا قبل أن يداهمني دوار آخر. كان رأسي يؤلمني، والعرق يغشى وجهي، وطنين ألف دبور يَطِن في أذنيَّ، حاولتُ أن أتمالك نفسي كي لا أفقدَ الوعي. وعندما استقرت الغرفة أخيرًا، سقطتُ في الكرسي مجهَدًا ويائسًا.

تصادفَ على نحو لا يُصدَّق أنَّ إزالة برمجة كو نو كانت لا بد أن تتم قبل دقائق من تمكُّني من حل لغز الرسم. بدا الأمر للحظة وكأنَّ تشاك ويتني ربما كان جزءًا من المؤامرة الكبيرة.

سارعتُ بالاتصال به عبر جهاز الاتصال الداخلي. وسألتُه: «هل قلت إن وحدة الاتصال لدينا تحدثت مع سي نو قبل محاولته الانتحار مباشرةً؟»

«نعم. كان أشتون هو مَن أوقفه. مهلًا، لماذا تسأل؟»

«مجرد فكرة خطرت ببالي. أريدك أن تُرتِّب لتضعني في جهاز المحاكاة في إحدى دوائر المراقبة؛ من أجل لقاءٍ وجهًا لوجه مع فيل أشتون.»

«هذا لن يكون ممكنًا في الأيام القليلة المقبِلة؛ بسبب كل تلك العمليات من إعادة البرمجة والتوجيه.»

تنهَّدتُ. «فلتعمل في نوبتَي عمل.»

أغلقتُ جهاز الاتصال الداخلي فور تأرجُح الباب منفتحًا، لأجد أمامي هوراس بي سيسكين في كامل هندامه وبهائه، يرتدي بدلةً رماديةً ذات خطوط رفيعة، وعلى وجهه الابتسامة الأكثر حميمية بين تعابير وجهه.

حام حول المكتب. وقال: «حسنًا يا دوج، ما رأيك فيه؟»

«مَن؟»

«وين هارتسون بالطبع. يا له من شخصية! لم يكن الحزب ليدخل الوزارة لولاه.»

قلتُ بفتور: «هكذا سمعت، لكنني لن أطير فرحًا برؤيته.»

ضحكَ سيسكين ضحكةً مُجلجِلة بانفراجة مليئة بالحيوية تركَتني أتأمَّله في حيرة. أمسكَ بمقعدي بقوة وأداره ليواجه النافذة.

ثم قال: «لا أضعُ عليه آمالًا كبيرة أنا أيضًا يا بُنيَّ. أشكُّ في أنه يتمتع بنفوذ كبير، سواء في الحزب أو في البلد.»

باغَتَني ذلك. فقلتُ: «وأظنك ستفعل شيئًا حيال الأمر، أليس كذلك؟»

تأمَّل السقفَ وقال بحدَّة: «أعتقدُ ذلك، بمساعدتك بالطبع.»

ظلَّ صامتًا دقيقةً كاملة في انتظار ردي. وعندما لم يَصدُر مني أيُّ رد فعل، واصلَ حديثه:

«هُول، أعتقدُ أنَّ لديك من الوعي ما يكفي لتعرف أنني لست رجلًا محدود الطموح. وأنا فخور بإصراري ومثابرتي. ما رأيك في أن ترى هذه الصفات عينها مُطبَّقة في الشئون الإدارية لهذا البلد؟»

سألتُ بحذر: «أتَقصِد في نظام الحزب الواحد؟»

«حزب واحد أو عشرة أحزاب، مَن ذا يهتم؟ ما نريده هو أكفأ قيادة وطنية متاحة! هل تعرف أي إمبراطورية مالية أكبر من تلك التي أنشأتها؟ هل يوجد مَن هو أكثر استحقاقًا مني للجلوس في البيت الأبيض؟»

عندما بدا من تعابير وجهه أنه يشكُّ في ابتسامتي الحليمة، بيَّنتُ له قائلًا: «لا أستطيع أن أتصوَّرك تحلُّ محلَّ أشخاص مثل هارتسون.»

قال مؤكِّدًا: «لن يكون الأمر صعبًا. ليس مع هيمنة جهاز المحاكاة على الوضع. عندما نُبرمِج مجتمعنا الكهروریاضي على أساسٍ موجَّه للأغراض السياسية، ستصبح إحدى صور هوراس بي سيسكين المحاكاة افتراضيًّا عبارةً عن وحدة هُوية بارزة. ربما لن تكون نسخة طبق الأصل. وربما نضيف بعض اللمسات النهائية على الصورة.»

توقَّف قليلًا للتفكير في الأمر. ثم قال: «على أي حال، أريد عندما نستشير «سميولكرون-٣» لطلب مشورة سياسية أن تظهر صورة سيسكين باعتبارها النموذج المثالي للمُرشَّح.»

لم أفعل شيئًا سوى أنني حدَّقتُ فيه. بإمكانه أن يفعل ذلك. رأيتُ أن خطته لم تكن لتنجح لو أنها لم تكن شديدة الجرأة والمنطقية. أصبحتُ الآن أكثر امتنانًا من أي وقتٍ مضى؛ لأنني قررتُ أن أحذو حذو شركة ريأكشنز كي أحصل على منصب يُمكِّنني من أن أفعل شيئًا بشأن التحالف بين سيسكين والحزب.

اقتحمَت دوروثي فورد الحديث عبر جهاز الاتصال الداخلي. حيث قالت: «يوجد رجلان من اتحاد راصدي ردود الأفعال هنا بالخارج، وهما ...»

فُتح الباب واندفعَ راصدا ردود الأفعال المعتمَدان داخِلَين في سخط ونفادِ صبر.

سأل أحدهما: «هل أنت هُول؟»

عندما أومأتُ برأسي أنْ نعم، هبَّ الآخرُ قائلًا: «حسنًا، يمكنك أن تخبر سيسكين ...»

قلتُ مشيرًا إلى الكرسي: «أَخبِره بنفسك.»

استدار سيسكين لمواجهتهما. وسألهما: «نعم؟»

اندهشَ الاثنان معًا.

قال الأول: «نحن نمثِّل اتحاد راصدي ردود الأفعال. وإليكَ ما لدينا من دون مواربة: إما أن تُوقِف العملَ على هذا المُحاكي، وإما سندعو جميع مراقبي ردود الأفعال في المدينة للإضراب!»

كاد سيسكين يطلق ضحكةً تجاهلًا لهذا التهديد. غير أن العبوس علا وجهَه. لم يكن من الصعب تخمين السبب. فقد كان رُبع الموظفين مسئولين عن استطلاعات الرأي بشكل أو بآخر. وكان تحقيقُ أقصى ربح للمؤسسة يعتمد على طاقتها العُمالية الكاملة. كان بإمكان سيسكين أن يواجه هذا الهجوم باللجوءِ إلى احتياطاته الخاصة. ولكن في غضون أسبوع لن يبقى رجل أعمال أو ربَّة منزل لم يتكاتف بقوة مع اتحاد راصدي ردود الأفعال. في الواقع، كان تدمير الاتحاد في نهاية المطاف جزءًا من استراتيجية المؤسسة، ولكن ليس قبل أن تُحصِّن الإمبراطورية المالية نفسها من عواقب ذلك.

غادرَ الرجلان دون انتظار إجابته.

قلتُ مبتهجًا بعضَ الشيء: «حسنًا، ماذا سنفعل الآن؟»

ابتسمَ سيسكين. وقال: «لا أعرفُ ماذا ستفعل. لكنني سألتقط مجموعة من الخيوط وأبدأ في تتبُّعها.»

بعد يومَيْن، استلقيتُ مسترخيًا على أريكة أخرى في قسم العين السحرية، وجعلتُ ويتني يضع نوعًا آخر من خوذات الانتقال على رأسي. لم يكن هناك مزاح هذه المرة؛ لأنه قد شعر بنفاد صبري.

شاهدتُه يضع مفتاحَ دائرة المراقبة.

حدث الإسقاطُ بسلاسة. وأصبحتُ في لحظةٍ متكئًا على كرسي بتنجيد جلدي، وفي اللحظة التالية كنت أقف في مقصورة هاتفٍ مرئي تناظرية. ونظرًا لأن هذا لم يكن اقترانًا تقمُّصيًّا، فلم أكن محتجَزًا في ذهن إحدى وحدات الهوية. بل كنت حاضرًا، بالمعنى المادي المستعار.

خرج رجل نحيفٌ وطويل من المقصورة المجاورة. اقتربَ مني، ولاحظتُ أنه يرتجف. سألني في حيرة من أمره: «هل أنت السيد هُول؟»

أومأتُ برأسي أن نعم متفحِّصًا ردهة فندقية تقليدية. ثم سألتُه: «هل من خطبٍ ما؟»

قال بائسًا: «لا. ليس بالشيء الذي يمكنك إدراكه وفهمه.»

«ما الأمر يا أشتون؟» مددتُ يدي إلى ذراعه، لكنه تراجعَ مرتجِفًا.

ثم وجدَ كلماتٍ تُعبِّر عما يُحزنه. فقال: «افترضْ أنَّ إلهًا في عالَمك نزلَ من السماء وبدأ يتحدَّث إليك.»

أدركتُ سبب نظرته البائسة المتهيِّبة. لكني وضعتُ يدي على كتفه. وقلتُ: «دعكَ من ذلك. أنا الآن مثلك تمامًا، حُزمة واعية من شحنات المحاكاة الإلكترونية.»

أدار وجهَه بعيدًا. وقال: «دعنا ننتهِ من هذا. وبعدها يمكنك المغادرة.» أشار برأسه إلى اتجاهٍ غير محدَّد.

قلتُ: «لم أكن أدرك أنَّ الاتصال المباشر سيكون بهذه الصعوبة.»

سأل ساخرًا: «ماذا توقَّعت؟ هل تخيَّلت الأمر بمثابة نزهة؟»

«سنبحث أمرًا ما يا أشتون. ربما يمكننا إعفاؤك من دور وحدة الاتصال.»

«فلتقضوا عليَّ بالكامل. امسحوا وجودي تمامًا. لا أريدُ أن أُكمِل حياتي وأنا أعرفُ ما أعرفه.»

شعرتُ بالقلق والانزعاج، فدخلتُ في الموضوع على الفور. وقلتُ: «أردتُ التحدُّث إليك عن كو نو.»

فقال: «المحظوظ اللعين الذي أُلغيَت برمجتُه.»

سألتُه: «هل تحدَّثت معه قبل أن يحاول الانتحار بوقتٍ قريب؟»

أومأ برأسه أنْ نعم. وقال: «لقد كنت أراقبه لبعض الوقت. شعرتُ أنَّ عقله سينهار.»

حدَّقتُ مليًّا في وجهه. وعقَّبتُ بقولي: «فيل، لم تكن النيازك والعاصفة فقط ما أثار جنونه، أليس كذلك؟»

رمقني بنظرةٍ حادة. وقال: «كيف عرفت؟»

«هل من سببٍ آخر إذن؟»

قال وقد تهدَّلَت كتفاه: «نعم.» ثم أردفَ: «لم أتحدَّث إلى أحدٍ عن ذلك. كنت أشعر بالحقد والضغينة. أردتُ أن يُطلِق كو نو لنفسه العِنان. فليتحطَّم النظام اللعين بأكمله. حينئذٍ، سيتعيَّن عليك أن تمحو كلَّ شيءٍ تمامًا وتبدأ من جديد.»

«ما الذي أخرجه عن شعوره؟»

تردَّد الرجل ثم أفصحَ عما بداخله. «لقد عرَف الأمر. اكتشفَ حقيقته بطريقةٍ ما، واكتشفَ حقيقة هذه المدينة العَفِنة المزيَّفة. عَلِم أنها لم تكن سوى جزءٍ من عالَم زائف، وأنَّ واقعَه لم يكن سوى انعكاس لعملياتٍ إلكترونية.»

وقفتُ متصلِّبًا. أيًّا كانت المعلومات التي أودعها فولر في كيان كو نو، فقد كان لها ذلك الأثر المروِّع، بالقدر الذي يكفي لتنبيهه إلى حقيقةِ أنه لم يكن سوى شخصٍ تناظري.

سألتُه: «كيف اكتشفَ الأمر؟»

«ليس لديَّ أدنى فكرة.»

«هل تحدَّث عن أي شيءٍ آخر، أي بياناتٍ سرية ربما طبعها أحدُهم في حاويات ذاكرته؟»

«لا. كلُّ ما كان مهووسًا به هو فكرة أنه لم يكن سوى ... عَدم.»

نظرتُ في ساعة يدي. وندمتُ أنني لم أخصِّص سوى عشر دقائق لمقابلته وجهًا لوجه. قلتُ عائدًا إلى مقصورة الهاتف المرئي: «انتهى الوقت. سأنزل وأراكَ لاحقًا.»

صرخ فيل أشتون خلفي قائلًا: «لا! أستحلفُكَ ألَّا تعود!»

دخلتُ المقصورة مرةً أخرى، وأغلقتُ الباب، وشاهدتُ عقرب الثواني في ساعتي التناظرية يتحرَّك لأعلى مُنهيًا آخِر دقيقة.

قبل ثانيتَين على وقت رحيلي، رمقتُ الردهة سريعًا. وكدت أصرخُ لِما رأيت.

وبينما أنا أقاوم شعورًا مزعجًا بالفَقد؛ لعلمي أنني ليس باستطاعتي إيقاف الانتقال، شاهدتُ صورة مورتون لينش التي أعرفُها — نسخة تناظرية من مورتون لينش — تمرُّ عبر ردهة الفندق.

الفصل السابع

قضيتُ ما تبقَّى من فترة ما بعد الظهيرة لذلك اليوم أرتعدُ — بالمعنى المجازي للكلمة — من جهاز المحاكاة. فقد أصبح الآن شيئًا باعثًا على الرَّوع والشؤم، غولًا إلكترونيًّا يملك حسًّا داخليًّا بالغاية والعَزم، وقد غزا عالمي بطريقةٍ ما كي يقتل فولر ويختطف لينش.

خطرَ ببالي مؤخرًا أنَّ مورتون لينش الذي رأيتُه في ردهة الفندق التناظري ربما كان مجرد وحدة رد فعل تشبهُه فحسب. ولكني لم أدرك إلا في صباح اليوم التالي أن ثمة طريقةً بسيطة يمكنني الاستعانة بها للتحقُّق من الأمر. ومن ثَم، هُرعتُ إلى قسم فهرسة وحدات الهوية واضعًا هذا الهدف نُصبَ عينيَّ.

في ملف «المهن»، بحثتُ تحت عنوان «الأمن». ولكني لم أجده. وبافتراض أنَّ مهنة لينش في عالَم المحاكاة الإلكترونية ربما كانت مشابهة بعضَ الشيء لمهنته الحقيقية، بحثتُ تحت عنوان «الشرطة». ولكني لم أجد شيئًا أيضًا.

ثم أذعنتُ إلى احتمالية أن يكون ما أشكُّ فيه من حيلة هو وهْم لا وجود له، قررتُ أن أسلكَ نهجًا مباشرًا، وحوَّلتُ بحثي إلى الملفات المصنَّفة حسب الأسماء.

كان آخِر اسم تحت حرف اللام «لينش، مورتون، وحدة هوية رقم ٧٦٨٣.»

ارتجفتْ يدي وأنا أتفحَّص الرموز المدوَّنة على البطاقة. كانت وحدة الهوية رقم ٧٦٨٣ مُبرمَجة في جهاز المحاكاة منذ ثلاثة أشهر، وكان مَن برمَجَها هو الدكتور فولر نفسه!

زالت الغمامةُ فجأةً عن ذاكرتي المشوَّشة وتذكَّرتُ الواقعة التي عَميتُ عنها لتفاهتها. أنشأ فولر وحدة مُحاكية لشخصية لينش الواقعية، تتمتَّع بجميع سماته الفعلية، وكان ذلك على سبيل المزاح فقط دون أن يُضمِر أي نوايا سيئة. ثم منحَ مدير الأمن جولة مراقبة سريعة في جهاز المحاكاة، هالَته كثيرًا، حيث كان لينش يراقبُ نفسه.

ابتهجتُ. فقد أثبتُّ لنفسي على الأقل أنَّ مورتون لينش كان له وجود ذات يوم!

أتُراه كان موجودًا حقًّا؟

تراجعتُ مرة أخرى يائسًا أمام البديل المعقول؛ أي تلك الحالة من الشعور بالتعزي: هل يمكن أن يكون الأساس الكامل لاعتقادي بوجود لينش سابقًا هو معرفتي اللاواعية بأنَّ شخصيةً مثله قد بُرمجَت في جهاز المحاكي؟ هل اضطربَت ذاكرتي وشُوِّشتْ لدرجة جعلتني أتصوَّر وجود لينش في الواقع؟

غادرتُ المبنى هائمًا وجِمًا. وتقدَّمتُ بلا هدفٍ وسط صفوف معتصمي اتحاد راصدي ردود الأفعال، وظللتُ على الرصيف الثابت حيث شعرتُ بالطمأنينة حين أحسستُ بصلابة الخرسانة تحت قدَميَّ. كانت رغبتي الوحيدة هي أن أسير حتى أخرج من المدينة لأَتِيه في حقول من الصمت والخواء. لكنني تذكَّرتُ بعد ذلك ذكرى مغامرتي الأخيرة في ضواحي المدينة، وطرحتُ عني كلًّا من تلك الذكرى ونيتي الحالمة.

أوقفني أحدُ مستطلعي الآراء عند الناصية. وقال مخاطبًا إياي: «أُجري استطلاعًا للرأي حول صيحات أزياء فصل الخريف للرجال.»

اكتفيتُ بأن حدَّقتُ إليه.

سألني: «هل تُفضِّل الياقة العريضة؟»

لكن عندما مَد يده إلى دفتره مشيتُ متعثِّرًا إلى نهاية الشارع.

صاح قائلًا: «أنت، عُد! سوف أجازيكَ بغرامة!»

أسفل الجسر العلوي للرصيف المتحرك عند الناصية، صاح بائع الصُّحف الآلي: «راصدو ردود الأفعال في ورطة! قانون يهدِّد بإلغاء استطلاع الرأي العام!»

حتى ذلك — حتى حقيقة أن سيسكين كان قد بدأ بالفعل في إحكام شباكه على اتحاد راصدي ردود الأفعال — لم يترك أيَّ انطباعٍ لديَّ.

بينما كنت أقفُ هناك، وقفَ مستطلعُ آراءٍ آخر أمامي. قال هامسًا بلطفٍ: «أستحلفُك — لمصلحتك يا هُول — أن تنسى الأمر اللعين برُمَّته!»

بعد أن هزَّني التحذير الذي تلقيتُه بما له من صلةٍ وثيقة وصريحة بالموضوع الذي يجول في خاطري، حاولتُ الإمساك بذراعه، لكن ما استقر في يدي هو شارة راصدي ردود الأفعال المعتمَدين التي كان يضعها فوق كُمِّه، حيث مضى واختفَى وسط الحشود.

قلتُ لنفسي في ذهول إنَّ ما حدث لم يحدث. فلم تكن رؤيتي لمستطلع الرأي إلا في خيالي. لكني لم أقتنع بذلك، دسستُ شارته في جيبي.

انفصلتْ سيارة طائرة عن نهر الطريق بانسيابه المروري السريع، وتوقَّفت عند حافة الرصيف.

صاحت جينكس بابتهاج: «دوج! كنت في طريقي إليك لأسألك عما إذا كنت تريد تناول الغداء معي.»

ثم لاحظتْ شحوبَ وجهي. وقالت: «اركب يا دوج.»

ركبتُ السيارة الطائرة مُذعِنًا، ووجَّهتْها بمهارةٍ حتى وصلنا إلى جزيرة الإقلاع. وفي غضون لحظاتٍ، شققنا طريقنا لأعلى سريعًا.

قُدنا إلى السطح عبر أعلى طريق مستوٍ، وعدَّلَت النظام الآلي لتعويض الانحراف. جلسنا هناك، بالأعلى فوق المدينة.

قالت بتردد: «حسنًا، ما الخطب؟ هل تشاجرت مع سيسكين؟»

فتحَت القُبَّة، وهَبَّت نسمةٌ جارفة من الرياح المنعشة لتُبعثر أفكاري المتشابكة كخيوط العنكبوت. لكنها كانت لا تزال أفكارًا غير مكتملة بالقدر الذي يُمكِّنني من التغلب على تلك الأمور المجهولة.

قالت متسائلة عن سبب صمتي، ونسمة الهواء تُداعبُ خصلة من شعرها اللامع وتفرِّقها أمام القبة البلكسيكية: «دوج؟»

إذا كنت متيقنًا من أي شيءٍ، فهو أنَّ وقت المناورة قد انتهى. كان يجب أن أعرف ما إذا كانت حقًّا تخدعني أم أن ذلك أيضًا كان من وحي خيالي.

سألتُها بوضوح: «جينكس، ما الذي تُخفينه؟»

أشاحت بنظرها. وقويتْ شكوكي.

صحتُ فيها: «يجب أن أعرف! شيءٌ ما يحدث لي. يا إلهي، لا أريدكِ أن تتورطي أنتِ أيضًا في الأمر!»

دمعتْ عيناها وارتجفتْ شفتاها على نحو غير ملحوظ.

واصلتُ بعناد: «حسنًا، سأدخل في الموضوع. قُتل والدكِ لأنه كان يعرف بعضَ المعلومات السرية. واختفى الرجلُ الوحيد الذي يعرف شيئًا عن هذه المعلومات. شاهدتُ محاولتَين للنَّيل مني. رأيتُ طريقًا يختفي. اقتربَ مني مستطلعُ آراءٍ لم أره من قبل وأخبرني أن أنسى الأمر.»

أجهشتْ بالبكاء جهرًا. لكنني لم أشعر بأي تعاطف نحوها. فكلُّ ما قلتُه كان يعني لها شيئًا. كنت متأكِّدًا من ذلك. كلُّ ما عليها الآن هو أن تعترف بأنها كانت جزءًا من الأحداث بطريقة ما.

ناشدَتْني: «أوه يا دوج. ألا يمكنك أن تنسى الأمر فحسب؟»

أليس هذا هو تمامًا ما اقترحه راصدُ ردود الأفعال؟

قالت متوسلة: «ألا ترى أنه لا يمكنك الاستمرار على هذا النحو؟ ألا تدرك ما الذي تُلحِقه بنفسك؟»

قلتُ مكرِّرًا ما قالته: ما الذي أُلحِقه بنفسي!

ثم فهمتُ لم تكن تخفي أيَّ شيء! ما فسَّرتُه على أنه خداع كان طَوال الوقت تعاطفًا وشفقة. فلم يكن ما تفعله سوى محاولة لتصرفني بلطفٍ عن شكوكي غير المعقولة، عن هواجسي!

لقد لاحظتْ سلوكي اللاعقلاني. ربما أخبرها كولينجسورث عن الحادث الذي وقعَ في حانة ليمبي. وكان اهتمامها الشديد مبنيًّا على هيكل من الأحلام المتداعية. لقد غذَّت «وَلَع» الطفولة خلال مرحلة المراهقة وصولًا إلى البلوغ، غير أنها وجدت الطريقَ لتحقيق أحلامها مسدودًا بما تصوَّرتْه ضربًا من عدم الاتزان العقلي.

قالت بيأس: «أنا آسفة يا دوج. سأُنزِلك.»

لم يكن ثمة ما يمكنني قوله.

قضيتُ فترة ما بعد الظهيرة في حانة ليمبي أُدخِّن عددًا من السجائر كان كفيلًا أن يترك مذاق فمي مثل خِرقة محترقة، لكنني كنت أُنعِشه بتناوُل كأسٍ من شراب سكوتش أستروايد من حين إلى آخر.

عند الغَسَق، بدأتُ أسير بلا هدف عبر وسط المدينة الذي كاد يصبح كالقلب المُوحِش. ثم صعدتُ الرصيفَ الآلي في النهاية، لأجد نفسي على رصيفٍ سريع لم ألحظ حتى وجهته.

في نهاية المطاف، أنعشَتني برودةُ الليل لتمنحني وعيًا مُلتبِسًا بالوجهة التي كانت رحلتي الغامضة تأخذني إليها. عندما وصلتُ إلى رصيف المحطة، نظرتُ بعيني لأعلى لأجد نفسي في منطقة سكنية ليست شديدة البُعد عن منزل أفيري كولينجسورث. هل لي من وجهةٍ أفضل من استشاري نفسي في ظل الظروف الحالية؟

بالطبع بدا أفيري متفاجئًا.

اصطحبني إلى الداخل، قائلًا: «أنت، أين كنت؟ لقد بحثتُ عنك طَوال فترة ما بعد الظهيرة؛ لآخذ موافقتك على دفعة جديدة من وحدات رد الفعل.»

فأجبتُه: «كان لديَّ بعضُ الأعمال خارج المكتب.»

بالطبع لاحظَ مظهري المُرهَق. لكنه لِلباقته لم يُعقِّب.

حملَ منزل كولينجسورث أدلةً وافرة على حالته الاجتماعية كرجلٍ عَزَب. يبدو أن غرفة مكتبه لم تشهد ترتيبًا منذ أسابيع. ولكن بطريقة ما شعرتُ بالارتياح لما رأيتُه من فوضى الكتب، وطاولته المبعثرة، والأرضية المتناثرة عليها الأوراقُ المجعَّدة.

قال لي بعدما استرخيتُ على الكرسي: «هل ترغبُ في تناوُل شيء؟»

«سكوتش. صافٍ.»

جاء الطلبُ على الفور من ساقيه الآلي وناولني إياه. مرَّر يده وهو يبتسم عبر شعره الأشيب الناعم. وقال: «أقدِّمُ إلى جانب هذا الطلب خدمةَ الحلاقة وقميصًا نظيفًا.»

ابتسمتُ ابتسامةً عريضة وتناولتُ الشراب.

سحبَ كرسيًّا. وقال: «يمكنك إخباري بما لديك الآن.»

فقلتُ بدوري: «لن يكون الأمر سهلًا.»

«هل تقصد زينو؟ شخصًا يُدعَى مورتون لينش؟ أشياء من هذا القبيل؟»

أومأتُ أنْ نعم.

«يسعدني أنكَ أتيتَ يا دوج. يسعدني ذلك حقًّا. هناك أشياء أخرى أكثر من الرسم ولينش، أليس كذلك؟»

«أمورٌ أكثر بكثير. لكني لا أعرف حقًّا من أين أبدأ.»

اتكأَ للخلف. وقال: «أتذكَّرُ أنني قبل أسبوع أو نحو ذلك في حانة ليمبي قد ذكرتُ شيئًا حول المزج بين علم النفس والمحاكاة الإلكترونية، وأنَّ الأمر أَسفَر عن الكثير من القناعات الشاذة. دعني أقتبس من كلماتي: «من الصعب أنْ تملأ آلة ما بأشخاص دون أن تفكِّر أولًا في طبيعة الآلات والبشر وجوهر كلٍّ منهما»، أفترضُ أنه يمكننا البدء من هنا.»

فعلتُ ذلك بالفعل. أخبرتُه بكل شيءٍ. ولم تتغيَّر تعابير وجهه طَوال سردي. عندما انتهيتُ، نهضَ وسارَ في الغرفة.

قال: «بادئ ذي بدء، لا تحاول مطلقًا التقليلَ من شأن نفسك. انظر إلى الأمر بموضوعية. كان لدى فولر أيضًا مشكلاتُه. أوه، ليس بجدية مشكلاتك. لكنه لم يأخذ جهاز المحاكاة لمرحلة متقدِّمة كالتي أخذتَه إليها.»

«ما الذي تحاول أن تقوله؟»

«ما أحاول أن أقوله هو أنَّ نوع العمل الذي تقوم به لا يمكن متابعته دون أن يؤدي إلى عواقب نفسية لا مفرَّ منها.»

«لا أفهم.»

«دوج، أنت كالإله. لديكَ قوًى مطلَقة على مدينة بأكملها من أشخاص افتراضيين، عالَم تناظري. في بعض الأحيان تُضطر إلى اتخاذ إجراءاتٍ تتعارض مع قناعاتك الأخلاقية، مثل إلغاء برمجة إحدى وحدات الهوية. والنتيجة؟ تأنيب ضمير. وفي النهاية، ماذا لدينا؟ لحظاتٌ مواتية وأخرى غير مواتية. فتراتٌ من الابتهاج الشديد، تليها فتراتٌ من إدانة النفس وجَلْد الذات. هل سبقَ لك أن واجهتَ ذلك النوع من رد الفعل؟»

«نعم.» حينها فقط أدركتُ ذلك.

«وهل تعرف ما هي الحالة التي وصفتُها للتو؟»

أومأتُ أن نعم، وهمهمتُ: «جنون الارتياب.»

أطلقَ ضحكةً سريعة. وقال: «لكنه مجرد جنون ارتياب كاذب، حالة مستحثَّة. أوه، إنها حالة موافقة للمعايير ومقنعة. ولدينا جميعُ الأعراض أيضًا، من أوهام العَظَمة، وفقدان التواصل، وشكوك الاضطهاد، والهلوسة.» توقَّف قليلًا. ثم قال بنبرة أصدق: «ألا ترى ما يحدث؟ لقد أبطلتَ برمجة إحدى وحدات رد الفعل التناظرية، وتتوهَّم اختفاءَ شخصٍ ما من عالَمك. أنت تعيد برمجة الخبرات السابقة لأفراد العالَم الوهمي، وتظن أن هناك مَن يتلاعب بعالَمك الذي تعيش فيه.»

برغم الارتباك الذي كنت فيه، كان بإمكاني إدراك المنطق في تفسيره. ومن ثَم قلتُ: «لنفترض أنك على حق. ماذا عليَّ أن أفعل حيالَ الأمر؟»

«لقد أنجزتَ بالفعل تسعين بالمائة مما هو مطلوب. أهم شيءٍ هو إدراك وجود المشكلة ومواجهة النفس بها.» ثم نهضَ فجأة. وقال: «اطلب لنفسك شرابًا آخر بينما أُجري مكالمة عبر الهاتف المرئي.»

عندما عادَ لم أكن قد أنهيتُ الشرابَ فحسب، بل كنت أيضًا في منتصف حلاقتي لذقني في الحمام المجاور لغرفة مكتبه.

قال لي مشجِّعًا: «هذه هي الروح المطلوبة! سأحضرُ لك قميصًا.»

لكن عندما عادَ شعرتُ بالعبوس مرة أخرى. وسألتُه: «ماذا عن نوبات فقدان الوعي؟ تلك حقيقية على أقل تقدير.»

«أوه، أنا متأكِّد من أنها كذلك بالفعل، بالمعنى النفسي الجسدي. فالأنا لديك تتمرَّدُ على فكرة الذُّهان. ومن ثَم تبحث عن عُذر يحفظ لكَ ماءَ وجهِك. تضع نوباتُ الإغماء الأمرَ برُمَّته في المستوى العضوي. فلا تشعر بالإذلال الشديد.»

عندما انتهيتُ من ارتداء ملابسي، قادني إلى الباب واقترحَ قائلًا: «أوصيكَ أنْ تستفيدَ من هذا القميص.»

لم أفهم نصيحته حتى رأيتُ دوروثي فورد وقد أوقفت سيارتها أمام المنزل. ثم فهمتُ أيضًا الغرضَ من مكالمة الهاتف المرئي التي أجراها. دوروثي العجوز الشمطاء، على استعداد تام لتَمنحني «الدَّفعة» التي يبدو أن كولينجسورث قد اقترحها، والتي أنا بحاجة إليها. وحتى إنْ كانت قد أُعدَّت لأداءِ مهمة تعاطُف فلم يُحدِث ذلك فارقًا لديها. فهذه فرصة لها لمراقبة أحد أصول سيسكين.

لكنني لم أهتم.

انطلقنا في الظلام الصامت، وجلسنا ما بين غطاءٍ بَهيٍّ من النجوم الباردة، وبِساط برَّاق من أضواءِ المدينة. وعلى خلفية المنحنى البهيج للقُبَّة البلكسيكية، بَدَت دوروثي دافئةً وناعمة، مليئةً بالحيوية والحماس. شكَّل شعرها، الذي تألَّقَ بالضوءِ المنعكس للوحة العدَّادات، خلفيةً كتانية لابتسامة مُفعَمة بالنشاط والتلهف.

قالت، وقد رفعتْ كَفَّيها المستديرتين اللتين لا تشوبهما شائبة: «حسنًا، هل أقترحُ برنامجًا؟ أم أنَّ لديك أفكارًا معينة؟»

سألتُها: «هل أَوضَح لكِ كولينجسورث الصورة؟»

أومأتْ برأسها أنْ نعم. وقالت: «ظننتُك بحاجة إلى الدعم.» ثم ضحكت. وأضافت: «وأنني الفتاة التي يمكنها توفيره لك.»

«يبدو أنه علاجٌ مشوِّق.»

«أوه، إنه كذلك بالفعل!» لمعتْ عيناها بإيحاءٍ ساخر.

ثم أصبحت جادة فجأة. وقالت: «دوج، كلانا لديه وظيفته. لا يخفى عليكَ قطعًا أنَّ وظيفتي هي التأكُّد من بقائك تحت السيطرة التامة لـ «عظيم الشأن قصير القامة». لكن لا مانعَ من أن نحظى بالمرح في الوقت نفسه. هل اتفقنا؟»

«اتفقنا.» صافحتُ يدها التي مدَّتها إليَّ. وسألتُها مباشرةً: «حسنًا، ما هو برنامجكِ؟»

«ماذا عن شيءٍ ... مثير حقًّا؟»

سألتُ بحذر: «مثل ماذا؟»

«مثل شحنةٍ أو شحنتَين من التحفيز الكهربائي للدماغ.»

ابتسمتُ لها بتحفظٍ.

قالت مازحةً: «لا تكن متحفِّظًا هكذا. إنها ليست ضد القانون، كما تعلم.»

«لم أتصوَّر أنكِ من النوع الذي قد يحتاج إلى دَفعاتٍ من التحفيز الكهربائي للدماغ.»

«بالفعل أنا لست من هذا النوع.» مَدَّت ذراعها وربتت على يدي. ثم قالت: «ولكن يا عزيزي الدكتور كولينجسورث قال إنكَ بحاجة إليه.»

كان «ركن تيارات القشرة الدماغية» عبارة عن مبنًى متواضع من طابق واحد محصور بين مسلَّتَين من الخرسانة، والزجاج على الجانب الشمالي من وسط المدينة. كانت مجموعة من المندفعين بالخارج يتدافع كلٌّ منهم بصخبٍ نحو الآخر، ويصطدمون بين الحين والآخر بسياراتهم الطائرة القديمة المتداعية المتوقِّفة، وكثيرًا ما يتساقطون في الحارات المرورية شبه المهجورة. وفي النهاية، كانوا يجمعون مواردهم ويدفعون ثمن جلسات شحنات تيارات القشرة الدماغية لعضو يختارونه من أفراد المجموعة.

في ردهة الانتظار بالداخل، جلسَ العملاءُ في تأدبٍ وصبر، يستمعون إلى الموسيقى أو يحتسون الشراب. كان معظمهم من النساء العجائز، اللاتي كن يشعرن بالإحراج وعدم الارتياح، غير أن ذلك لم ينقص من حماسهن شيئًا. وكان قلة من العملاء، بمَن فيهم الرجال، لم يبلغوا أواسط الثلاثينيات من العمر. وهو ما أكَّد على حقيقة أن المجموعات اليافعة من البالغين لا تحتاج إلى الهروب من الواقع عبر حُجرات التحفيز الكهربائي للدماغ.

انتظرنا حتى شرحت دوروثي للمضيفة أننا مهتمان بالدائرة الترادفية التي يبلغ سعرها ثلاثة أضعاف التكلفة.

دخلنا على الفور إلى مكانٍ مُعَد إعدادًا فاخرًا. سَرى صوتُ الموسيقى المحيطية الخافتُ وسط السجاد الجداري المزدانِ بالرسوم. وعَلِقت الروائحُ المثيرة للعواطف في الهواءِ الدافئ.

استقررنا على أريكة مخملية، وأوتْ دوروثي مستكينةً أسفل ذراعي، كانت وجنتها على صدري، ويتصاعد عبيرُ شعرِها المُعطَّر إلى وجهي. وضعَ لنا المُرافِق الخوذتين فوق رأسَينا، وأدارَ لوحة التحكم حتى أصبحت في متناوَل دوروثي.

قالت وهي تلتفت لتمدَّ يدها إلى مفاتيح الاختيارات: «كلُّ ما عليك فعله هو أن تسترخي وتترك كلَّ شيء لدوتي الصغيرة.»

انطلقَ على الفور تيارٌ مُخدِّر من مجموعة من الأقطاب الكهربائية المستشعرة، والمُوجَّهة على مراكز القشرة الدماغية المتوافقة. الغرفة، والنسيج المزدان بالرسوم، والروائح، كلُّ شيءٍ كان يتلاشى كزَغَب تذروه الرياح.

امتدَّت فوق رأسَينا سماءٌ هشَّة باللون اللازوردي، تُدثِّر بحرًا زمردي اللون يمور متثاقلًا منجرفًا باطراد رتيب باعث على الهدوء فوق شاطئ من أنقى الرمال. جعلتني المياهُ المتلاطمة أطفو، ثم هبطَت بي مرة أخرى في حركة متثاقلة متهدِّجة حتى لامستْ أصابعُ قدميَّ القاعَ الموَّج.

لم يكن وهمًا. بل كانت حقيقة. لم يكن من شكٍّ في صحة شعوري، على الرغم من أنه لم يكن نابعًا إلا من مراكز الهلوسة المُثارة في الدماغ. لقد كان لتحفيز القشرة الدماغية أثرٌ عظيم حقًّا.

سمعتُ جلجلة ضحكٍ خلفي، وفوق قمة الموجة التالية سلكتُ طريقي لأعترضَ بكامل وجهي دفقاتٍ من رذاذ الماء.

اندفعتْ دوروثي بعيدًا عني. تَبِعتُها وغطستْ سريعًا، كاشفةً في لمحة خاطفة وتألُّقٍ لامع عن جَسدِها العاري القوي المرن الذي غَمرَته أشعة الشمس.

سبحنا أسفل المياه، وفي إحدى المرات اقتربتُ منها بما يكفي للإمساك بها من كاحلها، ولكنها تملَّصتْ مني وابتعدتْ مجدَّدًا، وكأنها كائنٌ رشيق من الكائنات البحرية.

عُدتُ إلى السطح وأفرغتُ جرعة ملء فمي من الماء الأُجاج.

وكانت هناك جينكس فولر، واقفةً على الشاطئ، متوترة وقلقة وهي تتفحَّص المشهد البحري بما يعلوه من زَبَد. جعلت الريحُ تنُّورتَها خفَّاقةً على ساقَيها، وطرحتْ شعرَها على جانبَي وجهها.

خرجت دوروثي إلى السطح، ورأتْ جينكس فعبسَ وجهها. وقالت: «المكان ليس جيدًا هنا.»

اجتاحَ الظلام زَيغ حواسي، ثم كنت أنا ودوروثي فوق الزلَّاجات، نتزلَّجُ في سرعة البرق الجانبَ الأبيض لأحد الجبال المغطى بالثلوج، ونضحكُ والرذاذُ البارد للثلج المسحوق يضرب وجهَينا.

تباطأنا وحاولنا الالتفافَ على عمقٍ قليل حول قمة غير منتظمة. لكنها سقطتْ عن زلاجتها، فأوقفتُ زلاجتي وعُدتُ للاستلقاء بجوارها.

ضحكتْ بحماس، ساحبةً نظَّارتها الواقية فوق جبهتها، وطوَّقت عنقي بذراعَيها.

لكنني نظرتُ خلفها، إلى جينكس. كان نصفُها مخبَّأً وراء شجرة مغطاة بالثلوج، وقد كانت تشاهدنا وهي صامتةٌ ومتأملة.

وفي لحظة الانهماك تلك، شعرتُ بذلك الحضور الخفي والهادئ لأفكار دوروثي فورد، وهي تحفرُ — بمساعدة التيارات المنبِّهة — طبقةً تلو أخرى في أنسجة القشرة الدماغية لتُنقِّب خلالها.

كنت قد نسيتُ التأثيرات الراجِعة الرنَّانة لدائرة التيارات القشرية الترددية، نسيتُ أنَّ التحفيز المزدوج يمكن أن يتسبَّب في نقل لا إرادي للأفكار عبر أحد الخاضعين له.

هَببتُ منتصبًا فوق الأريكة وخلعتُ خوذتي.

لحقتْ بي دوروثي وهزَّتْ كتفَيها بلامبالاة. ثم قالت، معطيةً بذلك معنًى جديدًا لمراوغات العجائز من النساء: «لا يمكنك لوم فتاةٍ على محاولتها، أليس كذلك؟»

لم أفعل شيئًا سوى أنني تفحَّصتُ وجهَها بحثًا عن معلومة. هل تعمَّقتْ بما يكفي لتعرف أن السبب الوحيد لاستمراري في العمل لدى سيسكين أنني أعتزمُ تخريبَ مؤامرته مع الحزب؟

الفصل الثامن

للمرة الأولى منذ أسابيع أتحرَّر أخيرًا من شبح موت فولر. وكانت الحوادث الوهمية التي أعقبت ذلك الحادثَ الذي حدث في اليقظة بمثابة كابوس يفقد بؤرة تركيزه الواضح في ضوء الفجر النقي الصافي. لقد استعدتُ نفسي من حافة مروِّعة، بفضل أفيري كولينجسورث.

جنونُ الارتياب الكاذب. كان ذلك تفسيرًا منطقيًّا للغاية، حتى إنني تساءلتُ كيف لم يخطر ببالي أو ببال فولر أن علاقتنا الوثيقة بمحاكي البيئة الشامل و«أشخاصه الصغار» الشديدي الشبه بالأشخاص الحقيقيين؛ ستتسبَّب في مخاطر نفسية غير متوقَّعة.

بالطبع كانت لا تزال هناك بعض التعقيدات التي سيُكشَف عنها. كان يتعيَّن على دوروثي فورد، على سبيل المثال، أن تعلم أنَّ مغامرتنا في «ركن تيارات القشرة الدماغية» لم تكن تعني شيئًا بالنسبة إليَّ. ومع أنني استمتعتُ بالسباحة، إذا جاز التعبير، فلم أكن لأتخذها عادة. لا سيَّما بعد أن أظهرت تجاربُ استثارة القشرة الدماغية بوضوحٍ انشغالي بجينكس فولر.

لكن دوروثي كانت قد فهمت بالفعل. اكتشفتُ ذلك في صباح اليوم التالي عندما توقَّفتُ أمام مكتبها.

قالت مبتعدة: «بالنسبة إلى ليلة أمس يا دوج. فكما قلتُ، لكلٍّ منا وظيفته. ويجب أن أؤدي وظيفتي بإخلاص. ليس لديَّ خيارٌ آخر.»

تساءلتُ أيُّ سيفٍ ذلك الذي يضعه سيسكين فوق رقبتها. بالنسبة إليَّ، كان سيفًا ذا حَدَّين؛ التهديد بتصعيد تحقيقات الشرطة حول وفاة فولر، والتي سأكون فيها كبشَ الفداء، واتخاذه القرارَ بتخصيص جزءٍ من استخدام المحاكي لأغراض البحث الاجتماعي.

أضافت دوروثي بنبرةٍ أقل رسمية: «الآن بعد أن عرفنا موقفنا، لن يكون هناك أيُّ سوء فهم.» ثم زادت نبرتها نعومة وهي تلمس يدي. وقالت: «وما زال بإمكاننا الاستمتاع معًا يا دوج.»

لكني بقيتُ متحفِّظًا؛ لأنني لم أكن أعرف إلى أي مدًى تعمَّقتْ في أفكاري خلال جلسة تيارات القشرة الدماغية.

بعد يومَين، تفاقمَ قلقي بشأن ما يُحتمَل أن تكون قد علمَته حول نواياي وأخبرَت سيسكين به، وكان لقلقي هذا ما يبرِّره. حدثَ ذلك عندما استُدعيتُ إلى المؤسسة الداخلية.

هبطت سيارة الليموزين الطائرة فوق منصة للهبوط خارج الطابق ١٣٣ من مبنى «بابل سنترال» التابع للمؤسسة الداخلية. كان سيسكين ينتظر بنفسه عند مدخل مكتبه.

وضعَ يده على كتفي وسار بي فوق سجاجيد هشَّة كالسحاب من الستايرين. توقَّف بجوار مكتبه الضخم الذهبي الحوافِّ، وحدَّق عبر النافذة الكبيرة في المشهد بالخارج. بعيدًا في الأسفل، بدَت المدينة وكأنها لوحةٌ بعيدة وضبابية، يغشاها ضباب خفيف، ونصفها مخفي بحفناتٍ منجرفة من القطن المنفوش.

قال فجأة: «ثمة خطبٌ ما في قانوننا الخاص براصدي ردود الأفعال. أُوقفَ العملُ به مؤقتًا. لن يُتخَذ أيُّ شيءٍ حياله في الجلسة الحالية.»

جاهدتُ نفسي كي أُخفي ابتسامة سعادة بعدم ارتياح سيسكين. كان مجرد التهديد بحظر استطلاعات الرأي العام، باعتبارها إزعاجًا للعامة هو ما هَدَّأ من حِدَّة هجوم اتحاد راصدي ردود الأفعال ضد شركة ريأكشنز. وعقَّبتُ بقولي: «يبدو أنَّ راصدي ردود الأفعال أكثر بطشًا مما كنتَ تتخيَّل.»

«لكن هذا غير منطقي. أكَّد لي هارتسون أنه مسيطر تمامًا على اللجنة بأكملها.»

هززتُ كتفي مُستهجِنًا. وقلت: «حسنًا، ها قد فشلتْ حِيَلك. لا شيءَ يمكن أن يُوقِف مستطلعي الآراء عن إضرابهم الآن.»

ابتسمَ ابتسامةً عريضة فجأة، وقال: «لست متأكِّدًا من ذلك.» ثم سألني: «إلى أي مدًى يمكنك شرح فكرة استخدام المحاكي «سميولكرون-٣» في تشكيل مستقبل العلاقات الإنسانية في الألفية الجديدة؟»

قلتُ مرتبكًا: «لديَّ قناعاتي. لكنني لا أظن أنني مستعدٌّ لإلقاء خطاب عنها أمام العامَّة.»

«هكذا أُفضِّل أن يكونَ الأمرُ تمامًا. بتلك الطريقة سيظهر الصدقُ في كلامك.»

تحدَّث بجِدَّة عبر جهاز الاتصال الداخلي: «أَدخِليهم.»

دخلوا، وكانوا مجموعة من مصوِّري البرقيات، والمراسِلين، ومصوِّري الشبكات الإعلامية، والمعلِّقين الميدانيين. اجتمعوا حول المكتب، وطوَّقونا في نصف دائرة مُحكَمة.

رفعَ سيسكين يديه مشيرًا لهم بأن يصمتوا.

قال: «كما تعلمون، فإن شركة ريأكشنز تتعرَّض لضغوط قسرية من قِبَل اتحاد راصدي ردود الأفعال. سيَدعُون لإضرابٍ ويجلبون الفوضى الاقتصادية، هكذا أخبَرونا، ما لم نتخلَّ عن مشروعنا، ونحرم البلاد من هذه الفائدة الاجتماعية العُظمى في عصرنا.»

اعتلى كُرسيًّا وصاح بصوتٍ علا خريرَ أصواتِهم المتشكِّكة:

«حسنًا، أعرف ما تفكِّرون فيه، تعتقدون أنَّ هذه حيلة دعائية. حسنًا، إنها ليست كذلك! أنا أجاهد لإنقاذ جهاز المحاكاة الخاص بنا — جهاز المحاكاة الخاص بكم — لأنه ليس مجرد مشروع مُربِح. إنه أيضًا الأداة التي ستجلب مستقبلًا باهرًا وجديدًا للجنس البشري! سوف يأخذ البشرية إلى مستوًى أعلى بكثير من الوَحل البدائي الذي تمرَّغتْ فيه منذ فجر التاريخ!»

تركَ لهم الوقتَ لاستيعاب كلامه، ثم قال: «سأدَعُ القوة المُحرِّكة وراء محاكي البيئة الشامل يمدُّكم بالتفاصيل بنفسه، إنَّه دوجلاس هُول.»

لم تكن استراتيجية سيسكين غامضة. إذا تمكَّن من إقناع الجمهور بأنَّ معجزة المحاكاة الإلكترونية الخاصة به ستُوسِّع نطاقَ الإنجاز البشري المُذهِل، فلن تتمكَّن أيُّ قوة — بما في ذلك راصدو ردود الأفعال — من اعتراضِ طريق شركة رين.

استقبلتُ الكاميرات مضطربًا. وقلتُ: «يُوفِّر جهازُ المحاكاة فرصةً رائعة للبحث في مجال العلاقات الإنسانية. احتلَّتْ تلك الفرصة المكانةَ الأسمى في عقل الدكتور فولر.»

توقَّفتُ قليلًا، حيث أدركتُ فجأةً شيئًا لم أدركه من قبل، وهو إذا كان بإمكان الرأي العام احتواءُ هجوم اتحاد راصدي ردود الأفعال، فربما يكون في إمكانه أيضًا ضمانُ قَصْر استخدام النظام على تحسين العلاقات الاجتماعية! سيهُبُّ الناسُ غاضبين ضد المؤسسة، عندما أُخبرهم أنَّ آلة سيسكين لن تُستخدَم إلا لتحقيق الطموحات الشخصية والسياسية!

تابعتُ في حماس. وقلت: «لدينا هنا أداة جراحية قادرة على تشريح النفس البشرية نفسها! يمكنها تحليلُ الإنسان، كل دافعٍ وكل غريزة على حِدة. يمكنها التعمُّق إلى لُب البواعث الأساسية، والمخاوف، والتطلعات. يمكنها تتبُّع كلِّ سمة تدخل في تكوين أي فرد ودراستها وتحليلها وتصنيفها وشرح كيفية التعامل معها. يمكنها شرح مصادر

التحيُّز، والتعصُّب، والكراهية، والمشاعر المنحرفة والكشف عنها. من خلال دراسة الكيانات التناظرية في نظام مُحاكًى، يمكننا تصوُّر العلاقات الإنسانية بأكملها. وبتحفيز تلك الوحدات التناظرية، لن نتمكَّن من ملاحظة الكيان فحسب، ولكن أيضًا كل خطوة في تطوُّر الميول المعادية للمجتمع غير المرغوبة!»

تقدَّم سيسكين خطوةً إلى الأمام. وقال: «يمكنكم أن ترَوا أيها السادة أنَّ السيد هُول متعصِّب بعضَ الشيء لموضوعه. لكن مؤسسة سيسكين لن تقبل بأقل من ذلك.»

استأنفتُ حديثي. وقلت: «في بيئة «سميولكرون-٣» الخاضعة لشروط معينة، نتوقَّع عزلَ أنواعٍ مختلفة من وحدات رد الفعل، من الأطفال التناظريين خلال جميع الفئات العمرية. وبأسلوب منهجي، سندفعهم في اتجاهٍ ما أولًا، ثم في اتجاه آخر، مستخدِمين في ذلك جميعَ المحفِّزات المحتمَلة التي ستُخرِج منهم أفضلَ وأسوأ ما فيهم. ونتوقَّع أن نحرز تقدُّمًا في مجال دراسة السلوك البشري يفوق ما هو موجود حاليًّا بآلاف السنين.»

ما كنت أقوله لم يكن كلامي. لم يكن سوى تكرار لعباراتٍ ألقاها فولر عليَّ بحماس جامح على مَر السنين. ولم يكن يسعني إلا أن أتمنَّى أن أُعبِّر عنها بصدقٍ مماثِل لصدقِ كلماته.

قلتُ ملخِّصًا كلامي: «سيُضيء لنا المحاكي الطريقَ إلى العصر الذهبي للعلاقات الإنسانية. سيُبيِّن لنا كيف نحرِّر أرواحنا الفانية من البقية المتبقية من أصولها الحيوانية.»

تولَّى سيسكين زمامَ الحديث. وقال: «قبل أن تبدءوا في طرح أسئلتكم، أريدُ أن أوضِّح بعضَ التفاصيل الأقل رونقًا. بداية، لقد أقدَمتْ مؤسستُنا على هذا العمل بهدف تحقيق الربح. ولكنني رفضتُ هذا الحافز منذ فترةٍ طويلة. اليوم أريدُ تكريس كامل طاقة المؤسسة لأشهدَ اليوم الذي تتحقَّق فيه كلُّ هذه الأشياء الرائعة المتوقَّعة من محاكي السيد هُول.»

تركتُه يقرُّ بالأمر بنفسه. وعندما يحين الوقت، سيكون كلُّ ما عليَّ فعله هو أن أتركَ الحديثَ عن مؤامرة سيسكين والحزب يتسرَّب.

ثم قال بجدية: «سيكون لشركة ريأكشنز دورٌ تجاري أيضًا. ومع أنَّ الأمر لا يروق لي، فهكذا يجب أن تسير الأمور. أوه، كان بإمكاننا أنْ نسعى في الحصول على مِنَح حكومية بدلًا من ذلك. ولكن أيها السادة، عليكم أن تدركوا أنَّ هذه المؤسسة العظيمة الجديدة لا يمكن أن تَدين لأحد. يجب أن تعمل فوق كلِّ المستويات.»

سألَ أحدُ المراسِلين: «ماذا تقصد بـ «الدور التجاري»؟»

فأجابَ سيسكين: «أعني ببساطة أنه سيتعيَّن على الشركة استخدامُ المحاكي للحصول على القَدْر المعقول من الأموال اللازمة لتحقيق هدفها الإنساني. سوف تَقبَل شركة ريأكشنز العقودَ التجارية وعقود توقُّع السلوك. ولكنها ستكون بأعدادٍ قليلة بقدر الإمكان. بقدر ما يلزم فقط لتغطية العَجز السنوي للتشغيل، والذي سيكون كبيرًا حتى بعد المبلغ الذي سأتبرَّع به فورًا للمؤسسة وقدره ٢٥٠ مليونًا إضافيًّا.»

نال ذلك إعجاب مجموعة الصحفيين. وضيَّق الخناقَ حول عنق القزم سيسكين.

أمضينا نصفَ الساعة التالي في الإجابة عن الأسئلة. ولكن كان من الواضح أننا لم ندعْ مجالًا للشك. بعد مغادرة الصحفيين، رقصَ سيسكين كالحوريات ثم عانقني.

صاح: «لقد قدَّمتَ عرضًا جيدًا يا بُنيَّ، عرضًا عظيمًا! كما أنني لم أكن لأتمكَّن من فعل نصف ما فعلت!»

في اليوم التالي، فُتح البابُ على مصراعَيه لينهالَ سيلٌ جارف من تعقيبات الرأي العام حول تصريح سيسكين. ومن بين جميع التقارير الصحفية والبرامج التليفزيونية والأعمدة الإخبارية ومقالات الرأي، لم تكن ثمة كلمة معارضة واحدة. لم أرَ من قبل شيئًا يأسر مخيِّلة العامَّة مثل «الجهد الإنساني العظيم» الذي يبذله سيسكين.

قبل الظهيرة، مرَّر مجلسُ المدينة ومجلسُ النواب قرارات توصية. وعلى المستوى الوطني، كان إجراءٌ مماثل لمجلس الشيوخ في طريقه لأنْ يُصاغ.

بسرعة البرق، اقتُرحَ العديدُ من المنظمات الجديدة كحلفاء مع هذا «المسعى النبيل». أسفرَ اجتماعان موسَّعان عُقِدا في تلك الليلة عن تشكيل مجموعتَين منفصلتَين من المتحمسين، الذين استقروا على تسمية كلٍّ منهما باسم رفيع المستوى، كالتالي: «أنصارُ المحاكاة الإلكترونية، شركة محدودة»، و«المستقبل ... بشريٌّ بالكامل». أظنُّ أنه كان يصعب على المرءِ أن يجد شخصًا لم يُصَب بُحمى المثالية هذه. أُحكمَت حلقة الخداع إلى هذه الدرجة.

عندما شعرَ اتحادُ راصدي ردود الأفعال بتزايد الدعم الجماهيري لشركة رين، قلَّلوا بحذر عددَ اعتصاماتهم إلى ١٠ اعتصاماتٍ فحسب. ولكن حتى في ذلك الحين، حُشدَت فِرقُ شرطة مكافحة الشغب لحمايتهم من جموع الغاضبين الغفيرة المتعاطفين مع سيسكين.

أما أنا، فقد كنت في قمة ابتهاجي، لخروجي من أعماق شكوكي الذاتية. لم تتلاشَ مشكلاتي الشخصية فحسب، بفضل نصيحة كولينجسورث، بل بدا أيضًا أن الانتصارَ على سيسكين والحزب بات حتميًّا.

مسلَّحًا في اعتزاز بدليل عودتي إلى حالتي الطبيعية الذي بات معروفًا للجميع، تواصلتُ مع جينكس عبر الهاتف المرئي عصرَ اليوم التالي، لأدعوها لتناول العشاء معي. ومع أنها لم تبدُ منبهرة بعض الشيء بالمسار الإنساني الذي رسمه سيسكين لشركة ريأكشنز، قبلتْ دعوتي في الحال. غير أنني شعرتُ بالانزعاج لِما بدا عليها من التردد.

عقدتُ العَزم على ضمان بداية جيدة لِما طرأ من تغيير، فدعوتُها إلى مطعم جونز لِيت سيكيستيز بأجوائه العَبِقة الزكية، ذلك المطعم المميَّز والفاخر الذي وصفَته الإعلانات بأنه: «لم يطرأ عليه تغييرٌ منذ أكثر من جيلَين».

فاحت رائحة الطعام الذكية المنبعثة من المطبخ المجاور حتى جذبَت انتباه جينكس أخيرًا (وهو طعامٌ طبيعي، وليس اصطناعيًّا). وبينما كنا ننتظر الطعام، تجاوبتْ جينكس تدريجيًّا مع التُّحف المتناغمة التي كانت تملأ أرجاء المكان، من كراسي وطاولات بالكاد تصلح للاستخدام، وقد بدت الطاولات بمظهر غريب بأغطيتها «القماشية»، علاوةً على المصابيح المتوهِّجة، وفرقة للوتريات كانت تعزف بعزم، على ما أظن، مختاراتها من «موسيقى الروك آند رول».

كانت النادلة التي أتت لأخذ طلباتنا ثم عادَت لاحقًا بها هي مَن مثَّلتْ قمة المفارقة التاريخية، التي جعلت جينكس تُعجَب كثيرًا بالمكان.

صاحت وأمامها سلطتها المُحضَّرة من خضراوات خضراء حقيقية: «أظن أن هذه فكرة مدهشة!»

فقلتُ: «جيد. إذن لا يوجد سببٌ يمنعنا من العودة إلى هنا مرة أخرى.»

«لا. لا أظن أن ثمة سببًا يمنعنا من ذلك.»

هل لاحظتُ مسحة من التحفُّظ؟ هل كانت لا تزال مُحترِزة مني؟

أخذتُ يدها. «هل سمعتِ من قبل عن جنون الارتياب الكاذب؟»

قطبت جبينَها في حيرة، فسلبَته بعضًا من نعومته.

تابعتُ: «أنا أيضًا لم أسمع به حتى تحدَّثتُ إلى كولينجسورث. وقد أوضحَ لي أن ما كنت أشعر به لم يكن سوى الآثار النفسية للعمل على جهاز المحاكاة. ما أحاول قوله يا جينكس هو أنني لم أكن في اتِّزاني منذ يومَين. لكنني عُدتُ إلى طبيعتي الآن.»

كانت قَسَماتُ وجهها جامدة ومشدوهة بعضَ الشيء، على الرغم من يقظتها ... ناعمة، ولطيفة، وجميلة، ولكنها في الوقت نفسه باردة ومنعزلة.

قالت ببساطة: «يسعدني أن كلَّ شيءٍ على ما يُرام.»

بطريقة أو بأخرى، لم تكن الأمور تسير كما خطَّطتُ لها تمامًا.

التزمنا الصمتَ طوال فترة تناولنا للطبق الرئيسي تقريبًا. ثم قررتُ أخيرًا عدم الاستسلام لترددي بعد الآن.

انحنيتُ عبر الطاولة. وحدَّثتُها قائلًا: «قال كولينجسورث إنَّ أيًّا ما كان يضايقني لا يعدو كونه مؤقتًا.»

«أنا متأكِّدة أنه محقٌّ في ذلك»، لكن كلماتها كانت فاترة وثقيلة.

حاولتُ أن أُمسكَ يدها. لكنها سحبتها بكياسة بعيدًا عني.

قلتُ مثبِّطًا: «أتتذكَّرين تلك الليلة التي تجوَّلنا فيها بالسيارة الطائرة؟ سألتِني عما أسعى إليه في هذه الحياة.»

أومأتْ إيجابًا، ولكن بضجر.

قلتُ مشتكِيًا: «لم يسِر ذلك في الطريق الذي ظننتُه سيسلكه.»

جلستْ مكانها تحدِّق بي، والتردد يعبث بوجهها الذي يبدو عليه الانزعاج بوضوح.

سألتُها في حيرة: «ألم تخبريني أنكِ لم تكُفِّي قط عن التفكير فيَّ؟»

«أوه يا دوج، دعنا لا نتحدَّث عن ذلك. ليس الآن.»

«لماذا ليس الآن؟»

لم تُجب.

ظننتُها في البداية تهرب من شيءٍ كبير وغامض. ثم خُيِّل لي أن لا شيءَ يخيفها سواي. والآن لا أعرفُ فيما أعتقد.

أشارتْ إلى أنفها الذي بدا لامعًا على ما يُظَنُّ، واستأذنتْ متجهةً إلى نهاية الرواق، فكانت أنيقةً في إيقاع حركاتها، وجذبتْ نظراتِ الإعجاب طَوال الوقت.

ثم قبضتُ يدي وانحنيتُ للأمام. بقيتُ جالسًا مكاني لدقائق طويلة، أرتجفُ وأحاولُ إبعاد نفسي عن حافة هاوية مظلمة. تمايلَ المكانُ وخفَتَ، ومرَّ برأسي ألفُ نهر من لهب.

«دوج، هل أنت بخير؟»

أعادني صوتُ جينكس القَلِق، ولمسة يدها على كتفي إلى واقعي.

قلت كاذبًا: «لا شيءَ، مجرد صداع.»

ولكن عندما ساعدتُها على ارتداء معطفها، تساءلتُ عن ضمان كولينجسورث في كون النوبات التي كانت تأتيني مجرد حالة نفسية جسدية. ربما كان هناك أثرٌ ممتدٌّ عليَّ يُتوقَّع استمراره لفترة من الوقت، حتى بعد التخلص من بقية أعراض المشكلة.

لم يَزِدني اضطرابي إلا صمتًا ساد بيني وبين جينكس، عندما كنت أساعدها على ارتداء معطفها للعودة إلى المنزل. أمام باب منزلها، أمسكتُ بذراعها وجذبتُها نحوي. ولكنها أشاحت بوجهها بعيدًا. كان الأمر كما لو أنها قد كرَّسَت الأمسية بأكملها لهدفٍ وحيد، وهو ثَنْيي عن التقرُّب إليها.

رجعتُ عائدًا إلى الباب.

ثم، إمعانًا فيما اعترى سلوكها من تناقض، سألت بصوتٍ خافت يفتقر إلى الثقة: «سأراكَ مرة أخرى، أليس كذلك يا دوج؟»

ولكن عندما التفتُّ أخيرًا، كانت قد دخلت منزلها بالفعل.

لم أستطع ترك الأمسية تنتهي بهذه الملاحظة التي افتقدت أدنى درجات العقلانية. كان ثمة شيء وحيد يمكن فعله، وهو أن أرجع إليها وأن أُصرَّ على أن تعطيني مبررًا لبُعدها عني على هذا النحو.

تقدَّمتُ للأمام بخطواتٍ سريعة، ومددتُ يدي للضغط على جرس الباب. لم أكد ألمس الجرسَ حتى تأرجحَ البابُ منفتحًا. كنت قد نسيتُ أنَّ الدكتور فولر قد جعله يفتح بسعتي الحيوية.

وقفتُ عند عتبة الباب. وناديتُ: «جينكس.»

لكني لم أسمع جوابًا.

سِرتُ عبر غرفة المعيشة وغرفة الطعام ودلفتُ إلى المكتب. وقلتُ مجددًا: «جينكس؟»

تفقَّدتُ الغرفَ الأخرى، ثم تفقَّدتُ المنزلَ بأكمله مرة أخرى، ناظرًا خلف الأبواب، وفي الخزانات، وأسفل الأسِرَّة.

«جينكس! جينكس!»

هرعتُ إلى الباب الخلفي، وتحسَّستُ وحدة مؤازرته. كانت باردة. لم تُفتَح خلال نصف الساعة الماضي على أقل تقدير.

لكن جينكس كانت قد اختفت. بدا الأمرُ كما لو أنني تخيَّلتُ أنني رأيتُها تدخل المنزل.

الفصل التاسع

وجدتُ نفسي مرةً أخرى أمام بديلَين كلاهما يفتقدُ الحُجةَ بالقدر نفسه. إما أنَّ كولينجسورث كان مخطئًا في رأيه بأنَّ شفاء جنونِ الارتياب الكاذب يَكمُن في إدراكه فحسب. أو أنَّ جينكس فولر قد اختفت بالفعل.

بعد ساعاتٍ من البحث المحموم في منزلها، أوقفتُ السيارة الطائرة في المرأب، ثم سِرتُ متحيِّرًا أسفل الظلال العابسة خارج المبنى السكني. دون أن أدرك أنني وطئتُ بقدميَّ فوق الرصيف المتحرك البطيء، سرعان ما وجدتُ نفسي مندفعًا عبر أماكن هادئة ومهجورة من أرجاء المدينة.

حاولتُ دون جدوى التكيُّف مع المعضلة. لقد وقعَت حوادثُ اختفاءٍ من قبل. وأثبتت جينكس ذلك إلى حَد كبير. وذلك المصير نفسه الذي يَصعُب تصوُّره قد أصاب مورتون لينش، ورسْم أخيل والسلحفاة، والتذكار الذي عليه اسم لينش، وامتدادًا من الطريق، وكذلك ضواحي المدينة التي يمرُّ عبرها.

في حالتَي اختفاء لينش والرسم، كان لا يزال الأمر كما لو أنهما لم يكن لهما وجود من الأساس. عاد الطريقُ وضواحي المدينة إلى الظهور. ماذا عن جينكس؟ هل ستعود، وتتركني أتساءل عما إذا كنت قد بحثتُ فعلًا في منزلها ولم أستطع العثور عليها؟ أم أنني سرعان ما سأعلم أنه لم يسمع بها أحدٌ من قبل سواي؟

في ساعات الصباح الأولى، غادرتُ الرصيف المتحرك مرتَين للاتصال بمنزل جينكس. لكن لم يُجبني أحدٌ في كل مرة.

عندما كان الرصيف المتحرك ينزلق بي عبر مناطق وسط المدينة الخالية من المارَّة، كان بإمكاني أن أشعر بالحضور المروِّع لقوة غير معروفة تُطبِق عليَّ، قوة حازمة وخبيثة كامنة وراء كل ظِل.

قبل حلول الفجر، اتصلتُ ثلاثَ مرات أخرى. وكان كلُّ اتصال عقيم يُرجِع إليَّ الشكَّ الرهيب بأنني لن أسمعَ صوتها مرةً أخرى. ولكن لماذا؟ كان اختفاءُ لينش منطقيًّا. إنه كان يتحدَّى القوة المجهولة. ولكن جينكس قد أصرَّتْ على أنَّ وفاة والدها كانت قضاءً وقدَرًا.

رغم ذلك فهي مختفية الآن.

بعد شروق الشمس بقليل، تناولتُ كوبًا من القهوة في أحد المطاعم الآليَّة، ثم غادرتُ في غير عجلة إلى شركة ريأكشنز. وجدتُ هناك مجموعةً هَلِعة من معتصمي اتحاد راصدي ردود الأفعال، رابضين فوق الرصيف الثابت، تَحميهم من الجموع الغفيرة من داعمي سيسكين الغاضبين فِرقةٌ من أفراد شرطة مكافحة الشغب.

رفعَ أحدُهم ماسورةً ليُلقي بها على راصدي ردود الأفعال. غير أنَّ أحدَ ضُباط الشرطة صوَّب نحوه مسدسَ الليزر الخاص به. فانطلقَ منه ضوءٌ قرمزي مخروطيُّ الشكل أصاب الرجلَ، فسقطَ مشلولًا شللًا مؤقتًا. ومن ثَم، تراجعَ المتظاهرون.

أمضيتُ الساعةَ التالية أجوبُ مكتبي ذهابًا وإيابًا. وفي النهاية، دخلتْ دوروثي فورد وتراجعتْ متفاجِئة عندما وجدتني هناك في هذا الوقت المبكر للغاية، ثم استكملتْ طريقها إلى الخزانة.

قالت وهي تخلع قبعةً صغيرة مُدبَّبة برفق دون الإخلال بتصفيفة شعرها القصير: «ليس من السهل مراقبتُك. وهذا سيئ لأنَّ «عظيم الشأن قصير القامة» يظن على الأرجح أننا متآلفان الآن وكأننا نعيش معًا.»

ضغطتْ على زر الخزانة وانغلقَ بابُها. ثم أردفَت: «حاولتُ الوصول إليك طوال الليل، لكنك لم تكن في المنزل.»

«أنا ...»

«ليس عليك أن تشرح لي. لم أكن أبحث عنك لشيءٍ يخصُّني. أراد سيسكين أن يتأكَّد فحسب من أنك ستحضر في وقتٍ مبكر اليوم.»

قلتُ بفتور: «ها قد حضرتُ مبكرًا. ماذا يريد؟»

ردَّت بقولها: «إنَّه لا يُفضي إليَّ بكل شيء.» ثم توجَّهتْ مرةً أخرى إلى غرفة الاستقبال، ولكنها توقَّفتْ قليلًا. وسألتني: «دوج، هل الأمر يخصُّ ابنة فولر؟»

كنت أنظر من النافذة في تلك اللحظة، فاستدرتُ بسرعة. كان لِذكر اسم جينكس وحده بالغُ الأثر عليَّ. لقد طمأنني أنه — حتى الآن على الأقل — لم تكن جينكس تمضي إلى نفس مصير لينش. ما زالت أدلة وجودها لا يمكن طمسُها.

قبل أن أتمكَّن من الرد، اندفعَ سيسكين إلى غرفة المكتب، متجهِّمًا في وجهي، وصاح: «يبدو أنك قضيتَ الليل في تجربة تيارات القشرة الدماغية!»

ثم وقعتْ عيناه على دوروثي وانفرجتْ تعابيرُ وجهه. أجال النظرَ في كلٍّ منا جيئةً وذهابًا. رمقني بنظرةٍ فاحصة مُدقِّقة وقد رفع حاجبَيه قليلًا. أما هي، فكان ينظر إليها نظرة استحسانٍ حاذقة لا تخلو من تلميحاتٍ شهوانية، مع ربتة لطيفة على ظهرها لكفاءتها في أداءِ عملها.

هزَّتْ كتفَيها وهي تمرُّ من ورائه، ورمقتني بنظرةٍ مفادها «ها أنت ترى ما يريد».

عندما ضغطتْ على الزر فاتحةً الباب، قال لها: «هناك رجلٌ ينتظر في غرفة الاستقبال. هلَّا تُدخِلينه؟»

سألتُ: «أهو رجلٌ آخر من رجال الحزب؟»

«لا. إنه شخصٌ في مجال عملك. ستعرفه.»

كنت أعرفُه بالفعل. إنَّه ماركوس هيث. كان قصيرًا، ولكنه لم يكن في قِصَر سيسكين. كان ممتلئَ الجسم، ولكنه ليس صُلب البِنية. وكان يرتدي نظارة سميكة العدستَين أبرزت القلقَ البادي في عينَيه الرماديتَين.

قال: «مرحبًا يا هُول. لم أرَكَ منذ وقتٍ طويل، أليس كذلك؟»

بلى، بالطبع. لم أرَه منذ المشكلة التي حدثت في الجامعة. ولكن من غير المحتمل أن يكون قد قضى كلَّ السنوات العشر الماضية في السجن. ثم تذكَّرتُ أنَّه قد حُكِم عليه بالسجن لمدة عامَين فقط.

قال سيسكين: «سيكون هيث مُساعِدك. لكننا سنعطيه جميعَ الصلاحيات.»

رمقتُ الرجلَ بنظرةٍ ناقدة. وسألتُه: «هل أنتَ على دراية بأحدث التطوُّرات في مجال المحاكاة الإلكترونية؟»

«أنا سابقٌ بخطوة يا هُول. لقد كنت مسئولًا عن العمل التقني في بارنفيلد.»

قال سيسكين متفاخِرًا: «لقد أحضرتُه من هناك. وهو معنا الآن.»

بارنفيلد هي المؤسسة الخاصة الوحيدة المنافِسة لشركة ريأكشنز في مجال أبحاث المحاكاة الإلكترونية.

اتكأتُ على المكتب. «هيث، هل يعرف السيدُ سيسكين كلَّ شيءٍ عنك؟»

تدخَّلَ سيسكين قائلًا: «أتقصد بخصوص ما حدث في الجامعة؟ بالطبع أعرف. بما يكفي لأدرك أنَّ هيث كان كبشَ فداء.»

ذكَّرتُه قائلًا: «لقد أُدينَ الدكتورُ هيث بارتكاب أفعال احتيالية تنطوي على إساءة استخدام أموال البحث العامة.»

قال هيث متوسِّلًا: «أنت لا تُصدِّق ذلك، أليس كذلك يا دوج؟»

«لقد اعترفت.»

وقفَ سيسكين بين كِلَينا. وقال: «أنا لست غبيًّا لأوظِّف رجلًا دون أن أتحقَّق من ماضيه بالكامل. لقد كلَّفتُ كلَّ موظفيَّ للتحقيق في الأمر. كان هيث يتستَّر على ... شخص آخر.»

قلتُ معترِضًا: «هذه كذبة! لم يكن فولر يمتلك بِنسًا واحدًا عندما تركَ الجامعة.»

ظهرت أسنانُ سيسكين الصغيرة البيضاء. وهو يقول: «قلتُ إنَّ مؤهِّلات هيث قد حازتْ رضاي. ولا يلزم غير هذا.»

قال ذلك وهو يقودُ الرجلَ إلى خارج المكتب. أدركتُ في تلك اللحظة السببَ وراء هذه المناورة الأخيرة. كانت دوروثي فورد قد اختلست السمعَ عن طريق التخاطر عبر دائرة تيارات القشرة الدماغية الترادفية، وعلمتْ من ذلك نواياي في إفساد العلاقة بين سيسكين والحزب وإعاقة طموحاته السياسية.

ويَستعدُّ سيسكين الآن للاستغناء عني. ومن المتوقَّع أن يسعى هيث إلى التعلُّم قدر الإمكان. وبعدها سيستخدم سيسكين نفوذَه وسأُعتقَل بتهمة قتل فولر.

في وقتٍ متأخِّر من صباح ذلك اليوم، انطلقَ صوتُ جرس جهاز الاتصال الداخلي، وظهرَت على الشاشة صورة امرأةٍ مُسنَّة ممتلئة الوجه. كان من الواضح أنَّ دوروثي كانت قد تركت مكتبَها وحوَّلت المكالمات الواردة على الدائرة المباشرة.

قالت المرأة: «مراقِبة ردود أفعال معتمَدة رقم ١٠٤٢١-ج. أُجري استطلاعَ رأي حول ...»

قاطعتُها بوقاحة مغلِقًا الخط: «سأدفعُ الغرامة.»

رنَّ الجرسُ مرة أخرى، وضغطتُ على زر جهاز الاتصال الداخلي مجددًا. وهممتُ بقولي: «قلتُ إنني ... جينكس!»

حيَّتني وقد ظهرت غرفة مكتب الدكتور فولر المرتَّبة في الخلفية: «صباح الخير يا دوج. كان يجب أن أتصل. أعلم أنني تصرفتُ ... بغرابة شديدة ليلةَ أمس.»

«جينكس! ماذا حدث؟ أين ذهبتِ؟ كيف ...»

عقدَت ما بين حاجبَيها في حيرة. أو تُراهما في خوف؟

قلتُ سارِدًا ما حدث: «دخلتُ المنزل بعدكِ مباشرةً. لم تكوني هناك. لم أجدكِ في أي مكان!»

ابتسمتْ. وقالت: «كان عليك أن تنظر عن كَثب. كنت مُرهَقة. ارتميتُ على الأريكة، وهذا كلُّ ما حدث.»

«لكني نظرتُ هناك!»

قالت وهي تحاول أن تصرفَ النظر عن الموضوع بضحكة: «أنت مخطئٌ بالطبع.» ثم أردفت: «فيما يخص الليلة الماضية، لقد كنت قلقةً عليك، لكني الآن لست كذلك. ليس بعد أن فكَّرتَ في الأمر جيدًا. كما ترى، لقد انتظرتُ طويلًا. وعلى مدار الأيام القليلة الماضية، كنتُ في خيبة أمل كبيرة.»

تراجعتُ إلى الوراء وحدَّقتُ في الشاشة.

أضافتْ: «ما أحاولُ قولَه هو أنني أحبك حقًّا.»

ثم سألتْ بعد برهة: «هل سأراكَ الليلة؟»

فقلتُ كاذبًا: «سأظلُّ في العمل لوقتٍ متأخِّر.»

«إذن سأُقلُّك من المكتب.»

«لكن ...»

«لا تُجادِل. سأنتظر هناك طوال الليل إن اضطُررتُ لذلك.»

لم أجادل. قطعتُ الاتصالَ محاوِلًا بلا جدوى أن أجد مبررًا لما حدث للتو. أرادت مني أن أصدِّق أنها كانت مستعدة في الليلة الماضية ألا تراني مرة أخرى أبدًا؛ لأنها كانت خائفةً مني. لكنها الآن مستعدةٌ أن تَقبَلني على الرغم من أنني أعطيتُها أكثر من سببٍ للقلق بشأن حالتي!

من ناحية أخرى، إن كانت قد اختفت بالفعل، فأين ذهبتْ؟ ماذا فعلتْ في تلك الساعات الاثنتي عشرة؟

علاوةً على ذلك، كان من الواضح أنها لم تكن تهرب من أي شيء. فإذا كان شيءٌ قد حلَّ بها، وفقدَ سيطرته عليها، فما كانت لتتصرف الآن وكأن شيئًا لم يحدث.

قضيتُ نصفَ ساعةٍ في عصر ذلك اليوم، أحدِّق في فنجان القهوة الباردة الموضوع أمامي في مطعم شركة رين الآلي، محاوِلًا أن أتقبَّل فكرة أنَّ اختفاء جينكس لم يكن سوى نوبةٍ أخرى من نوبات الهلوسة.

«يبدو أنكَ مستغرِقٌ في تفكير عميق.»

عندما نظرتُ إلى مصدر الصوت، رأيتُ تشاك ويتني، وأدركتُ أنه كان واقفًا بجواري منذ فترة. قلتُ متدارِكًا الأمر: «إنها المشكلات المعتادة فحسب.»

«لقد جاءني هذا الرجل المدعو هيث في قسمي. ولم أستطع الاعتراض.»

«لا تحاول أن تفعل ذلك. لأنك بذلك ستتحدَّى سيسكين. ولكن أخبرني إذا اعترضَ طريقك.»

«أنا أخبرك الآن بالفعل. أنا أستعدُّ الآن للجلوس على أريكة النظام، والخضوع إلى تجربة الاقتران التقمُّصي مع وحدة الاتصال الخاصة بنا. يريد هيث مقعدًا في الصف الأول؛ كي يتمكَّن من مشاهدتي وأنا أقوم بالأمر.»

«إذن أظن أنكَ ينبغي أن تمنحه ذلك المقعد.»

سألت في حيرةٍ من أمري: «هل تريدني أن أُطلِعه على كيفية عمل النظام؟»

«لا تتطوَّع بإخباره أيَّ شيء. لكني لا أرى كيف يمكننا أن نتجنَّب الإجابة عن أسئلته. لماذا ستُجري فحصًا تقمُّصيًّا مع أشتون؟»

«أريدُ أن أرى ما إذا كان لا يزال يشعر بالمرارة.»

بعد ١٠ دقائق كنت قد عدتُ إلى مكتبي. نظرتُ إلى النشَّافة محدِّقًا شاردَ الذهن، وتناولتُ قلمًا وتركتُ يدي تتحرك من تلقاء نفسها ناسخةً رسم أخيل والسلحفاة.

تركتُ القلمَ في النهاية ينزلق من بين أصابعي، وتفحَّصتُ الرسم العشوائي الناتج عن جهودي التي تفتقر إلى الموهبة الفنية. كان من الجليِّ للغاية أنَّ الاسم «زينو» كان المقصود منه الإشارة إلى «سي نو».

لا سيَّما بعد محو كاو نو قبل أن أتمكَّن من الوصول إليه مباشرةً.

مثَّلتْ مفارقةُ زينو في الأساس وجهةَ النظر القائلة بأن كلَّ الحركات مجرد وهم. ولم يستغرق الأمر مني وقتًا طويلًا لأُدركَ أنَّ هذا صحيح، في نظام افتراضي من المحاكاة الإلكترونية.

أيُحتمَل أن يتضمَّن الرسم معنًى آخر غير معلوم؟ كان هناك أخيل، على بُعد مائة قدم من السلحفاة، كلاهما في وضع حركة. ولكن بمرور الوقت، جرى المحاربُ الإغريقي مسافةَ تلك الأقدام المائة، وتقدَّمت السلحفاة، لنَقُل، مسافةَ عشر أقدام. وبينما جرى أخيلُ بدوره تلك الأقدام العشر، كانت منافِسته قد تقدَّمت مسافةَ قدم أخرى. ويُنجز العدَّاءُ مسافةَ تلك القدم ليجدَ أن السلحفاة قد تقدَّمت في تلك الأثناء مسافة عُشر قدم، وهكذا، إلى ما لا نهاية.

ومن ثَم، لا يتمكَّن أخيل إطلاقًا من التفوق على السلحفاة.

هل كان رسم فولر يعني التضاؤل إلى ما لا نهاية؟ ثم تذكَّرتُ شيئًا كان فولر قد قاله قبل شهور:

«ألن يكون الأمرُ مثيرًا للاهتمام لو أنَّ إحدى وحدات الهوية قررتْ فجأة أن تَشرَع في بناء نظام محاكاة بيئية؟»

تأرجحَ البابُ الجانبي منفتحًا، ثم توقَّفَ مُصدِرًا صوتَ ارتطام. استدرتُ لأرى مَن دفَعَه بهذه القوة.

وقفَ ويتني مُتحفِّزًا على عتبة الباب، لاهثًا ينظر للخلف في يأس إلى الردهة.

صرختُ: «تشاك! ماذا حدث؟»

جفلَ عندما سمعَ صوتي وانكمشَ في الجدار. ثم بدا أنه يحاول استجماع نفسه بصعوبة، حيث أبطأ من أنفاسه وثبَّت عينَيه.

قال وهو ينسلُّ نحو باب غرفة الاستقبال: «لا شيء يا سيد هُول.»

لكن ويتني لم ينادِني قطُّ بـ «السيد هُول».

تقدَّمتُ نحوه واشتعلتْ عيناه بالرعب وهو يندفعُ إلى الباب. اندفعتُ أنا الآخر فسبقتُه إليه.

لعنني وانقضَّ عليَّ، لكني خفضتُ جسمي. ثم أمسكتُ بمعصمه ولففتُ ذراعه خلف ظهره.

صرخ ثائرًا: «اتركني!»

اتضحَ كلُّ شيءٍ فجأة.

همستُ: «أنتَ فيل أشتون!»

جثا على ركبتَيه وقال: «نعم. كِدتُ أنجح. يا إلهي، كِدتُ أنجح!»

حرَّر نفسه ورجعَ إليَّ مجددًا، وبدأ يضربني ويُمسك بي. ضربتُه بكل ما أوتيتُ من قوة. ثم حملتُه من الأرض وألقيتُ بجسمه المُنهَك فوق الأريكة.

عند المكتب، ضغطتُ على زر قسم العين السحرية في جهاز الاتصال الداخلي.

ظهر أحدُ مُساعدي ويتني على الشاشة، وكانت الأريكة وخوذة الاقتران المستخدَمتان لتوِّهما ظاهرتَين في الخلفية.

«هل من خطبٍ هناك؟»

سكتَ قليلًا مفكِّرًا. «لا يا سيدي. لِم؟»

«هل السيد ويتني هناك؟» رمقتُ تشاك — تشاك الحقيقي — الذي كان لا يزال فاقدًا للوعي فوق الأريكة.

«لا. لكنه أنهى للتوِّ اقترانًا مع أشتون.»

«كيف تصرَّفَ عندما عاد؟»

«طبيعي، على ما أظن.» ثم أضاف: «مهلًا، لم يسجِّل تقريره!»

«هل حدث شيءٌ آخر خارج عن المألوف؟»

نظرَ إليَّ في حيرة. «لقد واجهنا مشكلةً بسيطة مع هيث. فقد حاولَ الإدلاء برأيه في لوحة جهاز التعديل.»

فَرددتُ عليه قائلًا: «لقد تدخَّل في الأمر أكثر مما ينبغي. فقد تلاعبَ بقوة الإشارة ومستوى التحكم في الكَسب، وتسبَّبَ في حدوث انتقالٍ مُتبادَل. إنَّ أشتون في مكتبي. وويتني عالقٌ هناك في جهاز المحاكاة. أَحضِر اثنَين من الفنيين وتعالَ إلى هنا، بسرعة!»

وقفتُ أمام أشتون متفحِّصًا قَسَمات وجه ويتني المُنهَكة على أملٍ محموم أن تنجح عمليةُ إعادة الانتقال. لقد حدثَ اختلالٌ كارثي في بِنيات جهاز التعديل في خلايا الدماغ لدى ويتني. فقد حُذفَت الأنماط التي طُبعَت في ذهنه على مدار حياته، وأُعيدَ تكوينها ضمن حاويات وأشرطة الذاكرة الخاصة بالدوائر الذاتية لوحدة الاتصال. وفي غضون ذلك، اندفعَت جميعُ البيانات المخزَّنة من دوائر أشتون لتدخل إلى خلايا دماغ ويتني.

لا يمكن لشيءٍ أن يُرجِع تشاك سوى عكس هذه العملية بنجاح.

استفاق أشتون وفتح عينَيه اللتَين كانتا فعليًّا عينَي ويتني.

قال مُجهشًا بالبكاء: «كِدتُ أنجح، كِدتُ آخذ الخطوة الأولى.»

ثم نهض مترنِّحًا. وقال: «لا يمكنكَ إعادتي إلى هناك!»

أمسكتُ بكتفَيه وأَجلستُه. ثم قلت: «سيكون كلُّ شيءٍ على ما يُرام يا فيل. سنتخلَّص من نظام وحدة الاتصال. سنُعيد توجيهَك. لن تدرك حتى أن عالَمك ليس حقيقيًّا.»

صرخَ: «أوه، يا إلهي! لا أريدُ ذلك! لا أريدُ أن أفقدَ المعرفة! ولكني لا أريدُ أن أعلم أيضًا!»

دَفعتُه إلى الأريكة. ولكنه هبَّ واقفًا مرةً أخرى.

صاحَ: «هنا في الأعلى، إنني على وشك الوصول إلى الواقع الحقيقي! يجب أنْ تتركني أمضي قُدمًا وأجد العالَم الحقيقي!»

سألتُه محاوِلًا تلطيفَ الأمر: «ماذا تقصد؟» لو لم أوجِّهه برفقٍ في هذه التجربة، لأصابَه الجنونُ التام، ولوجبَ حذفُه من جهاز المحاكاة.

ضحكَ ضحكًا هستيريًّا. وقال: «أنت أحمق تمامًا! أنت أسوأ مني. أنا أعرفُ الحقيقة. بينما أنت لا تعرفُها!»

هَززتُه. وصِحتُ فيه قائلًا: «اخرج منه يا أشتون!»

«كلَّا، أنت مَن يجب أن يخرج مما هو فيه! أنت مَن يجب أن يستيقظ من حُلمه الصغير اللطيف بالحياة الحقيقية! لقد كذبتُ عليكَ. لم أتحدَّث مع كاو نو قبل حذفه من النظام. ولكنني لم أقل شيئًا لأنني خَشيتُ أن يُجَن جنونُك وتدمِّر جهازَ المحاكاة.»

شعرتُ بالتوتر. وسألتُه: «ما الذي قاله نو؟»

«أنت لا تدري كيف اكتشفَ نو أنَّ عالَمه لم يكن سوى عالَم زائف، أليس كذلك؟» كان أشتون يضحك ضحكة المنتصِر المتعصِّب وهو يقول ذلك. ثم أضافَ: «لم يكن السببُ أنَّ أستاذك الدكتور فولر قد أخبره بالأمر. أوه، ليس على هذا النحو المباشر. بل كلُّ ما في الأمر أنه زرع البيانات في عقل كاو نو الباطن، حيث أمَلَ أن تجدها. لكنَّ البيانات لم يقف بها الحدُّ عند حاويات ذاكرة نو الثانوية. لقد تسرَّبت. ومن ثَم، نقلَ نو المعلومات إلى عالَمه.»

سألتُه وأنا أهزُّه مجدَّدًا: «أي معلومات؟»

«إنَّ عالَمك أنت أيضًا غير موجود! إنَّه ليس سوى مجموعة من المتغيِّرات المحمَّلة على شكل شحناتٍ في نظامٍ للمحاكاة؛ فهي لا تعدو كونها انعكاسًا لعملية محاكاة على مستوًى أعلى!»

نَشَج وضحك، بينما وقفتُ أنا هناك مشلولًا.

قال مهتاجًا: «لا شيءَ! لا شيءَ! نحن لا شيءَ، أنا وأنت! ما نحن سوى انتصارات لإبداعٍ إلكتروني، طيفان من أطياف المحاكاة الإلكترونية!»

ثم نهضَ واقفًا على قدمَيه من جديد. وقال: «لا تُعِد إرسالي إلى هناك بالأسفل! لنَعمل معًا. ربما نتوغل في النهاية في الأعماق السحيقة للواقع المطلق والحقيقة المطلقة! لقد أحرزتُ تقدُّمًا بالفعل، أليس كذلك؟»

ضَربتُه مرةً أخرى. ليس بسبب خروجه عن السيطرة. ولكن فقط بسبب السخرية الحقيرة في كلامه. ونظرًا لأنَّ عينَيَّ كانتا قد سئمتا عدم قدرتهما على الرؤية عبر هيئة تشاك ويتني الثابتة على السجادة، صاح صوتُ المنطق داخلي في هدوءٍ بأنَّ ما يقوله صحيح.

كان كلُّ شيءٍ كما وصفه أشتون تمامًا.

أنا، وكلُّ شيءٍ من حولي، كلُّ نفحة من هواء، كلُّ جُزيءٍ في الكون، كلُّ شيءٍ ليس سوى واقع مُزيَّف. بيئة محاكاة صمَّمها عالَم أوسع نطاقًا من الوجود المطلَق.

الفصل العاشر

قصفتُ هذه الفكرة المروِّعة بأسس المنطق لديَّ. كلُّ شخصٍ وكل شيءٍ؛ الجدران من حولي، والأرضية من تحتي، كلُّ نجمٍ بعيد إلى أبعد آفاق المالانهاية ... كلُّ شيءٍ ما هو سوى اختراعاتٍ بارعة. بيئة تناظرية، مخلوقات محاكاة إلكترونيًّا. عالَم من الوهم المعنوي. تفاعُل متوازن من الشحنات الإلكترونية المنطلقة عبر أشرطة وحاويات التخزين، واثبةً من كاثود إلى أنود، ناقلةً لمحفِّزات شبكات جهد الانحياز والاستقطاب.

وقفتُ وجِلًا أمام عالَم صار مروِّعًا ومعاديًا فجأةً، أشاهِدُ بلا شعورٍ مساعِدي ويتني وهم يحملون بعيدًا جسده الفاقد للوعي الذي استولى عليه أشتون. وقفتُ جانبًا كما لو كنت مشلولًا، بينما يُتمُّون بنجاح عملية إعادة الانتقال.

رجعتُ أدراجي إلى المكتب بشِقِّ الأنفُس، عبر سَديم من الأفكار الدافعة إلى الجنون. صنعتُ أنا وفولر عالَمًا تناظريًّا مثاليًّا، لدرجةٍ لا يمكن معها لوحدات رد الفعل الذاتية الخاصة بنا أن تعرف أنَّ عالَمها لم يكن عالَمًا حقيقيًّا. وطَوال ذلك الوقت لم يكن عالَمُنا بأكمله سوى نِتاج محاكاة إلكترونية لعالَم أعلى!

كان هذا هو الاكتشاف الأساسي الذي توصَّلَ إليه فولر. بمحض المصادفة. ونتيجةً لذلك قُضي عليه. لكنه ترك خلفه رسمَ أخيل والسلحفاة، ونقلَ المعلومة إلى لينش بطريقةٍ ما.

وكلُّ ما حدث منذ ذلك الحين كان نتيجة إعادة البرمجة التي أجراها المتحكِّم الأعلى لإخفاء اكتشافِ فولر والتكتُّم على الأمر!

تمكَّنتُ الآن من فهم سلوك جينكس. لقد علمَت الطبيعةَ الحقيقية لواقعنا من ملاحظات والدها، التي دمَّرَتها وتخلَّصَت منها فيما بعد. لكنها أدركتْ أنَّ أملها الوحيد في

السلامة يَكمُن في إخفاء معرفتها. وعلى أي حال، فقد انتُزِعَت من جينكس أي ذكرى عن مورتون لينش، وكذلك من جميع وحدات الهوية الأخرى.

ثم في وقتٍ ما أمس، اكتشفوا معرفتها بالأمر. وانتزعوها من النظام مؤقتًا. عطَّلوا دائرتَها الكهربائية خلال الليل ليدبِّروا إعادة توجيه خاصة!

يفسِّر ذلك سلوكَها العفوي الهادئ الذي بدَت عليه في اتصالها بي، عَبْر الهاتف المرئي صباحَ اليوم! لم تعُدْ تخشى أن يُبطِلوا برمجتها بلا رجعة.

لكني سألتُ نفسي يائسًا، لماذا تَناسَوني في عملية إعادة التوجيه العامة التي تلَت اختفاءَ لينش؟

أَزحتُ شعري الذي تدلَّى على جبهتي، وحدَّقتُ إلى الخارج في عالَمي المزيَّف. بدا وكأنه يصرخ في وجهي بأنَّ ما طالعَتْه عيناي لم يكن سوى وَهْم ذاتي من صُنع المحاكاة الإلكترونية. بحثتُ عن شيءٍ يمكنه تخفيف أثر ذلك الإدراك الصاعِق عليَّ.

حتى إنْ كان عالَمًا ماديًّا حقيقيًّا، أفلا يظل مجرد عدم؟ على بُعد مليارات السنين الضوئية من أبعد نجمٍ في أبعد مجرَّة، يمتدُّ بحر شاسع يكاد يكون فارغًا تمامًا، تتخلَّله هنا وهناك بقعٌ متناثرة متناهية الصغر من شيءٍ يُسمَّى «المادة». لكن حتى المادة نفسها كانت شيئًا غير ملموس، مثلها مثل الفراغ اللانهائي بين النجوم والكواكب البعيدة المترامية، والأكوان المعزولة. وفي النهاية، فإنها تتكوَّن من جُسيماتٍ «دون ذرية» لم تكن في الواقع سوى «شحناتٍ» غير مادية. هل كان هذا المفهوم غريبًا بقدر يتعذَّر معه تبريره عن ذلك المفهوم الذي اكتشفه الدكتور فولر؛ أي: مفهوم أنَّ المادة والحركة لم يكونا سوى انعكاساتٍ لشحناتٍ إلكترونية في نظام مُحاكًى؟

التفتُّ عندما فُتح بابُ قسم العاملين.

وقفَ كولينجسورث محدِّقًا في وجهي. ثم قال: «شاهدتُك في وقتٍ مبكر من عصر اليوم وأنت تنقذ تشاك من مُحاكي سميولكرون-٣.»

في وقتٍ مبكر من عصر اليوم؟ نظرتُ إلى الخارج. كان الظلام قد بدأ يخيِّمُ على الأرجاء. لقد قضيتُ ساعاتٍ أصارعُ طوفانَ أفكاري الذي اجتاحني اجتياحًا.

تقدَّم نحوي في الجانب الآخر من الغرفة ووقف أمامي باهتمام. وقال: «دوج، أنت تُواجِه المزيد من المشكلات، أليس كذلك؟»

أومأتُ برأسي بلا وعي موافِقًا. ربما كنت أتوقُ إلى طمأنةٍ واهنة — أيًّا كان كُنهُها — قد يقدِّمها إليَّ كما فعلَ من قبل. ولكني تنبَّهتُ فجأةً. يا إلهي، لم يكن في مقدوري إخباره! لو كنت فعلت، لأصبحَ المستهدَف التالي بعملية إخفاءٍ أو حادث.

كِدتُ أصرخ: «لا! كلُّ شيءٍ على ما يُرام! اتركني وشأني.»

سحبَ كرسيًّا ثم قال: «حسنًا، سنُجري الأمر بطريقتي.» ثم أردفَ: «عندما تحدَّثنا في غرفة مكتبي في تلك الليلة، انتهيتُ إلى الافتراض بأنكَ تعاني عقدة ذنبٍ، تأنيب ضمير، بشأن التلاعُب بوحدات رد الفعل التي تخيَّلتَ أنها أشخاصٌ حقيقيون. منذ ذلك الحين، وأنا أفكِّر في الأعراض التي قد تظهر بها هذه العُقدة عليك.»

انعكسَ الضوءُ على شعره الأشيب الكثيف، ما أعطاه مظهرًا لطيفًا. وأكمل قائلًا: «استنتجتُ نوعَ الهَوَس الذي قد يتولَّد عن تلك الظروف، أو لعلَّه قد تولَّد بالفعل.»

سألتُه بالكاد مهتمًّا بسماع الإجابة: «أجل، وماذا هو؟»

«التطوُّر التالي للحالة سيجعلك تبدأ في الاعتقاد، أثناء تلاعُبك بوحدات الهوية الخاصة بك، بأنَّ ثمة خبيرًا أعلى منك في مجال المحاكاة الإلكترونية يتلاعب بك، بنا جميعًا.»

انتفضتُ ناهِضًا. وسألتُه: «أنت تعلم! كيف عرفت؟»

لكنه اكتفى بابتسامة هادئة. وقال: «بيتُ القصيد يا دوج هو كيف عرفتَ أنت؟»

على الرغم من إدراكي أنَّ المعرفة ستُعرِّض أفيري أيضًا للخطر، أخبرتُه بما قاله أشتون بالضبط عندما اقتحمَ عليَّ مكتبي فجأةً، وكان في هيئة تشاك ويتني. كان يجب أن أخبر أحدًا بالأمر.

عندما انتهيتُ، نظرَ إليَّ شزْرًا. وقال: «شيء بارع للغاية. لم أكن لأتخيَّل وسيلةً أفضل من تلك لخداع الذات.»

«هل تعني أن أشتون لم يقُل إنَّ هذا العالَم مجرد وهم؟»

«هل لديك أي شهود يُثبِتون أنه قال ذلك؟» وتوقَّف قليلًا. ثم قال: «أليسَ من الغريب أنَّ القاسِم المشترك الوحيد في كلِّ ما تواجهه هو أنه يتعذَّر إيجاد دليل عليه يؤكِّده؟»

لماذا كان يحاول تدمير كل تصوُّر منطقي أُبلوِره في ذهني؟ هل كان هو الآخر قد توصَّل إلى «الاكتشاف الأساسي» لفولر؟ هل يزُجُّ بي مجدَّدًا إلى غياهب جهلي لأنعمَ بالأمان؟

الأهم من ذلك أنه إذا كان هو وجينكس قد توصَّلا بطريقةٍ ما إلى معلوماتٍ خطيرة، فلِمَ مُحيَت من ذاكرتها بينما سُمِح له بأن يظل دون إعادة برمجة؟

ثم أدركتُ ما بين السطور، كان كولينجسورث على دراية بشكوكي حول طبيعة عالَمنا الحقيقية. ولكنه لم يُصدِّقها. ومن هنا أصبحَ في مأمَن من أن يتخلَّصوا منه.

لكنني لم أرفض هذه المعرفة القاتلة. وعلى الرغم من ذلك، فها أنا جالسٌ هنا، لم يتخلَّصوا مني، لم يُعدْ توجيهي، لم تُعدْ برمجتي. لماذا؟

شبَّك كولينجسورث أصابعَ يديه. وقال: «تسويغُك للأمور بطيءٌ يا دوج. ها أنا أضعُ يديَّ الآن على ركيزةٍ أساسيةٍ أخرى في جنون الارتياب الكاذب الذي تُعانيه.»

نظرتُ إليه على الفور. وسألتُه: «ما هو؟»

«لقد أغفلتَ تفسيرَ فِقدانك المتكرِّر للوعي.»

فكَّرتُ في المرات العديدة التي قاومت فيها نوباتٍ مفاجئةً تُوشِك أن تصبح فقدانًا للوعي. وسألتُه: «ماذا عنها؟»

هزَّ كتفَيه استهجانًا. وقال: «لو كنتُ أحاول نَسْج مخيلتك والبناء على ما تتخيَّله في ذهنك، لَقلتُ إنَّ نوبات الإغماء كانت بمثابة الآثار الجانبية لمتحكِّم أعلى في عالَم مُحاكًى إلكترونيًّا يحاولُ الاقترانَ بك اقترانًا تقمُّصيًّا. اقترانًا ناقصًا. لقد رأيتُ ذلك يحدث في جهاز المحاكاة الخاص بك. تصبح وحداتُ الهوية واعيةً بحدوث شيءٍ ما.»

فتحتُ عينَيَّ محدِّقًا. وقلتُ: «هذا ما حدث يا أفيري! هذا بالضبط ما حدث! هذا هو التفسيرُ الوحيد وراء عدم التخلُّص مني إلى الآن!»

ابتسمَ ابتسامةً عريضةً تنمُّ عن تفوق مَن يقول: «ألَم أُخبِرك؟» ثم قال بطول أناة: «نعم يا دوج، ماذا كنت تقول؟ واصِل حديثَك.»

«هذا يجعل كلَّ شيءٍ سهلًا! آخِر مرة كِدتُ أتعرَّضُ فيها للإغماء كانت ليلة أمس. هل تعرف فيما كنت أفكِّر حينها؟ لقد كنت مقتنعًا تمامًا أنَّ كلَّ ما حدث لي كان هلوسة، مثلما أشرتَ تمامًا!»

أومأ كولينجسورث برأسه، ولكن إيماءته لم تخلُ من السخرية. وسألني: «هل أدركَ خبيرُ المحاكاة الإلكترونية المبجَّل إذن أنه لم يَعُد هناك داعٍ يستوجب إعادة برمجتك؟»

«بالضبط! لقد أَعدتُ برمجة نفسي بشكوكي الخاصة.»

«وما الاستنتاج المعقول التالي في هذه السلسلة من أحكام المنطق المُتوهَّمة يا دوج؟»

فكَّرتُ للحظة، ثم قلتُ بصرامة: «أنني سأكون بأمان حتى يقرِّر إجراءَ فحص سريع آخر، ويرى ما إذا كنت قد عدتُ إلى قناعاتي السابقة!»

ضربَ بيده على فخذه بسعادة المنتصر. وقال: «ها أنتَ ذا. ولا بد أنكَ تشكُّ الآن أنَّ هذا ليس سوى الجزء الذي لا يزال عقلانيًّا في دوجلاس هُول، الذي يعترف بأنه حَريٌّ به أن يُحكِم الإمساكَ بزمامِ نفسه قبل أن تخرج تلك الهواجسُ عن السيطرة.»

قلتُ معترضًا: «أعرفُ جيدًا ما رأيتُ وما سمعتُ.»

لم يحاول أن يُخفي شفقتَه عليَّ ورثاءَه لحالي. ومن ثَم قال: «كما تشاء. هذا شيءٌ لا يمكنني أن أفعله لك.»

اتجهتُ نحو النافذة وحدَّقتُ بالخارج في سماءِ الليل، حيث تناثرت النجوم السرمدية متألقةً في سماء الصيف في كوكباتها التي تبلغ دهورًا في القِدَم.

حتى في ذلك الحين كنت ألمح مئات السنين الضوئية في الفضاء، مليارات ومليارات الأميال. ولكن على افتراض أنني تمكَّنتُ من تخطِّي الأبعاد المطلَقة لكَوني هذا، كما هو موجودٌ بالفعل ضمن حدود جهاز المحاكاة الإلكترونية الذي كان يدعمه. هل كنت سأكتشف أنَّ الكون بأكمله قد ضُغِط في بناية واقع علوي، بطول ٢٠٠ قدم، وعمق ١٠٠ قدم تقريبًا، حسب مقياس ذلك العالَم الأعلى.

ها هي هناك كوكبة الدُّب الأكبر. تُرى لو كنت أستطيع الرؤية عبر الوهم، هل ما كنت سأراه بدلًا من ذلك مولِّد للوظائف؟ وتلك الكوكبة هناك، أَتُراها كوكبة ذات الكرسي؟ أم أنها في الواقع معالِج بياناتٍ ضخم يقف بجانب الموزِّع الخاص به، الذي هو مجرَّة أندروميدا؟

وضع كولينجسورث يده بلطفٍ على كتفي. وقال: «لا يزال بإمكانك محاربته يا دوج. كلُّ ما عليك هو أن تدرك استحالة هواجسك.»

كان محقًّا بالطبع. كلُّ ما كان عليَّ فعله هو أن أُقنع نفسي أنني كنت أتخيَّل حكاية فيل أشتون الباعثة على السخرية، وإصراره المستهزئ على أنَّ عالَمي لم يكن سوى عالَم وهمي من المحاكاة الإلكترونية.

قلتُ في نهاية المطاف: «لا يمكنني فعلُ ذلك يا أفيري. كلُّ التفاصيل متوافِقة تمامًا. أشتون لم يخبرني بذلك. بل كانت هذه هي المعلومات التي أخفاها فولر عميقًا في جهاز المحاكاة الذي صمَّمه.»

قال متنهِّدًا: «حسنًا يا بُنيَّ.» ثم أضاف: «إذا لم أستطع إقناعَك بالعدول عن ذلك، فسأساعدُك في الوقوف على حقيقة الأمر في أسرع وقتٍ ممكن.»

عندما أَعدتُ النظر إليه متحيِّرًا، أكملَ: «ليس من الصعب التفكير فيما ستفعله الآن. ولكن بما أنك سوف تستغرق ثلاثة أو أربعة أيام في تصوُّر الخطوة التالية، فسأوفِّر عليك الوقت. وفي نهاية المطاف، ستدفع بمسألة الربط والقياس في ذهنك خطوةً إلى الأمام. وإذا كان هذا العالَم عبارة عن محاكاة إلكترونية، فستخبر نفسك أنه لا بد إذن من وجود شخصٍ لديه كامل المعرفة بآلية عمل كل شيءٍ فيه.»

«تمامًا كما استخدمنا أشتون كوحدة اتصال!»

«صحيح. وستدرك عاجلًا أو آجلًا أن الكشف عن حقيقة فيل أشتون الذي يعيش في هذا العالَم سيكون المعيار النهائي لصحة شكوكك.»

فهمتُ على الفور ما كان يفترضه. كان على الواقع العلوي أن يرسل إلى عالَمنا وحدة هُويَّةٍ خاصة لمراقبة التطوُّرات التي لم تكن لتَلفِت انتباهَهم، حتى يُجرَى فحصٌ دوريٌّ لأحد أجهزة تجميع المخرجات. إذا تمكَّنتُ من العثور على وحدة الاتصال، فقد أستخلصُ منها اعترافًا نهائيًّا حاسمًا.

ولكن ماذا بعد ذلك؟ هل أتركها تباشر أعمالها بعدئذٍ؟ هل أتركها حرةً لتُبلغ المتحكِّم الأعلى في العالَم بما علمتُ خلال اتصالها التالي معه؟ أدركتُ في الحال أن تعقُّبها لم يكن سوى نصف المهمة. ومن ثَم، قررتُ أنني في اللحظة التي سأتعرَّف فيها عليها سأقتلها كي أحمي نفسي.

قال كولينجسورث بجدية: «إذن، واصِل البحث عن وحدة الاتصال الخاصة بك. وأتمنَّى لك مطاردة مُوفَّقة يا بُنيَّ.»

«ولكنه يمكن أن يكون أيَّ شخص!»

«بالطبع. ولكن، إذا كان هذا الشخص موجودًا، فلا بد أنه سيكون قريبًا منك، أليس كذلك؟ لماذا؟ لأنَّ كلَّ الأعراض التي تزعم الشعور بها تنطبقُ عليكَ وحدك.»

كان من الممكن أن يكون واحدًا من كثيرين. أهو سيسكين؟ هل هي دوروثي فورد؟ لقد كانت هناك عندما اختفى لينش! وانتقلت بالقرب مني لمراقبتي عن كثب في اللحظة نفسها التي تعقَّدت فيها الأمور! أم تُراه تشاك ويتني؟ لِم لا؟ ألم يكن حقًّا الوحيدَ الذي شهدَ لحظة انفجار شحنة الثرميت في جهاز التعديل؟ أم هو ماركوس هيث، الذي كان سيَحلُّ محلي في شركة رين؟ أم حتى وين هارتسون؟ فقد ظهرَ كلاهما في وقتٍ مناسب، عندما رأى الواقعُ الأعلى أنَّ من الضروري وضعي تحت مراقبة أكثر صرامة.

هل هي جينكس؟ بالطبع لا. كان من الواضح أنها مرَّت بالأحداث نفسها التي مررتُ بها.

ولكن ماذا عن أفيري كولينجسورث؟ لا بد أنه قد خمَّنَ أفكاري عندما رمقتُه بارتياب.

فقال: «نعم يا دوج، حتى أنا. بالتأكيد يجب أن تفكِّر فيَّ إذا أردتَ لبحثكَ أن يكون شاملًا.»

هل كان صادقًا؟ هل تنبأ حقًّا بردود أفعالي الناتجة عن جنون الارتياب؟ أم أنه يمارس الخداع فحسب من أجل تحقيق نية يستحيل التكهُّن بها؟ هل كان يحاول توجيهي إلى مسارٍ سلوكي بعينه؟

كرَّرتُ كلامَه متمعِّنًا فيه: «حتى أنت.»

استدار لينصرف، لكنه توقَّفَ عند الباب. وقال: «بالطبع لن يغيب عنك أنكَ لا بد أن تحرصَ أثناء بحثك على الظهور بمظهر طبيعي تمامًا. فلا يمكنك التجوُّل بين الناس متَّهمًا إياهم بأنهم وحدات اتصال. وذلك لأنك إذا كنت محقًّا في شكوكك، فلن يمرَّ وقتٌ طويل قبل أن يقضوا عليك. أليس كذلك؟»

وقفتُ هناك محدِّقًا فيه فحسب، وهو يغلقُ البابَ خلفه. لكنه كان على حقٍّ. يمكنني توقُّع العيش بأمان، وذلك على أقل تقدير حتى تَحينَ المرة القادمة التي يقرِّر فيها المتحكِّم الأعلى إجراءَ فحصٍ آخر عبر الاقتران التقمُّصي، ولكن هذا فقط ما لم أستَرعِ انتباهَه قبل ذلك الحين.

في الخارج، لم أنتبه إلى نسمة الليل الباردة وأنا أشقُّ طريقي أمام راصدي ردود الأفعال من مُعتصمي الفترة المسائية، وأتجه إلى ساحة انتظار السيارات. لم يَعُد في داخلي مكانٌ للهدوء أو العقلانية. هذه المباني، والنجوم من فوقها. مجرد ضغطة زر من شأنها أن تُلغيها جميعًا في تحييدٍ مفاجئ للشحنات الكهربائية. ومن شأنها أن تلغيني أنا أيضًا علاوةً على كل شيءٍ آخر.

عندما اتجهتُ إلى أقرب سيارة طائرة للشركة، فكَّرتُ بازدراءٍ في كل القيم، والتعقيدات، والطموحات والرغبات الإنسانية التافهة. في رغبة سيسكين للسيطرة على العالَم وهو لا يعرف أنه هشٌّ وعابِر كالهواءِ من حولنا. في اتحاد راصدي ردود الأفعال وكفاحهم المستميت ضد محاكي سيسكين، دون حتى أن يدركوا أنهم لا يتفوقون على وحدات رد الفعل في تلك الآلة بأي درجةٍ من الوجود المادي الفعلي.

ولكن تفكيري كان مُنصبًّا بصفة أساسية حول خبير المحاكاة الإلكترونية الأعلى، ذلك الكيان الكُليُّ القُدرة، الخارج عن نطاق الإدراك، الذي يجلسُ متعجرِفًا وآمنًا في قسم معالجة البيانات الهائل لمحاكيه الفائق، يوزِّع المحفِّزات ويدمجها، ويضع مخلوقاته التناظرية في مساراتها.

«المَدد الغَيبي.»

كلُّ شيءٍ زائفٌ. كلُّ شيءٍ ميئوسٌ منه تمامًا وغير منطقي في خلفية من الوَهم غير المتوقَّع.

«دوج!»

تراجَعتُ منتبهًا وأنا أنظر شزْرًا إلى السيارة الطائرة التي جاء منها الصوت.

«دوج، أنا جينكس.»

ثم تذكَّرتُ أنها أصرَّتْ على مقابلتي هنا. سِرتُ إليها مترددًا. انحنتْ عبر المقعد وفتحَت الباب، وومضت الأضواءُ الداخلية.

قالت ضاحكة: «تبدو حقًّا وكأنك قد ضقتَ ذَرعًا بالأمر.»

ذكَّرَني ذلك بأنني لم أَنم منذ يومَيْن. شعرتُ بإرهاقٍ شديدٍ أفقَدَني القدرة حتى على فَهْم ما مررتُ به من أشياء مرعبة في ذلك اليوم الذي لا يُحتمل.

قلت وأنا أصعد إلى السيارة الطائرة بجانبها: «عصرُ يومٍ مُرهِق.»

حدَّقتُ في وجهها، وأذهَلني على الفور التغييرُ الذي طرأَ عليها. لم يَسعني في الأيام القليلة الماضية سوى أن أتخيَّلها في صورة امرأةٍ جذَّابة. والآن، أرى أنها كذلك بالفعل. وطوال تلك الفترة كانت ملامحها الجميلة مُثقَلة بآثار ما عرَفَته من حقائق مروِّعة. أما الآن، فقد بدا واضحًا أنها قد تحرَّرَت من ذلك العبء. وبدلًا من مظهرها القَلِق وملامحها المضطربة، تجلَّى جمالُها الأخَّاذ.

قالت بابتسامةٍ مشاكِسة ذكَّرَتني بحماس جينكس ابنة الخمس عشرة سنة: «في هذه الحالة، سنُلغي الخطة الأولى ونُعِد خطةً بديلة.»

ارتفعَت السيارة الطائرة في عَنان السماء بسرعة البرق، في حركةٍ متمايلة كِدتُ أنام على إثرها، بينما يحيط بنا جمالُ المدينة البَهي في كل مكان.

قالت: «سنعود إلى ذلك المطعم الصغير. ولكن ليس الآن. أنت بحاجة إلى أمسيةٍ هادئة في المنزل.»

كان عليَّ أن أتصرَّف على نحوٍ طبيعي تمامًا، كما أشار كولينجسورث. فلو أنهم كانوا يراقبونني، فلا بد أن أُقنعهم أنني ما زلتُ جزءًا من الوَهم لا يتطرَّق إليه الشكُّ. فحتى الآن، من المحتمَل أن يكون المتحكِّم في العالَم الحقيقي يراقبني عبر عينَي جينكس، ويستمع إليَّ عبر أذنَيها.

قلتُ موافِقًا، وربما بحماسٍ مبالَغ فيه: «يبدو هذا جيدًا. وفي ظل أجوائه الأُسرية البسيطة، يمكن للأمسية أن تصبح بدايةً لأشياء أخرى سعيدة.»

قالت بخجل: «عجبًا يا سيد هُول! يبدو هذا وكأنه طلبٌ ضمنيٌّ للزواج.»

اقتربتُ وأخذتُ يدها وربتُّ عليها. إذا كان ذاك المتحكِّمُ الأعلى يراني الآن، فقد عقدتُ العزمَ على أن يكون الشكُّ في أفعالي هو آخِر ما قد يخطر بباله.

أَعدَّت عشاءً خفيفًا، بلا تعقيدٍ أو تكلُّف، وتناولناه معًا في المطبخ كما لو كنا معتادَين على الأجواء العائلية الودية.

انجرفتُ لمرةٍ واحدة فقط أثناء تناولنا العشاءَ في نوبة شرودٍ ذهني. ولكنَّ تناقضًا أخيرًا قد ألحَّ عليَّ بإصرارٍ فأفاقَني من شرودي، وهو لماذا لم يعيدوا توجيهي في اللحظة التي أدركوا فيها احتمالية حصولي على «الاكتشاف الأساسي» لفولر؟ لقد أعادوا برمجة جينكس بدقةٍ شديدة، وأزالوا من دوائر ذاكرتها جميعَ البيانات التي لها أيُّ صلةٍ بالمعرفة المحظورة. ولكنهم لم يمنعوها من التواصُل مع وحدة الهوية الوحيدة التي ربما تقودها مرةً أخرى إلى إدراك المعلومات المشئومة التي قد تكون سببًا في الفتكِ بها، والتي هي أنا.

«دوج، أنت مُتعَب حقًّا، أليس كذلك؟»

اعتدلتُ في جِلستي منتبهًا. وقلتُ: «أظنني كذلك.»

أخذتْ يدي وقادتني إلى غرفة المكتب، وفيها إلى أريكة جلدية مغرية. استلقيتُ ورأسي في حِجرها، ومسَّدَت صُدغي بحركة رقيقة ناعمة.

قالت مازحة: «يمكنني أن أغنِّي لكَ شيئًا لطيفًا.»

قلتُ قاصدًا إسماعَ مَن يرانا ويسمعنا أيًّا كان: «إنَّ وَقْع كلامكِ على سَمعي غناءٌ في حَد ذاته.»

ثم أسدلتُ الستارَ بعفوية على مسرحيتي عندما حدَّقتُ في عينَيها النابضتَين بالحيوية والعُمق. أنزلتُ رأسها وقبَّلتُها، وللحظةٍ كانت الخلودَ نفسه، نسيتُ كلَّ شيءٍ عن زَيف المحاكاة الإلكترونية، والواقع الأعلى، والمتحكِّم الكُلِّي القدرة، وعالَم اللاوجود. ها هو شيءٌ ملموس، طوقُ نجاةٍ في بحر متلاطِم الأمواج.

غلبَني النومُ أخيرًا. ولكنه كان تحت دِثارٍ من الخوف؛ إذ كنت أخشى أن يقرِّر المتحكِّم الأعلى إجراءَ فحصٍ سريع آخَر على قناعاتي، قبل أن أتمكَّنَ من معرفة وحدة الاتصال الخاصة به.

الفصل الحادي عشر

في منتصف الطريق إلى شركة ريأكشنز في صباح اليوم التالي، أدخلتُ وجهة جديدة في لوحة تحكم السيارة الطائرة. استدارت السيارة الطائرة ثم توجَّهتُ إلى مبنى «بابل سنترال» الكبير الشاهق، الذي ارتفعَ في زهو فوق طبقات السُّحب التي كانت تشبه الفُطْر النفَّاث، حتى بدا كمَن ترتدي تنورةً منتفخة.

شعرتُ بشيءٍ من الفخر لحقيقةِ أنني ما زلتُ أنعمُ بسلامة عقلي ولم يُصبني الجنونُ، كما حدث مع كاو نو في عالَمه الزائف. في اللحظة التي استيقظتُ فيها في غرفة المكتب بمنزل جينكس، تساءلتُ إن كنت سأتمكَّن من أن أُواري اكتشافَ فولر في أعماق ذهني، بالعُمق الذي لا يُسمح باكتشافه خلال أيٍّ من عمليات الاقتران التقمُّصي.

ولكن هل كنت سأتمكَّن من العودة إلى حياتي الطبيعية وقد علمتُ ما علمتُ؟ هل في وسعي أن أدفنَ رأسي في الرمال، وأن أَقبلَ ببساطة المصيرَ الذي برمجَته لي القوى العليا في مُحاكيها أيًّا ما كان؟ بالطبع لا. كان عليَّ أن أعثر على وحدة الاتصال الخاصة بي في هذا العالَم، إن كانت موجودة. وكان سيسكين نقطةَ بدايةٍ جيدة للغاية.

انحدرَت السيارة الطائرة في وضع التحليق، أثناء انتظاري إقلاع مركبتَين أُخريَين من منصة الإقلاع الخاصة بمبنى «بابل سنترال».

انحرفتُ بنظري في لحظة شرودٍ مني إلى الضواحي التي يكتنفها الضبابُ شرقيَّ المدينة. وتذكَّرتُ الليلة التي كنت فيها في جولة بالسيارة الطائرة مع جينكس حتى وصولنا إلى حافة عَدم مُرعِب لا مُتناهٍ، وشاهدتُ خَلق نصف الكون. أدركتُ عندئذٍ أنَّ ثمة تناقضًا آخر يستعصي على التفسير هنا. ما لم ...

بالطبع! يعتمد العالَم المُحاكَى إلكترونيًّا على مفهوم الصِّيغ (الجشطلت) في إثبات أَرجَحيَّته، بمعنى أنَّ وجود عدد كافٍ من العناصر في نمط معين يدل بدوره على وجود النمط بأكمله. فالكلُّ المُدرَك يكون أكبر من مجموع أجزائه المُدرَكة. لم يكن المشهد المفقود من العالَم سوى إحدى «الثغرات» في الواقع. وتلك الثغرات لا تصادفها عادةً وحداتُ رد الفعل.

حتى في جهاز المحاكاة الذي اخترعه فولر، كان من الوارد جدًّا أن تُصادف إحدى وحدات الهوية جزءًا غير مكتمِل من «المشهد». ولكنَّ هذا الاكتشافَ قد حفَّز عددًا من دوائر إعادة البرمجة التلقائية، التي لم «تَخلُق» على الفور العنصر المطلوب فحسب، بل سَلبتْ من كيان رد الفعل ذكرى مصادفته لأي دعائم مفقودة في المشهد.

لحُسن حظي أنَّ الطريق وضواحي المدينة قد «امتلآ» على الفور. ولكن لماذا لم يعيدوا توجيهي كي أعتقد أنه ما من شيءٍ مفقود من الأساس؟

هبطَت السيارة الطائرة، وشققتُ طريقي عبر ممر ضيق مرصوف بالحجارة، وكان يحدُّه سياجٌ من الأشجار، قادني هذا الممر إلى مكتب سيسكين مباشرةً. وهناك تفحَّصني موظفُ الاستقبال بتلك النظرة المُستعلِية التي يرمقُ بها موظفو المؤسسة الداخلية مَن هم مِن خارجها، ثم أبلغَه بقدومي.

خرجَ سيسكين بنفسه لاستقبالي، وأخذَ بذراعي ليرجع بي إلى داخل غرفته. كان الحماسُ يملؤه عندما جلس إلى المكتب مُدليًا ساقَيه.

قال: «كنت على وشك الاتصال بك. ربما لا تُضطر إلى إضفاء الكثير من التنميق على صورة سيسكين عندما تُبرمِجها في جهاز المحاكاة. لقد قَبِلوني عضوًا في اللَّجنة المركزية للحزب!»

بدا مُستاءً بعضَ الشيء لعدم اندهاشي من وضعه الجديد. غير أنَّ ذلك لم يثبِّط من عزيمته.

فقال: «والأكثر من ذلك، يا دوج، أنهم يفكِّرون في ترشيحي لمنصب الحاكِم!»

أضاف مفكِّرًا: «لكنني بالطبع لن يسعدني شيء كهذا. إنني في الرابعة والستين من عمري، كما تعلم. ولا يمكن أن أعيشَ إلى الأبد. عليَّ أن أنجز أعمالي بسرعة.»

وفي لحظة قرارٍ متهوِّر، تقدَّمتُ نحوه ووقفتُ في مواجهته مباشرةً. ثم قلتُ: «حسنًا يا سيسكين. يمكنك خلع القناع. أنا أعرفُ كلَّ شيء!»

تراجعَ مجفلًا من حِدَّة نظرتي. رمقَ جهازَ الاتصال الداخلي مضطربًا، ثم نظرَ إلى السقف، ثم في عينَيَّ مجدَّدًا.

عندما واجهتُه أخيرًا، ارتجفَ صوتُه على النحو الذي توقَّعتُه من صوتِ وحدة الاتصال، وقال: «هل تعلم بالأمر؟»

«ألم تظن أنني سأكتشفُ كلَّ شيءٍ في النهاية؟»

«كيف عرفت؟ هل أخبرك هيث؟ أم تُراها دوروثي مَن أخبرَتك؟»

«أكلاهما يعرفان أيضًا؟»

«حسنًا، كان لا بد لهما أن يعرفا، أليس كذلك؟»

تحرَّكت أصابعي في توتر. كان عليَّ أن أتحقَّق من هُويته. ثم كان عليَّ أن أقتله قبل أن يتمكَّن من إبلاغ مختصِّ المحاكاة الإلكترونية في ذاك الواقع الأعلى، بأنني قد تحرَّرتُ من قبضتهم، وكسرتُ قيودَ عبوديتي.

سألتُه: «هل تقصد أنَّ هناك ثلاثًا من وحدات الاتصال؟»

رفعَ أحدَ حاجِبَيه. وقال مستنكِرًا: «ما الذي تتحدَّث عنه بحق الجحيم؟»

لم أعُدْ متأكِّدًا الآن. ومن ثَم، قلتُ له: «أَخبِرني أنت.»

«دوج، كان عليَّ أنْ أفعلَ ذلك، من أجل حمايتي. لا بد أنكَ تدرك ذلك. عندما أخبرَتني دوروثي أنك تنوي خيانتي وخيانة الحزب، كان عليَّ أن أتخذَ إجراءاتٍ مضادة!»

زالَ عني كلُّ توتري. فقد اتضحَ أننا لم نكن نتحدَّث عن الأمر نفسه.

تابعَ: «بالتأكيد، أحضرتُ هيث، تحسُّبًا لعنادِك ووجوب التخلص منك. لا يمكنك أن تلومني على حمايتي لمصلحتي.»

قلتُ متدارِكًا الأمر: «بالطبع لا.»

«لم أكن أكذب عندما قلتُ إنني معجبٌ بك. لكن لسوء الحظ أنك لا ترى كلَّ شيءٍ من وجهة نظري. لكن لم يَفُت أوانُ ذلك. كما قلتُ، فإنَّ هيث لا يعدو كونه ورقتي الرابحة المؤجَّلة. لا أريدُ الاستعانة به.»

توجَّهتُ غير مبالٍ إلى الباب، وأنا أعي أنَّ العثور على وحدة الاتصال ربما لم يكن بالسهولة التي تخيَّلتُها.

سأل بهدوءٍ وهو يَتبَعني: «ماذا ستفعل يا بُنيَّ؟ لا تحاول ارتكاب أي حماقاتٍ. لديَّ نفوذٌ كبير. غير أنني لا يُرضيني استخدامه ضدك.»

استدرتُ ونظرتُ إليه. تأكَّدتُ، بما لا يدعُ مجالًا للشك في ذلك الحين، أنه لم يكن هو وحدة الاتصال. أَشعَره الغموضُ في حديثنا في البداية بالتهديد وعدم الراحة، ما كان من شأنه أن يجبِره على الإفصاح بحقيقته لو كان هو وحدة الاتصال. علاوةً على ذلك، فإنَّ

وحدة الاتصال كانت ستستمر في شعورها اللامتناهي بالإحباط. كان سيبدو عليه الرعب الأبدي من عدم جدوى كل شيء. كان سيظهر عليه الانطواء والنظرة الفلسفية للأشياء. فهل كان سيسكين؟ استحالة. إنَّ ما يحفِّزه بشدة هو الثروة المادية، والتملك، والطموح.

«لم أفقد الأمل فيك يا دوج. يمكنك استعادة مكانتك. كلُّ ما عليك فعله هو الموافقة وسوف أُسقِط هيث من حساباتي. بل إنني سأُوقِف دوروثي كذلك. كلُّ ما عليك فعله هو أن تُثبِت لي أنك قد غيَّرتَ رأيك عني.»

سألتُه بسطحية: «كيف؟»

«لِتأتِ معي إلى الخبير النفسي المعتمَد لإجراء فحصٍ تأكيدٍ شامل.»

قلتُ كي أنصرفَ فحسب: «سأفكِّرُ في الأمر.»

في طريق عودتي إلى شركة رين، فكَّرتُ عرَضًا فيما حدث في مكتب سيسكين. كان من الواضح أنَّ ما كان يفعله لم يكن سوى تنفيذٍ لحركة مؤجَّلة. كان يعرض عليَّ وَعدًا بالصَّفْح ونَيْل الحُظوة، لا لشيءٍ إلا ليَثنيني عن الكشفِ عن خُططه السياسية أمام عموم الناس.

ولكن إنْ كنت أمثِّل له تهديدًا، فلماذا لم يستخدم نفوذه ببساطة، ويجعل الشرطة تقبض عليَّ بتهمة قتل فولر؟ هذا الأمر كان من شأنه بالتأكيد أن يحرم جهازَ المحاكاة من العديد من التحسينات التي خطَّطتُ لها أنا وفولر معًا. لكن لا بد أنه قد افترضَ الآن بالطبع أن النظام يمكنه الاضطلاع بمهمة وضع استراتيجيةٍ سياسيةٍ مضمونةٍ حتى من دون تحسيناتٍ إضافية.

ثم عندما بدأَت السيارة الطائرة في هبوطها بمحاذاة المنارة العمودية بالقرب من شركة ريأكشنز المحدودة، أصابني التوتر تحت تأثير شكٍّ جديد ومُربِك اعتراني. هل كان سيسكين يتلاعبُ بالشرطة ليَحول دون خيانتي له؟ أم كانت الشرطة في الواقع أداةً غير واعيةٍ للكيان الأعلى، متأهِّبة للقبض عليَّ بتهمة قتل فولر في اللحظة التي يدرك فيها المتحكِّم الأعلى أنني قد علمتُ طبيعة الواقع الحقيقية؟

غُصتُ يائسًا في كُرسيَّ. كان الأمرُ ملتبِسًا عليَّ على نحوٍ ميئوسٍ منه، محصورًا بين شِقَّي الرَّحى لعالَمين كلاهما شرٌّ، مشوَّشًا للغاية لدرجة أنني لم أكن لأستطيع أنْ أتبيَّن من أي اتجاهٍ يأتيني الأذى.

وكان عليَّ طوال الوقت أن أحافظ على رباطة جأشي. ذلك أنَّ أقل إظهارٍ لمعرفتي بوجود العالَم الحقيقي قد أدفع ثمنه إلغاء برمجتي بالكامل؛ ومن ثَم أُصبح طَي النسيان.

في شركة ريأكشنز، وجدتُ ماركوس هيث يجلس إلى مكتبي مُنكبًّا على رُزمتَيْن من المذكرات اختلسهما من الأدراج.

ضغطَ على زر الباب مغلِقًا إياه، ثم رفعَ عينَيه ناظِرًا إليَّ عبر نظَّارته. لم يظهر في عينَيه الحادَّتَين أيُّ ارتباك. كان من الواضح أنه لم يعتبر نفسه قد ضُبط متلبِّسًا.

قال بنفاد صبر: «نعم؟»

«ما الذي تفعله هنا؟»

«هذا مكتبي الآن. وردَت تعليماتٌ من المؤسسة الداخلية مباشرةً. في الوقت الراهن، ستجد لك مكتبًا احتياطيًّا مع السيد ويتني في قسم توليد الوظائف.»

بلامبالاةٍ مفهومة لمثل هذا التطور العادي المُبتذَل، استدرتُ مغادرًا المكان. ولكني تردَّدتُ عند الباب. لم أكن لأجد وقتًا أنسبَ من ذلك لمعرفة ما إذا كان هيث هو وحدة الاتصال.

سألَني بانفعال: «ماذا تريد؟»

رجعتُ إلى المكتب وتفحَّصتُ قَسَماته المتجمِّدة، متسائِلًا عما إذا كنت أخيرًا على وَشْك أن أُثبِت عدم وجودي. لا بد أنني موجود! لقد قدَّمَت الفلسفةُ الديكارتية دحضًا مُسهبًا لشكِّي في ذاتي:

«كوجيتو إرجو سوم»: أنا أفكِّر إذن أنا موجود.

قال هيث منزعجًا: «لا تُضِع وقتي. لا بد أن يكون هذا المحاكي جاهزًا للعرض على الجمهور في غضون أسبوع.»

استقمتُ منحِّيًا تردُّدي جانبًا. «يمكنك الكفُّ عن التمثيل. أنتَ عميلٌ لذلك المحاكي الآخر.»

ظلَّ محافِظًا على رباطة جأشه الظاهرة. غير أن الغضبَ كان يضطرم بداخله. كان باستطاعتي أن أُدركَ ذلك من الضراوة التي ظهرت فجأةً في عينَيه. ثم أدركتُ أنه في هذه اللحظة نفسها قد يكون في حالة اقتران تقمُّصي مع المتحكِّم الأكبر في الواقع الأعلى!

سألَ بهدوء: «ماذا قلت؟»

كان يريدني حينئذٍ أن أُعيدَ كلامي كي يسمعه المتحكِّم الأعلى! كان تأخُّري قاتلًا بالفعل!

اندفعتُ بقوة عبر المكتب محاوِلًا دون جدوى الإمساكَ به. لكنه تراجعَ للخلف بعيدًا عن متناوَل يدي، وأخرجَ يَده من الدرج ممسِكًا بمسدس ليزر.

خرجَ الشعاع القرمزي العريض المدى منتشرًا على ذراعيَّ وصدري وبطني، وسقطتُ فوق المكتب، فاقِدًا على الفور أيَّ تحكُّم في عضلاتي، من خصري حتى عنقي.

كان من السهل عليه أن يرفعني ويُوقِفني على قدمَيَّ. ثم دفَعَني للخلف نحو أحد الكراسي وأَجلَسني عليه. ونشرَ شعاعَ مسدس الليزر فوق ساقَيَّ.

جلستُ في مكاني مترنِّحًا يَمنة ويَسرة، لا يمكنني أن أحرِّكَ شيئًا سوى رأسي. حاولتُ مذعورًا أن أرفعَ ذراعي كي أعلم شدة الشلل. لكن شيئًا لم يتحرَّك في جسدي سوى سبَّابتي. كان ذلك يعني أنني لم أكن لأستعيدَ قدرتي على الحركة لساعاتٍ. وكلُّ ما كان يحتاجه هو دقائق. لم يكن بوسعي أن أفعلَ شيئًا سوى الجلوس مكاني وانتظار إلغاء برمجتي.

سألتُه وقد فارقَني الأمل: «متى سيحدث الأمر؟»

لم يُجب. بعد وهلة، أغلقَ أقفال كِلا البابَين. ثم انحنى على حافة المكتب.

«كيف عرفت يا هُول؟»

لم تمضِ عليَّ دقيقةٌ وعي واحدة أمس دون أن أتساءل عن ردِّ فعلي، عندما أجد نفسي محصورًا في مثل هذه المواجهة الأخيرة. أما الآن، وقد وصلتُ إلى هذه المواجهة، فلم أقترب حتى من الشعور بذلك الخوف الذي تخيَّلتُ أنني سأشعر به.

قلتُ: «عن طريق فولر.»

«ولكن كيف عرف؟»

«إنه هو مَن اكتشفَ كلَّ شيء. لا بد أنك تعرف ذلك جيدًا.»

«لِم عساي أن أعرف؟»

«إذن هناك أكثر من عميل؟»

«لو كان الأمر كذلك، لكانوا قد أبقَوا الأمر سرًّا دفينًا عنك.»

رمقَ جهازَ الاتصال الداخلي، ثم أعادَ النظر إليَّ. كان واضحًا أنه منزعجٌ من أمرٍ ما. لكنني لم أستطع أن أتبيَّن ما هو. لا بد أنه قد أبرأ ذمته، وذلك حسبما يتراءى من وجهة نظر الواقع الأعلى.

ثم ابتسمَ وهو يعودُ أدراجَه ويمسك بحَفنةٍ من شعري. دفعَ رأسي إلى الوراء وأطلقَ القليلَ من الليزر على حَلْقي.

أصبحتُ مشلولًا مرة أخرى. إذا كانوا سيتخلَّصون مني في أي لحظة، فلِم يُصيب أحبالي الصوتية بشلل مؤقَّت؟

مرَّر يده خلال شعره وهَندَم من مِعطَفه. عادَ ليجلس في كرسيه وتحدَّثَ بهدوءٍ في جهاز الاتصال الداخلي:

«آنسة فورد، هل يمكنكِ أن تُوصليني بالسيد سيسكين، من فضلكِ؟ وضَعي المكالمة على دائرة أمان.»

لم أتمكَّن من رؤية الشاشة. لكني ما كنت لأُخطئَ صوتَ سيسكين، حين سألَه: «هل من خَطْب لديك يا ماركوس؟»

«لا. كلُّ شيءٍ تحت السيطرة. لقد أعددتَ كلَّ شيءٍ على نحو جيد للغاية يا هوراس، وستكون الأمور مُربِحةً لكلَينا لأننا نتَّفق تمامًا في كلِّ الأمور.» تَلعثَم هيث.

«نعم؟»

«ذلك مهم يا هوراس ... أن نتفق في وجهات نظرنا. بشأن الحزب وكلِّ ما سواه. أؤكِّدُ على تلك النقطة لأنني أريد أن أَمثُل معك غدًا أمام الخبير النفسي المعتمَد.»

كانت حيرتي تزيد. لن يُلغوا برمجتي، بل إن هذه المحادثة كانت خارجة تمامًا عن صُلب الموضوع.

قال سيسكين معترضًا: «حسنًا، انتظر لحظة، لا أعرف لماذا يتوجَّبُ عليَّ إثبات كلِّ شيءٍ قلتُه لك.»

«ليس عليك ذلك.» بدا على قَسَمات وجه هيث الإرهاق والصدق والخنوع. «إنه أنا مَن يجب أن يقنعك أنني من الآن فصاعدًا سأصبحُ الرجلَ الأكثر ولاءً في مؤسستك. وليس ذلك فحسب لأنني أقدِّر الصفقة الجيدة عندما تجيء لي. ولكن السبب الرئيسي هو أن كلينا في فريق واحد، على الجانب نفسه من الأمور.»

«كلامُك غير واضح بما يكفي يا ماركوس. ما الذي يدور في ذهنك؟»

«ببساطة، لقد جئتُ إلى هنا بصفتي عميلًا لمشروع المحاكاة الآخر.»

«بارنفيلد؟»

أومأ هيث برأسه إيجابًا. «أتقاضى راتبي منهم في الوقت الحالي. كان يُفترَض أن أسرق جميع أسرار شركة ريأكشنز؛ كي تتمكَّن بارنفيلد من إتمام صناعة جهاز محاكاة يُنافِس جهازَك.»

على الرغم من أنني كنت تحت تأثير الشلل الذي أصابني به مسدس الليزر، فقد فهمتُ أخيرًا. لقد تسرَّعتُ مجدَّدًا في التفسير بسبب الغموض الذي شاب الأمورَ. كان هيث عميلًا داخليًّا لإحدى شركات المحاكاة الإلكترونية، ولكن من أجل صناعة مُحاكٍ منافِس في هذا العالَم فحسب.

سأله سيسكين باهتمام: «وهل فعلت ذلك؟»

«لا يا هوراس. لم أنوِ أن أفعل ذلك. ليس منذ المحادثة الثانية التي خُضتها معك حول العمل هنا. سيؤكِّد الخبير النفسي المعتمَد ذلك.»

لاذَ سيسكين بالصمت.

«ألا ترى يا هوراس؟ أريدُ أن أعمل معك بإخلاص. أردتُ منذ البداية تقريبًا أن أعمل لصالحك بقدر ما أستطيع.

كلُّ ما في الأمر هو أنني لم أكن قد قرَّرتُ بعدُ الوقتَ الذي أُصارحك فيه، وأطلبُ إجراءَ فحصٍ لدى الخبير النفسي المعتمَد.»

«وما الذي دفعك إلى هذا القرار؟»

«اقتحام هُول عليَّ الغرفة قبل بضع دقائق؛ ليخبرني بأنه يعرف بصلتي ببارنفيلد ويهدِّدني بكَشْف أمري.»

بدَت السعادة على صوت سيسكين عندما قال: «وهل أنت على استعدادٍ لتأكيد كل هذا أمام الخبير النفسي المعتمَد؟»

«في أي وقت. الآن إذا أردت.»

«لا بأسَ من الانتظار للغَد.» ثم ضحكَ سيسكين بسعادة، وأردفَ قائلًا: «زرعتْ بارنفيلد عميلًا هنا! هل يمكنك تخيُّل ذلك؟ حسنًا جدًّا يا ماركوس. سنظل على اتفاقنا، إذا أعطانا الخبير النفسي المعتمَد تأكيدًا بالطبع. وستمدُّ بارنفيلد بجميع المعلومات التي تريدها، والتي يُفترَض أنها سرية. كلُّ ما هنالك هو أننا سنتأكَّد من أنها بيانات مُزيَّفة من النوع الذي سيقضي عليها تمامًا.»

أنهى هيث الاتصال وتوجَّه نحوي. ثم قال: «حسنًا يا هُول، لم يَعُد معك شيءٌ ضدي، أليس كذلك؟ والأدهى من ذلك أنك ستتعذَّب بعد أن أُطلِق الليزر عليك.» سكتَ قليلًا متذوِّقًا طعم النصر. ثم أضافَ: «سأجعل جادسن يعيدك إلى المنزل.»

لم يكن أيٌّ من سيسكين وهيث هو وحدة الاتصال. مَن التالي الذي عساي أن أبحثَ عنه؟ صِدقًا لم أكن أعرف. توصلتُ في نهاية المطاف إلى أن الوحدة يمكن أن تكون أي شخص، حتى أقل الموظفين منصبًا. وكنت قد توصلتُ إلى قناعة يائسة أنني، قبل وقتٍ طويل من انتهاء بحثي، سأجد نفسي فجأةً تحت التأثير المميت لنوبة اقتران تقمُّصي تالية لا مفر منها. سيكتشف المتحكِّم الأعلى حينئذٍ أنني أعرف كلَّ شيءٍ عن واقعه الأعلى.

الفصل الثاني عشر

ظلَّت تياراتٌ من الحُمَم تسري في أوردتي طوال الليل، حيث أخذتْ آثار ما بعد الرش بالليزر مسارها في الألم المبرِّح. ربما كنت أُخفي الألم تحت موجة من الحقد الانتقامي من هيث. ولكنه قد مرَّ وقتٌ طويل منذ أن فقدتُ توهُّمي بأنَّ الأمور المادية التافهة قد لا تزال ذات أهمية.

قبل منتصف النهار بقليل، ساعدني حارسٌ كلَّفه جادسن بشقتي على النهوض من السرير، وقادني إلى المطبخ. تناولتُ وجبة فطور خفيفة من الخادم الآلي. ولم تكن مشبِعة. ومع ذلك، لم تكن معدتي قادرة على هضمها.

بعدما غادر، قضمتُ قطعة من الخبز المحمَّص المتوازن، وتناولتُ قليلًا من القهوة. ثم جلستُ مكاني أتساءلُ عما إذا كان من الممكن التكيُّف مع المعلومات التي أخبرني بها فولر.

لم أكن شيئًا، مجرد حُزمة من شحنات المحاكاة الإلكترونية. ولكن لا بد أنني كنت موجودًا. لم يكن ليقبل المنطق البسيط بأقل من ذلك. أنا أفكِّر، إذن أنا موجود. ولكني إذن لم أكن أولَ شخص تؤرِّقه احتمالية أن كلَّ شيءٍ غير حقيقي. ماذا عمَّن تبنَّوا مبدأ الذاتوية، وفلسفة بيركلي، والفلسفة المتعالية؟ كان الواقع الموضوعي عبر التاريخ محلَّ نظر دقيق. لم يكن مناصِرو الذاتية استثناءً كبيرًا في جهود فهم الطبيعة الحقيقية للوجود. وحتى العلم البحت قد رجَّح بشدة الظاهراتية بمبدئها من عدم اليقين، أي: مفهومها القائل بأنَّ المُلاحَظ جزءٌ لا يتجزأ من المُلاحِظ.

في الواقع، لم يفتقر علم الوجود قط إلى تقديره للمذهب التصوُّري. رأى أفلاطون أنَّ الحقيقة المطلَقة لا توجد إلا في صورة أفكار بحتة. وفي رأي أرسطو، كانت المادة شيئًا غير

جوهري وسلبيًّا، يحفِّز التفكيرَ على إنتاج الواقع. لم يكن التعريف الأخير في جوهره شديدَ البُعد عن مفهوم السعة الذاتية لوحدات الهوية، أي: تأثيرها في بيئتها المحاكاة إلكترونيًّا وتأثُّرها بها.

لم يكن تقديري المكتسَب مؤخرًا للحقيقة الأساسية ينقصه سوى تسليم أخير، وهو يوم الفَناء؛ فعندما يأتي لن يكون ظاهرةً فيزيائية، بل محو تام لدوائر المحاكاة الإلكترونية.

ومن بين كل المفاهيم الميتافيزيقية التي بزغت طوال تاريخ الفلسفة الطويل، كان مفهومي هو الوحيد المنفتح على تأكيدٍ أخير. يمكن إثباته على نحو قاطع بمجرد العثور على العميل المكلَّف بإلغائي؛ وحدة الاتصال المخفية.

بحلول الظهيرة، أزالَ عني حمَّامٌ ساخن وتدليكٌ بسَفْع الهواء آخِر تشنُّجات نتجت عن مسدس الليزر، وعُدتُ إلى شركة ريأكشنز.

في الممر المركزي، خرجَ تشاك ويتني من قسم توليد الوظائف وأمسكَ بذراعي. سألَ: «دوج! ما الذي يحدث؟ لماذا يجلس هيث في مكتبك؟»

«دعنا نَقُل إنني في نزاعٍ مع سيسكين.»

«حسنًا، ما دمتَ لا تريد التحدُّث عن ذلك ...» ثم دخلَ إلى قسم توليد الوظائف وأشار إليَّ أن أتبعه. وقال: «من المفترَض أن أُريك مكانَ عملك من الآن فصاعدًا.»

قادني أمام وحدة تكامل البيانات الأساسية، وإلى آخِر صف من موزِّعات الإدخال الضخمة، حيث كانت كلُّ خزانة جاثمة تقف مثل حارس كئيب بمئات العيون الوامضة والأقراص الدوَّارة.

وصلنا إلى الطرف الآخر من الغرفة، وأشار إلى صندوقٍ صغير ذي جدران زجاجية. وقال: «خذ راحتك.»

دخلنا وقضينا بعضَ الوقت نتفحَّصُ المكانَ الجديد الكئيب الذي فُرِض عليَّ. أرضيةٌ عارية من خشب البلوط غير المصقول. مكتب مزوَّد بجهاز نسخ صوتي مفتوح لأستخدمه في مراسلاتي. كُرسيَّان مستقيما الظهر، وخزانة ملفات.

جلسَ تشاك على الكرسي الإضافي بالعكس. وقال: «كان سيسكين هنا في الصباح. وقد أحضر مساعِدَين جديدَين لهيث. مما فهمت، لقد رتَّبَ لعرض المحاكي على العامة في أقرب وقتٍ ممكن.»

«ربما يريد أن يأسر وجدان العامَّة بعرضٍ استعراضيٍّ كبير.»

قال: «أنت على وشك المغادرة يا دوج. لماذا؟»

غُصتُ في الكرسي الآخر. وقلتُ: «سيسكين لديه أفكاره الخاصة حول كيفية استخدام المحاكي. وأنا لا أتفقُ معه.»

«إذا كان هناك أيُّ شيءٍ يمكنني فعله، فما عليك سوى أن تخبرني.»

هل كان ويتني هو وحدة الاتصال؟ شخصٌ عرفته على مدار سنوات؟ صديقي المفضَّل؟ حسنًا، لِم لا؟ في المحاكي الذي صنعناه كان لفيل أشتون معارف مقرَّبون أيضًا. ولم يشكَّ أحدٌ منهم في طبيعته الحقيقية.

سألتُ مفكِّرًا: «تشاك، كيف تميِّز بين العمليات الإدراكية ذات الصلة عندما ترى كُرسيًّا، على سبيل المثال، وعندما ترى وحدة هوية كرسيًّا مكافئًا مُحاكًى إلكترونيًّا؟»

«أسيكون ذلك في إطار جلسة للتلاعُب بالعقول؟» وضحكَ.

«حقًّا، ما الفرق؟»

«حسنًا، في حالتنا، تسقط صورة ثنائية الأبعاد للكرسي على شبكية العين. تستشعرها الأعصابُ، وتقسِّمها إلى سلسلة من النبضات الحِسية التي تُرسَل مباشرةً إلى الدماغ. في شكل معلوماتٍ مُشفَّرة. تحويل خطي.»

«وماذا يحدث في حالة وحدة الهوية؟»

«الكرسي التناظري هو في الواقع نمطٌ من النبضات المخزَّنة. عندما تصادِفُ الوحدة اتصالًا «مرئيًّا» عبر المحاكاة الإلكترونية بالكرسي، تتأثَّر إحدى دوائرها الإدراكية بتلك النبضات. وتنقلها الدائرة بدورها إلى حاويات الذاكرة الخاصة بالوحدة.»

«ما مدى كفاءة النظام الإدراكي لوحدة الهوية؟»

«إنَّه يضاهي نظامنا الإدراكي. فكلُّ حاوية من حاويات الذاكرة لدى وحدة الهوية تخزِّن ما يزيد على سبعة ملايين بت، وتُكمِل الدورة الواحدة في جزأين من الألف من الثانية. ونتيجةً لذلك، فإنَّ زمنَ الإدراكِ وردِّ الفعل مكافئٌ لزماننا تقريبًا.»

اتكأتُ للخلف أشاهِدُ وجهه بتمعُّن، وأتساءلُ عما إذا كان قد شكَّ فيما إذا كنت أقوده إلى منطقةٍ محظورة. «وماذا يحدث عندما تخرج وحدة الهوية عن السيطرة؟»

«هل تفقدُ عقلها؟» حدَّب كتفَيه في غير علم. ثم أضافَ: «يخرج الموزِّع عن المزامنة. وتتلقَّى الدوائر الإدراكية لوحدة الهوية نبضاتٍ متضاربة. ومن ثَم، يظهر فجأة شيءٌ لا يُفترَض أن يظهر، أو قد يختفي. وتبدأ الوحدة المتشكِّكة في ملاحظة الصَّدع الموجود في بيئتها المُحاكاة إلكترونيًّا نتيجة عملها في ظل تعديلٍ مَعِيب.»

قلتُ وقد أصبحتُ أكثر جرأة فجأة: «كالحال، على سبيل المثال، عند التعثُّر في أحد الطرق، مُنعطَف لضواحي المدينة، واكتشاف نصف مجرَّة غير موجودة؟»

«بالطبع. شيءٌ من هذا القبيل.»

قال ذلك دون أن يرجف له جفن. على ما يبدو أنه قد اجتازَ الاختبار بنجاح.

من ناحية أخرى، هل يمكن لوحدة اتصال، برمَجها المتحكِّم في الواقع الأعلى، أن تكون بهذه الكفاءة؟

ثم عندما حدَّقتُ عبر الفاصل الزجاجي في قسم توليد الوظائف، توتَّرتُ عندما أدركتُ أنني في تلك اللحظة تحديدًا كنت أنظر إلى أحد «الصدوع البيئية».

عندما رأى ويتني تعابيرَ وجهي، أَلقى نظرةً حَيرَى داخل الغرفة. وسألني: «ما الأمر؟»

أدركتُ على الفور فرصةً لإجراء اختبار ثانٍ، للتأكُّد أكثر من أنه لم يكن هو وحدة الاتصال. ضحكتُ. ثم قلتُ: «لاحظتُ للتو شيئًا غريبًا بشأن وحدة تكامل البيانات الرئيسية لدينا.»

تفحَّصها في لحظتها. وقال: «لا أرى شيئًا.»

«الخزانة بأكملها عبارة عن وحدة مندمجة واحدة. أظن أن بإمكاني تقدير أبعادها. خمس أقدام ونصف في اثنتَي عشرة. بارتفاع أكثر قليلًا من عشر أقدام. هل تتذكَّر عندما ثبَّتناها؟»

«بالطبع. لقد وجَّهتُ الطاقم.»

«ولكن يا تشاك، لا توجد نافذة أو باب في هذه الغرفة بالحجم الذي يسمح بمرور شيءٍ بهذا الحجم من خلاله!»

ارتبكَ للحظة. ثم ضحكَ وأشارَ بيده. «ما لم يكن قد مرَّ عبر ذلك الباب الخلفي المؤدي إلى ساحة انتظار السيارات.»

حافظتُ على ملامح وجهٍ حازمة عندما استدرتُ ونظرتُ. كان هناك بابٌ بالفعل، كبيرٌ بما يكفي لإدخال جهاز التكامُل. ولكنه لم يكن موجودًا قبل لحظة!

لقد حفَّز ردُّ فعل تشاك المتحيِّر دائرةَ تعديل آلية. كانت قدرتي على تذكُّر الوقت الذي لم يكن فيه البابُ موجودًا؛ الدليلَ الوحيد على أنني ما زلتُ، لسببٍ ما، لم أتعرَّض لإعادة التوجيه.

رنَّ جرسُ جهاز الاتصال الداخلي. ضغطتُ على زر التشغيل وأضاءَ الشاشة وجهُ دوروثي فورد القَلِق. رمقَتْ تشاك بنظرةٍ مضطربة.

قال مُجامِلًا قبل أن يغادر: «لديَّ عمل لأقوم به.»

لاحظتُ أنَّ دوروثي تخوض معركة حامية مع قلقها. كانت عيناها دامعتَين، وأصابعها تتشابك في توتر. سألتْ: «هل سيخفِّف من حدَّة الأمر إنْ قلت إنني آسفة؟»

«هل أخبرتِ سيسكين أنني أنوي إفسادَ خُططه؟»

أومأتْ برأسها في حرج. وقالت: «نعم يا دوج. كان عليَّ أن أفعل ذلك.»

وقد علمتُ من صدق صوتها أنَّ خيانتي كانت آخِر ما ترغب في فعله.

واصلتْ حديثَها بجدية. «لقد حذَّرتُكَ، أليس كذلك؟ لقد أوضحتُ أنه يتعيَّن عليَّ أن أعتني بمصلحة سيسكين.»

«وقد أثبتِّ كفاءةً في عملكِ.»

«نعم، أظنُّ ذلك. لكنني لست فخورةً بما فعلت.»

ولهذا السبب، اعترفَت بأنها كشفت أمري لسيسكين. هل ستعترف في النهاية بأنها خانتني لصالح قوة أكبر بكثير.

ضحكتُ. وسألتُها: «لن نترك الأمر عند هذا الحد، أليس كذلك؟»

عبستْ في حيرة.

وتابعتُ: «حسنًا، لقد قُلتِ ذات مرة إن كلينا لديه وظيفته، ولكن لا يزال بإمكاننا الاستمتاع معًا.»

لم تفعل شيئًا سوى أنها طأطأت رأسَها، فيما بدا أنه خيبة أمل مباغتة.

قلتُ متظاهرًا بالمرارة: «أوه، أتفهَّم الأمر. الوضعُ لم يَعُد كما كان. الآن وقد حقَّقتِ هدفكِ، لم أَعُد محل اهتمامكِ.»

«لا، الأمر ليس كذلك يا دوج.»

«لكنكِ بالتأكيد قد أدَّيتِ واجبكِ على نحو جدير بالإطراء، ولستِ بحاجة لمراقبتي من الآن فصاعدًا.»

«لا، هذا غير صحيح. سيسكين راضٍ تمامًا.»

تظاهرتُ بنفاد الصبر، وشرعتُ في إغلاق جهاز الاتصال الداخلي.

انحنتْ إلى الأمام بلهفة. ثم قالت: «كلَّا، انتظر!»

هل كانت مجرد فتاة أُصيبَت بخيبة أمل لأن الشخص المفترَض فيه التواضع، الذي لعبت عليه لعبتها أثناء أدائها لعملها، قد قرَّر قبولَ عرضها؟ أم أنها وحدة اتصال تخشى أن تفقد تواصلها المباشر مع موضوع ملاحظتها.

قالت بلا حماس: «حسنًا، يمكننا الاستمتاع.»

سألتُها: «متى؟»

تردَّدتْ. ثم قالت: «متى أردت.»

في تلك اللحظة، لم أستطع أن أتخيَّل شخصًا مثيرًا للشُّبهة في بحثي عن وحدة الاتصال أكثر منها. يمكنني التحقق من هذا الأمر جيدًا. قلتُ مقترحًا: «الليلة. في منزلكِ.»

كانت شقة دوروثي فورد أحد تلك المعتكَفات الوثيرة المترَفة، التي ارتبطت عادةً بالامتيازات المتحرِّرة لرجال الأعمال الأثرياء. رأيتُ منذ البداية، بدعوتها لي للقدوم إلى هنا، أنَّ الأمر لم يَعدُ كونَه إهانةً أخرى للفتاة.

جداريات متحركة ثلاثية الأبعاد، لكلٍّ منها خلفية موسيقية، ومشهد إيحائي مُتباهٍ. نفخَ الإله بان في مِصفاره، وركلَ للأعلى بحوافره المشقوقة، بينما أحاطت به الحوريات الخليعات برقصهن الحسي المنغمس في الملذات. عانقَت أفروديت أدونيس بين عمودَين رخاميَّين مزيَّنَين بالورود المتسلِّقة ومُؤَطَّرين لخلفية بعيدة من بحر إيجة. وكليوباترا، بشعرها الداكن المتلألئ في الانعكاس الناعم لضوء القمر المداعِب على صفحة النيل، ترفع كأسًا مُرصَّعةً نخبَ مارك أنطونيو، ثم تنحني إلى الوراء أمام سور مركبها.

يشرف على كل ذلك صورةٌ شخصية ثلاثية الأبعاد لهوراس بي سيسكين. حدَّقتُ في اللوحة أعلاه، وقد أدركتُ في ذلك الحين وجهًا في شخصية الرجل لم أكن واعيًا به من قبل. كانت عيناه، في تحديقهما في جدارية أفروديت وأدونيس، تُشعَّان بنيَّة داعِرة. لم يُعطِ كامِلُ تعابير وجهه سوى انطباع حتمي واحد، وهو الشهوانية.

تلاشى السحر المتناغم للغرفة عندما ضغطتْ دوروثي زر الطلب في الساقي الآلي. تلقتْ شرابها، وارتشفتْ نصفَه، ثم حدَّقتْ شاردة الذهن في كأسها، كما لو كانت تبحث عن شيءٍ فقدتْه منذ زمن طويل. كانت ترتدي ثياب نوم مريحة باللون الأزرق الناعم، مُشذَّبة بفَرو القاقُم الأبيض. وكان شعرها، المرفوع لأعلى والمتلألئ برذاذٍ وامض، مثلَ تاج ناعم من غُبار النجوم الذي كشفَ بطريقةٍ ما عن مظهر بريء مليء بالحيوية لوجهها المنحوت. غير أن ثمة إصرارًا هادئًا قد علا ملامحَها. لقد عقدتْ صفقة. والآن كانت على وشك أن تنفِّذ نهايتها.

تجوَّلتْ في المكان مشيرةً نحو صورة سيسكين الشخصية. وقالت: «يمكنني أن أسحبَ الستائر وأُزيله من الصورة.»

«أتُزيلينه من كل تلك الأشياء التي يمتلكها؟»

جفلت. وقالت: «لم يعد مهتمًّا. كانت تعني له شيئًا يومًا ما. ولكن الحيوية ليست بالشيء الذي يدوم.»

«تبدين نادمة.»

«يا إلهي، لا.»

رجعتْ وطلبت لنفسها شرابًا منعِشًا آخر، وتركتني جالسًا في مكاني حائرًا. هل تسمح وحدة الاتصال لنفسها أن تتورَّط في تعقيداتٍ غير تقليدية؟

استنفدَت الشرابَ المنعش، وانتظرتْ كأسًا ثانية، ثم عادت. كان مفعول الكحول قد بدأ. بدت معنوياتها أعلى بعضَ الشيء، على الرغم من أنَّ أثرًا من تجهُّم قد ظلَّ على وجهها.

«هذا نخب «عظيم الشأن قصير القامة».» رفعت كأسها وارتشفت منه، ثم تراجعتْ للخلف وسكبته على الصورة.

نزلَ على وجنة سيسكين اليسرى، تاركًا شقًّا في القماش الذي أكملَ فُرجة فمه المائلة. بدا الشراب المسكوب كما لو كان متدفِّقًا من فمه.

ضحكتْ بجفاءٍ وقالت: «الآن، أنا لا أريد أن أفعل ذلك يا دوج.» وأضافت: «ستظن أنني ليست لديَّ روحٌ رياضية.»

«لماذا سمحتِ لي بالمجيء إلى هنا؟»

هزَّتْ كتفَيها وكذبت. «من أجل الأجواء. لن تجد مكانًا أنسب من ذلك في أرجاء المدينة. فذوقُ سيسكين لا يمكن مقاومته، مثله تمامًا.»

عندما رجعتُ إلى طاولة الشراب، أمسكتُ بذراعها. استدارتْ، وتمايلت قليلًا، وحدَّقتْ في عينَيَّ بنظرةٍ ثاقبة.

قالت: «لقد حذَّرتُكَ من قبل، رغم أني ما كان يجب أن أفعل ذلك. إليكَ تحذيرًا آخر مجانيًّا. ينبغي ألَّا تتورَّط معي في شيءٍ. لقد جئتُ بكَ إلى هنا لتدركَ ذلك بنفسك.»

على الرغم من هدفي المُلحِّ من زيارتها، وجدتُ نفسي أنجذبُ لا إراديًّا إلى لغز دوروثي فورد. وتساءلتُ بشعورٍ من الشفقة عن الداعي الغريب للبرمجة الخاصة التي كانت مسئولة عن إنتاج شخصيتها.

سألتُ: «متى كانت آخِر مرة جاء فيها سيسكين إلى هنا؟»

«منذ عامَين.»

«وهل أنتِ محبَطة؟»

بدا الاستياءُ في عينَيها. وأزاحتْ رأسي جانبًا بصفعةٍ لاسعة. ذهبتْ إلى الكرسي الطويل ودفنتْ وجهَها في أعماقه الوثيرة.

تبعتُها. وقلتُ: «أنا آسف يا دوروثي.»

«لا تتأسَّف. لقد شاركتُ في الأمر بكامل وعيي.»

«لا، لستِ في كامل وعيك. ذلك واضح. ماذا حدث؟»

نظرتْ إلى أعلى، وحدَّقتْ في جدارية أنطونيو وكليوباترا. وقالت: «كثيرًا ما أتخيَّل أن قدرتي على تقرير مصيري لا تتعدَّى قدرة إحدى الشخصيات في جهازنا. فثمة أوقاتٌ أشعرُ فيها وكأنني واحدة منهم. حتى إنني أرى أحلامًا مروِّعة يجلس فيها سيسكين أمام جهاز «سميولكرون-٣» ويجعلني أرقصُ كالدمية.»

عرفتُ في ذلك الحين أن دوروثي فورد لم يكن من الممكن أن تكون هي وحدة الاتصال.

آخِر شيء يفعله عميل من هذا النوع هو أن يُلمِّح، ولو من بعيدٍ، بالظروف الحقيقية للواقع. بدلًا من ذلك، فقد كادت أن تُصيب كبد الحقيقة.

تابعتْ من بعيد: «كلَّا. لستُ امرأةً شَبِقة. لم أعرف سوى سيسكين. فوالدي، كما تعلم، أحد مديري الشركة التابعة للمؤسسة. وسيظل العبقريَّ المالي — كما يتخيَّل — ما دمتُ أُلبِّي رغبات سيسكين.»

«تقصدين أنَّ نجاح والدكِ مشروطٌ فقط بأنكِ ...»

أومأتْ برأسها في بؤس. وقالت: «هذا هو السببُ الوحيد. عندما وظَّفه سيسكين قبل خمس سنوات، كان والدي يتعافى من نوبةٍ قلبية. لم يستطع استيعابَ الوضع الذي كان عليه.»

جفلتْ عندما دقَّ جرسُ الباب. ذهبتُ إليه وشغَّلتُ شاشة الفيديو الأحادية الاتجاه.

كان الرجلُ في الممر يحمل دفترًا عندما عرَّفَ نفسه. وقال: «جيمس روس، راصد ردود أفعال معتمَد رقم ٢٣١٧-ب٣. للآنسة دوروثي فورد.»

كان من قبيل المصادفة البحتة أن يظهر أحدُ راصدي ردود الأفعال، في اللحظة نفسها التي كنت أحاول فيها إثبات ما إذا كانت دوروثي هي وحدة الاتصال.

قلتُ: «الآنسة فورد مريضة. لا تستطيع رؤية أحد.»

«آسف يا سيدي، لكني يجب أن أطالب بعد ذلك بحقوقي بموجب قانون راصدي ردود الأفعال.»

ثم تذكَّرتُ ما رأيتُه عندما دخلتُ الشقة. وقلت: «إذا نظرتَ أعلى عدسة الاتصال يا سيد روس، فستلاحظ وثيقة تقول إن الآنسة فورد لديها «إعفاءٌ مسائي» خاص.»

ما إنْ نظر للأعلى حتى تجهَّم في خيبة أمل. وقال: «آسفٌ يا سيدي. لم أرَ ذلك.»

بعد أن أطفأتُ الشاشة، وقفتُ مكاني لفترة طويلة وإصبعي على الزر. هل هو مجرد خطأ؟ أم كان اتحاد راصدي ردود الأفعال متورِّطًا بطريقة ما في مخطَّط الواقع الأعلى لي؟

ذهبتُ إلى طاولة الشراب، والبداياتُ الخافتة للإدراك المنطقي تحاول اختراق تشوُّشي. إلى جانب كوني قد برمَجني المتحكِّم في العالَم الأعلى، كان اتحادُ راصدي ردود الأفعال في موقع ممتاز لممارسة المراقبة عن قرب، ليس فقط عليَّ، ولكن على الجميع إنْ أراد.

ألم يكن يحذِّرني أحدُ مستطلعي الآراء المجهولين: «أستحلفك يا هُول ... أن تنسى الأمر اللعين برُمَّته»؟

طلبتُ شرابًا، ولكنني تركتُه في فتحة الاستلام، متسائِلًا عما إذا كان راصدو ردود الأفعال أنفسهم ربما ليسوا مكلَّفين بوظيفة محدَّدة غير متوقَّعة في هذا العالَم الزائف.

ثم باغتَتْني الإجابة: بالطبع! لِم لَم أفكِّر في ذلك من قبل؟ المخلوقات المحاكاة إلكترونيًّا لا يمكن أن توجَد كغاية في حَد ذاتها. لا بد من وجود «عِلَّة للوجود»، وظيفة أصلية. كان المجتمع التناظري الذي بنيتُه مع فولر يُعنَى في الأساس بالتنبؤ بردود الأفعال الفردية كوسيلة لتقييم رواج المنتجات التجارية في الأسواق.

على غرار ذلك، ولكن على مستوًى أعلى، فإن عالَمنا بأكمله، المُحاكَى إلكترونيًّا، الذي أوجَد فيه بصفتي وحدة رد فعل؛ لم يكن سوى وسيلة للأسئلة والإجابات لتثقيف المنتجين، والصنَّاع، والمسوِّقين، والتجَّار في ذلك الواقع الأعلى!

«مثَّل راصدو ردود الأفعال النظام الذي يطرح من خلاله المتحكِّم الأعلى أسئلته، ويقدِّم محفزاته!» كانت الوسيلة مماثلة للوسيلة الأكثر بدائيةً لفولر من استخدام لوحاتِ الإعلانات التناظرية، والشبكات الموجَّهة للجمهور، والتلفزة المفتوحة لتحفيز ردود الأفعال في المحاكي الذي صنعناه!

ألمْ يكن من المنطقي أن يكون للمتحكِّم الأعلى عميلٌ مُطَّلِع على صلةٍ مباشرة باتحاد راصدي ردود الأفعال، الذي هو أهم مؤسسة في نظامه المُحاكَى إلكترونيًّا بأكمله؟

في وقتٍ مبكر من صباح اليوم التالي، هبطتُ بهدوءٍ في إحدى ساحات انتظار السيارات على بُعد مربعَين سكنيَّين من مبنى اتحاد راصدي ردود الأفعال. قطعتُ بقية المسافة على الرصيف المتحرك واضعًا على ذراعي الشيءَ الوحيدَ الذي كان سيضمن لي دخولًا غير مشروط لمقر الاتحاد، وهو شارة الذراع التي انتزعتُها من مستطلع الرأي الذي حاولَ تحذيري.

غير أنه عند المدخل، لم يكن هناك أي حُرَّاس للتحقق من هويات الراصدين الذين كانوا يتدفَّقون إلى المبنى لأداءِ مهامهم. ولكن قبل أن يستبدَّ بي الشكُّ، ذكَّرتُ نفسي بأنَّ الاتحادَ لم يكن مؤسسة سرية، ولم يكن على ما يبدو لديه شيءٌ ليُخفيه.

في الردهة المركزية، توقَّفتُ أمام لوحة المعلومات، وبحثتُ فيها بإدخال عبارة «مكتب الرئيس، ٣٤٠٧.»

كانت لديَّ خطةٌ بسيطة. كلُّ ما هنالك أنني كنت سأطلبُ من سكرتارية كلِّ مسئول، من أعلاهم رتبةً إلى أدناهم، أن يعلنوا عن أن راصدًا جديدًا من شركة الواقع الأعلى المحدودة كان يُجري تحقيقًا بشأن الاتحاد. إذا كانت في المكان وحدة اتصال، فإن مجرد ذكر اسم الشركة التي زعمت أنني أمثِّلها سيُخرِجها من عَرينها.

في الطابق الرابع والثلاثين، خرجتُ من المصعد واختبأتُ على الفور خلفَ نَبتة في وعاءٍ فخم. كان هناك رجلان يخرجان لتوِّهما من مكتب الرئيس.

ولكن حتى وأنا أحاول الاختباء، أدركتُ أنَّ أحدهما قد رآني وعرَفَني.

وقد كان هذا الرجل هو وحدة الاتصال نفسها!

لا بد أنه هو. لأنه كان أفيري كولينجسورث.

الفصل الثالث عشر

توقَّفَ كولينجسورث أمام النَّبتة في الوعاء، وتلاقتْ أعيننا، حيث كانت عيناه ثابتتَين لا تعبيرَ فيهما، وكانت عيناي تبحثان مضطربتَين عن طريق للهرب. لكن لم يكن هناك من مفر.

اندفعَ الرجل الآخر عائدًا إلى غرفة الرئيس.

قال كولينجسورث بهدوء: «كنت أتوقَّع قدومَك.»

كانت غريزتي تصرخ في داخلي بأنْ أقتله، بسرعة، قبل أن يتمكَّن من إعطاء إشارة للمتحكِّم الأعلى.

قال المستشار النفسي: «كنت أعلم أنك ستفترض، عاجلًا غير آجل، أنَّ الاتحاد هو خادم المتحكِّم الأعلى في هذا العالَم. ومتى كنت ستفكِّر في ذلك، كان سيصبح لزامًا عليك أن تأتي إلى هنا؛ بحثًا عن وحدة الاتصال الخاصة بك. أليس كذلك يا دوج؟»

أومأتُ موافقًا وعاجزًا عن الرد.

ابتسمَ ابتسامةً خافتة. أعطاه هذا التعبير، مع شعره الأشعث الأبيض ووجهه الممتلئ، مظهرًا ملائكيًّا غريبَ الأطوار.

تابعَ: «ومن ثَم، أتيتَ إلى هنا ووجدتَني. كنت أخشى حدوث ذلك. لكني لا أظن هذا مهمًّا بعد الآن. لأنه، كما تعلم، قد فات الأوان.»

سألتُ، وكان لا يزال لديَّ بصيصٌ من أمل: «ألن تُبلِغ عني؟»

كرَّر سؤالي: «ألن أُبلِغ عنك؟» وقال ضاحكًا: «دوج، إنَّ عقلك لم يخرج من ثغرته، ألن ينوي؟ ألا ترى بعد أن ...»

خرجَ الرجل الذي كان معه مرةً أخرى من مكتب الرئيس. كان هذه المرة في صحبة أربعة من راصدي ردود الأفعال الذين يبدو على مظهرهم العنف.

لكن كولينجسورث وقفَ في طريقهم. وقال: «لا ضرورة لذلك.»

«لكنك قلتَ إنه كان يعمل لدى شركة ريأكشنز!»

«ربما لا يزال يعمل بها. لكنه لن يستمر في ذلك، ليس لوقتٍ طويل. فقد وضعه سيسكين على المحكِّ.»

نظر إليَّ الرجل مخمِّنًا. «أهذا هو هُول؟»

أومأ كولينجسورث أنْ نعم. «دوجلاس هُول، المدير الفني السابق لشركة رين. دوج، هذا فيرنون كار. كما تعلم، كار هو رئيسُ اتحاد راصدي ردود الأفعال.»

مَد الرجلُ يَده. لكنني تراجعتُ. لم أسمعْ من المحادثة سوى أصواتٍ خافتة. فقد كنت مشغولًا بالاستعداد للَّحظة الأخيرة التي سيتخلَّصون مني فيها على الفور. هل سيحدث ذلك دون سابق إنذار؟ أم أنَّ المتحكِّم الأعلى سيتواصل معي أولًا للتحقُّق من عدم صلاحيتي؟

قال أفيري في اعتذارٍ غامض: «عليكَ أن تعذر هُول، إنه ليس في حالته الطبيعية. كانت لديه مشكلاته الخاصة منذ البداية. ولم يكن سيسكين يسهِّل الأمورَ عليه نهائيًّا.»

سألَ كار: «ماذا سنفعل معه؟»

أخذني كولينجسورث من ذراعي وسحبني عبر الردهة نحو بابٍ مغلق. وقال: «قبل أن نقرِّر ذلك، أريدُ أن أتحدَّث معه على انفراد.»

فتحَ الباب بضغطة زر، وأدخلني إلى ما كان واضحًا أنه غرفة اجتماعاتٍ، ذات طاولةٍ طويلة من خشب الماهوجني، موجود على جانبَيها صفَّان من الكراسي الشاغرة.

ثم فهمت. كان عليه أن ينفرد بي كي لا يكون هناك شهودٌ على إلغاء برمجتي.

التفتُّ ودفعتُ زرَّ الباب. لكنه كان مُوصَدًا.

قال كولينجسورث مُهدِّئًا من رَوعي: «خُذ الأمور ببساطة. أنا لست وحدة اتصال.»

استدرتُ مرتابًا ونظرتُ إلى وجهه. وسألتُه: «أحقًّا؟»

فأجابني: «لو كنت كذلك، لقرَّرتُ التخلصَ منك منذ وقتٍ طويل، وذلك حسب قناعاتك العنيدة.»

«إذن ماذا تفعل هنا؟»

«فلْتنسَ هَوَسك اللعين. انظر إلى هذا التقدُّم بعقلانية. أليس من المنطقي أن أنساقَ بالكامل ضد هوراس سيسكين وشركته الحقيرة؟ باختصار، أنا عميل، حسنًا. ولكن ليس بالمعنى الذي تتخيَّله. أنا أتعاون مع اتحاد راصدي ردود الأفعال؛ لأنني أدرك أنها المؤسسة الوحيدة التي تمتلك القوة الكافية لمحاربة مُحاكي سيسكين.»

تلمَّستُ طريقي إلى أحد الكراسي وأنا مرتاح، ولكن مرتبك في الوقت نفسه.

جاءَ كولينجسورث ووقفَ أمامي. ثم قال: «لقد كنت أعمل مع راصدي ردود الأفعال، وأُبقيهم على اطلاع بكل تحرُّكات سيسكين. ولهذا السبب، كان الاتحادُ مستعدًّا بمناورته الاعتصامية خلال ساعاتٍ من إعلان سيسكين عن المحاكي «سميولكرون-٣» أثناء الحفل.»

نظرتُ لأعلى. ثم سألتُ: «هل زرعتَ قنبلة الثرميت؟»

«نعم. ولكن صدِّقني يا بُنيَّ، لم أكن أعلم أنك ستكون في غرفة العين السحرية عند انفجارها.»

كرَّرتُ غير مصدِّق: «أكنت تتجسَّس على سيسكين؟»

قال أفيري وهو يُومئ برأسه: «إنه فاسِد يا دوج. لقد أدركتُ هدفَه الأساسي عندما رأيتُه مع هارتسون. لكني كنت أعمل مع فيرنون كار قبل ذلك بزمنٍ طويل. كان لديَّ ما يكفي من الحس الداخلي القوي، كي أعلم أنك لا تستطيع أن تطرد ملايين الأشخاص في جميع أنحاء البلاد من عملهم، بالضغط على زر المحاكي الإلكتروني.»

عندما اقتنعتُ أخيرًا أنه رغم كل شيءٍ لم يكن هو وحدة الاتصال، فقدتُ اهتمامي بتعقيداته التافهة. لكنه ظنَّ خطأً أن صمتي دلالةٌ على الشكِّ.

«يمكننا أن نحاربه يا بُنيَّ! لدينا حلفاء لا نعرف حتى أيَّ شيءٍ عنهم! على سبيل المثال، لقد جعل سيسكين والحزبُ أتباعَهم يقدِّمون قانونًا يحظر استطلاعات الرأي العام. وماذا حدث؟ أُهمِل الاقتراح الذي كان من المفترَض أن يصبح قانونًا في هذه الجلسة!»

نهضتُ من الكرسي مندفعًا. وقلتُ: «أفيري! ألا تدرك ما يعنيه ذلك حقًّا؟ ألا ترى مَن هو حليفنا في الكونجرس؟»

اعتدلَ متحيِّرًا.

قلتُ مشيرًا إلى أعلى: «إنه المتحكِّم الأعلى!» ثم أردفتُ: «كان يجب أن أدرك ذلك منذ وقتٍ طويل. ألا تفهم؟ الواقع الأعلى لا يحاول فقط إعادة توجيه أي شخص يعرف الحقيقة أو إلغاء برمجته. ذلك لا يعدو كونه أحدَ أهدافه. ولكنَّ الهدف الرئيسي هو سيسكين نفسه! إنهم يريدون تدميره!»

تجهَّم قائلًا: «أوه، أستحلِفُكَ يا بُنيَّ! اجلس و...».

«كلَّا، انتظر! ذلك هو مَربَط الفرس يا أفيري! أنت لم تزرع قنبلة الثرميت لصالح اتحاد راصدي ردود الأفعال. بل فعلت ذلك لأنك كنت تحت برمجة المتحكِّم الأعلى!»

سألَ وقد نفدَ صبره: «إذن لماذا لم أُبرمَج لزراعة قنابل أخرى حتى ينجح الأمر؟»

«لأنَّ كلَّ ما يحدث هنا بالأسفل يجب إجراؤه في الإطار المنطقي للسبب والنتيجة. بعد أن ضاعفَ سيسكين احتياطاته الأمنية في شركة رين، لم يكن من المرجَّح أن تنجح محاولةٌ تخريبية كهذه!»

قاطعني بضجر: «دوج، اسمع ...»

«لا، بل اسمع أنت! الواقعُ الأعلى لا يريدنا أن نُشغِّل المحاكي الخاص بنا. لماذا؟ لأنَّ ذلك سيقضي على اتحاد راصدي ردود الأفعال. ولا يمكنهم السماح بذلك؛ لأن مستطلعي الرأي يمثِّلون نظامَهم لجلب محفِّزات الحصول على ردود الأفعال إلى هذا العالَم!»

«في الواقع يا دوج، أنا ...»

تقدَّمتُ للوقوف أمامه. وقلتُ: «لهذا السبب، يحاولون جميعًا القضاءَ على محاكي فولر. يبرمِجونك على استخدام السلاح. وتفشل. ويبرمِجون جميعَ مَن في اتحاد راصدي ردود الأفعال. يتصوَّرون أن كلًّا من الاعتصامات والشغب والعنف سيَفي بالمهمة. لكن سيسكين يقاوم ما يظن أنه استراتيجية اتحاد راصدي ردود الأفعال بحَشد الرأي العام ضد الاعتصامات. والآن اللُّعبة الأخيرة. لهذا السبب رُفع الضغط عني مؤخرًا. فالمتحكِّم الأعلى لم يكن لديه الوقت للتحقق مما إذا كنت ما تزال على استعدادٍ للاعتقاد بأن ما أُعانيه لم يكن سوى جنون ارتياب كاذب أم لا.»

«أنت تبرِّر هلاوسك فحسب.»

«كلامٌ فارغ! أنا أفهم بوضوحٍ الآن. ويمكنني أن أرى أنني لست الوحيد الذي في خطر!»

ابتسم. «مَن أيضًا؟ أنا؟ لأنك ... آه، لوَّثتني بأفكار محظورة؟»

«لا. ليس أنت فقط. العالَم بأسره!»

«أوه، توقَّف.» إلا أن تجعُّدات وجهه العميقة بدأت تُظهِر شكوكه.

«اسمع. لقد جرَّب المتحكِّم الأعلى كلَّ طريقة معقولة للتخلص من المحاكي «سميولكرون-٣»؛ من تدميرٍ، وهجومٍ مباشر على يَد اتحاد راصدي ردود الأفعال، وسَن القوانين. لكن جميع جهوده باءت بالفشل. لا يمكنه إعادة برمجة سيسكين؛ لأنَّ الحزب سيبدأ من حيث انتهى سيسكين. ولا يمكنه إعادة برمجة الحزب؛ لأنَّ ذلك سيشمل الآلافَ من كياناتِ ردود الأفعال، نزولًا إلى آخِر المستويات.

وهو لم يتخذ خطوةً واحدة منذ عدة أيام. ما يعني شيئًا واحدًا فقط، وهو أنه يخطِّط لهجوم شامل أخير من نوع أو آخر على جهاز المحاكاة! إذا نجح، فسيرجع عالمنا آمنًا مرة أخرى. ولكن إذا فشل ...»

انحنى كولينجسورث إلى الأمام متوترًا في كُرسيه. وقال: «وماذا بعد؟»

واصلتُ عابسًا: «إذا فشلَ، فأمامه سبيلٌ واحد فقط، سيكون عليه أن يدمِّر النظام بأكمله! يمحو كلَّ دائرة من دوائر ردود الأفعال محوًا! يغلق جهاز المحاكاة الخاص به — عالَمنا — ويبدأ من جديد!»

ضَم كولينجسورث يديه معًا. وأدركتُ برعب فجأة أنه ربما عليَّ إقناعه بحالتي! كانت العواقب الكارثية واضحة في لحظتها:

إنَّ اهتمام المتحكِّم الأعلى منصرفٌ عني حاليًّا. لكنه لم يكن منصرفًا عن أفيري! لقد بُرمِج كولينجسورث بدهاءٍ لتخريب جهاز المحاكاة، ولمساعدة مستطلعي الرأي في مهاجمة شركة ريأكشنز المحدودة، وحتى للتحايل على معرفة الطبيعة الحقيقية للواقع؛ من أجل إقناعي أنني مجرد ضحية لجنون الارتياب الكاذب!

إذا علم المتحكِّم الأعلى بدلًا من ذلك أنني قد أقنعتُ كولينجسورث، فسيدرك عدم جدوى محاولته لإرجاعي إلى سابق عهدي. وسيعني ذلك إجراءَ إلغاءِ برمجةٍ كاملٍ لي ولأفيري؛ ومن ثَم نصبح طَي النسيان!

رفعَ كولينجسورث رأسَه، والتقَتْ أعيننا.

قال بهدوءٍ: «أحد اختبارات نظام المنطق هي صحة تنبؤاته. لذلك كنت متأكِّدًا تمامًا من دقة تشخيصي للأعراض التي تُعانيها. ولكن قبل لحظةٍ واحدة، تنبَّأتَ بشيءٍ. خمَّنتَ أن المتحكِّم الأعلى كان يخطِّط لهجومٍ شامل وأخير على ...»

انفتحَ البابُ فجأة، يصحبه أزيزُ دورانٍ فعلَتْه إحدى دوائر السعة الحيوية. اقتحمَ فيرنون كار المكانَ. «اللَّعنة يا أفيري! أتدري كم الساعة الآن؟»

قال كولينجسورث في غير اهتمام: «نعم.»

تضرَّعتُ بيأس: «أفيري، انسَ ما قلتُه للتو!» ثم ضحكتُ. «ألا ترى أنني كنت أحاول أن أضع فرضية و... أنْ أُثبتَ لك أنَّ ...»

لم تكن ثمة جدوى من ذلك. لقد أقنعتُه. والآن سيكون الاقتران التقمُّصي التالي بين المتحكِّم الأعلى وبين أحدِنا، حيث سيُقتل كلانا.

سألَ كار: «حسنًا، ماذا سنفعل مع هُول؟»

هَز كولينجسورث كتفَيه ونهضَ غير مُبالٍ. وقال: «لم يَعُد الأمر مُهمًّا حقًّا، ليس بعد الآن.»

أحاطت الحيرة بملامح كار الشبيهة بملامح الصقور، ولكن لبرهة فحسب. ثم ضحكَ وقال: «ولكن بالطبع أنت على حق. هذا كلُّ في الأمر يا أفيري! إما أن ننجح ونقضي على المحاكي في نصف الساعة القادم، أو سنفشل. ما يفعله هُول بين الحين والآخر لن يُحدِث فَرقًا.»

عبرَ بحماسٍ إلى الجدار وسحبَ زوجًا من الستائر، كاشِفًا عن شاشة فيديو ضخمة. شعرتُ بطريقةٍ ما أنني على وشك أن أعلم السببَ وراء اندهاش كولينجسورث من توقُّعي العفوي. ضغطَ كار على الزر وامتلأت الغرفة على الفور بصخب من الأصوات المضطربة، حيث طاردَت بقعُ الضوء والظلال الدائرية بعضها بعضًا، عابرةً باهتياج أنبوب خروج الأشعة على سطح الشاشة.

نزلَت الكاميرا لأسفل من نقطة عالية لتقريب مبنى شركة رين بأكمله. كان محاطًا بجموع غاضبة كالبحر الهائج من راصدي ردود الأفعال الذين داروا وحاموا، وآل بهم الحالُ إلى الاقترابِ من المدخل وقد دُفِعوا للخلف مرارًا وتكرارًا. كلُّ موجة كانت تُقابِلها نطاقاتٌ من رجال الشرطة الحاملين للهِراوات، والراشِّين للِّيزر، ثم آلاف المدنيين الذين كانوا يدعمونهم.

كانت السيارات القوية تدور فوق الرءوس، وتحوم كالنسور باحثةً عن الجِيَف، فيما كانت مكبِّرات الصوت تَصدَع بصوت سيسكين ناصحًا المناصرين. ذُكِّر رجالُ الشرطة والمدنيون أنَّ المحاكي «سميولكرون-٣» كان أعظم هدية للبشر، وأنَّ قُوى الشر عازمةٌ الآن على تدميره.

قطعتْ أشعة الليزر المُشِلة حاجزًا عريضًا من الصمت عبر القوات المُهاجِمة. ولكن كان خلفهم دائمًا المزيدُ من الراصدين ليحلوا محلَّ مَن تساقطوا. وحتى عندما كنت أرى المشهد ينفضُّ، كانت تياراتٌ مطَّرِدة من شاحنات الْتقاط اتحاد راصدي ردود الأفعال تهبط في الخلفية لجلب التعزيزات.

كان مَبنى شركة ريأكشنز نفسه سدًّا منيعًا أمام مقذوفات الأسلحة النارية وقِطع الطوب، حيث كانت ترتطم جميعها بدرعه القوي ثم ترتدُّ عنه، فتُحيط المبنى بهالة وامضة من الشَّرر الساطع.

وقفَ فيرنون كار قلِقًا أمام شاشة الفيديو، يلوِّح بعدوانية بكل اندفاعٍ وهجوم.

ظلَّ يصرخ: «سننجح يا أفيري!»

اكتفيتُ أنا وكولينجسورث بأنْ حدَّقَ كلٌّ منا إلى الآخر، حيث كان صمتُنا المشترك جسرًا كافيًا للتواصل.

لم أكن مهتمًّا بالقتال نوعًا ما. ليس لأنه لم يكن أكثر المعارك التي رأيتها وحشية. بل كان كذلك بالفعل. كان الوجودُ نفسه لعالَم بأكمله — عالَم مُحاكًى إلكترونيًّا — مرهونًا بنتائج تلك الحرب. ذلك أنه إذا نجحَ راصدو ردود الأفعال وقضَوا على محاكي فولر، فسيصبح المتحكِّم في الواقع الأعلى راضيًا، وسيصفح عن جميع خلقه.

لكن ربما نظرًا لضخامة الأوتاد، لم أتمكَّن من مشاهدة تقدُّم القتال. أو ربما لأنني كنت أعرف أنه في ظل هذه الظروف، سيُجري المتحكِّم الأعلى بنفسه قريبًا اقترانًا تقمُّصيًّا مع أفيري. وعندما يحدث ذلك ستكون نهاية كلٍّ منا.

ذهبتُ إلى الباب الذي كان لا يزال مفتوحًا بعد دخول كار، وخرجتُ إلى الردهة. ضغطتُ خِدرًا على الزر لاستدعاء المصعد.

ترنَّحتُ على طول الرصيف الثابت في طريقي رجوعًا إلى ساحة انتظار السيارات. عبرتُ بهو مبنًى، حيث أظهرتْ شاشة فيديو عامة مشاهدَ بانورامية من العنف، الْتقطَتها الكاميرات من فوق مبنى شركة ريأكشنز. لكني أدرتُ رأسي بعيدًا. لم أكن أريد أن أعرف كيف كان تقدُّم المعركة.

توقَّفتُ على بُعد نصف مربع سَكني من ساحة انتظار السيارات متردِّدًا أمام أحد عروض المشاهدة النفسية. حدَّقتُ بلا إدراك تقريبًا إلى مُلصَقه الدعائي، الذي تفاخرَ بالحضور الحالي لـ «ناظِم الشِّعر الأكثر تجريدية في زماننا؛ راجير روجاستا».

نادى حارسٌ بالزي العسكري على المارَّة فوق الرصيف المتحرك: «تعالَوا أيها الناس. لقد بدأ العرض النهاري للتو.»

كان عقلي وكأنه متاهةٌ من الأفكار المُرعِبة والمؤلِمة. كنت أمام حاجز سدٍّ منيع من اليأس العارم. كان عليَّ أن أجد طريقة ما لتصفية ذهني، حتى أتمكَّن من تحديد ما أفعله بعد ذلك، إن كنت سأفعل شيئًا. لم تكن هناك جدوى من الهروب. فلم يكن ثمة مكانٌ للاختباء. كان من المحتمَل إجراءُ الاقتران التقمُّصي معي أو إلغاء برمجتي في أي مكان. ومن ثَم، دفعتُ رسوم الدخول وترنَّحتُ عبر البَهو.

أخذتُ أول مكانٍ شاغر تمكَّنتُ من إيجاده في الصفوف الدائرية للمقاعد، وتركتُ عينَيَّ تركِّزان بلا اكتراثٍ على المنصة الدوَّارة في المنتصف.

جلسَ راجير روجاستا هناك، متألِّقًا في أَردِيَته وعمامته الشرقية، مكتوفَ اليدين، يرسل نظراته التي تجتاح الجمهور الجالس بدوران المسرح، فتصيبه بما يشبه الغيبوبة. شكَّل التلاعب بالأضواء الخافتة على ملامحه السمراء الصارمة تبايُنًا مهدِّئًا حثَّني على ارتداءِ خوذة المشاركة.

لم يكن عليَّ أن أغلِق عينَيَّ لأنجرفَ داخل جوهر شِعر روجاستا التصوُّري. كان التداخل الفائق في مجال رؤيتي مثلَ سيلٍ متدفِّق هائل لأكثر الجواهر بريقًا التي رأيتُها من قبل. سقطت أحجارُ الياقوت، والزفير، والألماس، واللآلئ بعضُها فوق الأخرى، حتى إنَّ بريقَ جمالها الساطع قد أَعماني عن الطابع التخاطري الإلكتروني لحُسنِها.

على خلفيةٍ ضبابية من الرمال المتحركة، والحياة البحرية الزاحفة، أرسلَت انعكاساتِها البرَّاقة لتضرب بضوءٍ مُشِع في أعماق حالِكة. ثم مثل فمٍ فاغِر لتنين بحرٍ ضخم، تنفتحُ فُوَّهة فارغة في البُعد الحالِك السواد. وفي أعماقها تُومِض أكثر الجواهر لمعانًا التي يمكن تخيُّلها.

كان بإمكاني أنْ أَشعر في كل شيءٍ حولي برطوبة المياه، ووحدة العُزلة، وأعماق ما تحت البحار، واكتساح اليأس، وضغط سكون الموائع، كما لو أنني لم أكن في مشاهدة نفسية على الإطلاق.

ثم أتى التحوُّل العنيف المخادع، من الرطوبة إلى الجفاف اللافح، ومن الوحدة الخانقة للأعماق البعيدة الغَور، إلى الجَدب الشارق للأراضي الممتدة الشاسعة المُقفرة.

كان الشيءُ الوحيد الذي ظلَّ صامدًا خلال ذلك التغيُّر هو الجوهرة التي لا مثيلَ لها. إلا أنها أيضًا قد تحوَّلتْ في ذلك الوقت إلى زهرة قرمزية متعددة البتلات تفوح أريجًا مُثيرًا للحواس.

كان عرضُ روجاستا ذا تأثير منوِّم ساحِر لدرجة أنَّ روح القراءة قد الْتهمَتني في غير قدرة مني على المقاومة. ويمكنني الآن إدراك المقطع التالي:

«كم جوهرةٍ من أنقى الجواهر وأصفاها،
تسكنُ كهوفَ المحيط المظلم البعيدةَ الغَوْر.
وكم من زهرةٍ تُولَد وتتفتَّح، ولا تُبصرها الأعين،
ثم تفقدُ نضارتَها في هواءِ الصحراء اللافِح.»

إنها مَرثيَة جراي بالطبع.

كنا ننظر في ذلك الحين لأسفل، إلى الغطاء النباتي الغزير الذي أحاطَ بإحدى قنوات المريخ. هاجت المياه بالحضور المضطرب لآلاف ...

انتهى نَظم الشِّعرِ نهايةً صادمة؛ حيث سطعت الأضواءُ الرئيسية في عرض المشاهدة النفسية.

انحدرت شاشة فيديو رباعية الجوانب لتحيط بروجاستا، ودبَّت الحياة في كل وجه من وجوهها بصورة للأحداث الواقعة خارج مبنى شركة ريأكشنز.

كانت هناك استعادة لشكل من أشكال النظام. كان راصدو ردود الأفعال يتراجعون أمام ذخيرة الليزر الثقيل المندفعة من الرشاش المُثبَّت فوق المبنى.

تدخَّلَت القواتُ الفيدرالية. كانوا يحتشدون فوق الأسطح. وينزلون من مئات الشاحنات الحربية.

خَسِرَ اتحادُ راصدي ردود الأفعال.

خَسِر المتحكِّمُ الأعلى.

فشلَ العالَمُ الأعلى في محاولته اليائسة الأخيرة لتدمير محاكي فولر، ضمن حدود السُّبُل المنطقية. لم يتمكَّن المتحكِّم الأعلى من الحفاظ على نظام تحفيز ردود الأفعال، مؤسسة راصدي ردود الأفعال في عالَمنا.

علمتُ ما كان يعنيه ذلك.

كان لا بد من القضاء على هذا العالَم بأسره حتى تتسنَّى برمجة نظام مُحاكًى إلكترونيًّا جديدٍ للتنبؤ بالسلوك.

خلعتُ خوذةَ المشاركة التي أصبحت معطَّلة في ذلك الحين، واكتفيتُ بالجلوس في مكاني متسائِلًا عن موعد إنهاء العالَم. هل ستُجرَى إعادة برمجة شاملة على الفور؟ أم أن المتحكِّم الأعلى عليه أولًا أن يستشير مجموعةً خاصة من الاستشاريين؛ مجلس إدارة؟

عزَّيتُ نفسي بأنني لم يَعُد لديَّ على الأقل ما يدعو إلى القلق بشأن القضاء عليَّ وحدي، أو حتى فحصي عبر اقترانٍ تقمُّصي. إذا كانت جميع الدوائر ستُمحَى، فسأذهبُ أدراجَ الرياح مع الجميع.

ثم بمجرد أن أقنعتُ نفسي بأنني لم أَعُد مرشَّحًا لمعاملةٍ خاصةٍ من قِبَل المتحكِّم الأعلى، حدثَ الأمر.

تلاشَت التفاصيلُ المرئية للمشاهدة النفسية، ودارت صفوفُ المقاعد بجنونٍ من حولي. ترنَّحتُ تحت التأثير الساحق للاقتران التقمُّصي المضطرب خارجًا إلى البهو. أصبحَ البحرُ الذي كان يَهدِر في أذنيَّ رَعدًا مُدويًا تلاشَى رويدًا إلى صوتٍ أشبه بـ... ضحك مُقعقِع!

انكمشتُ أمام الجدار، مُدرِكًا أنه حتى في ذلك الحين كان المتحكِّم الأعلى يلتقط كلَّ معلومة حيوية من عقلي! وأنَّ الضحك — الذي كان كأحد مكوِّنات الاقتران غير القادر على إرجاع صدى الصوت — قد أصبحَ مثلَ قرع الطبول في رأسي، هازِئًا، ساديًّا.

ثم انتهى الأمرُ، وأصبحَ عقلي حرًّا من جديد.

تعثَّرتُ خارجًا فوق الرصيف الثابت، وفي اللحظة نفسها التي هبطتْ في الشارع أمامي مباشرةً سيارةٌ طائرة مُزركَشة بصورة هلال ونجمة على كلا جانبَيها.

صاحَ السائقُ بالزي الرسمي: «ها هو!»

واندفعَ بسرعة شعاعُ ليزر، قاتِل في حِدَّة القلم الرصاص ودقته، أمام جدار المنزل بجوار كتفي، مُفتِّتًا الخرسانة في نقطة تركُّزه.

دُرتُ حولي وعُدتُ أدراجَي إلى البهو.

صرخَ أحدُهم: «توقَّف يا هُول! أنت رهنُ الاعتقال بتهمة قتل فولر!»

هل كان هذا التطوُّر الأخير بتحريضٍ من سيسكين؟ هل عزمَ على الانتقام كوسيلة أخيرة وحاسمة لضمان إبعادي عن طريقه؟ أم كان هذا نتيجةً لبرمجة المتحكِّم الأعلى؟ هل كان لا يزال متمسكًا بالوسائل المنطقية التقليدية للتخلص مني، على الرغم من حقيقة أنه على وشك أن يُلغي برمجة نظامه المُحاكَى إلكترونيًّا بالكامل؟

اندفعَ شعاعا ليزر آخران نحوي قبل أن أعودَ آمنًا إلى المشاهدة النفسية.

درتُ في دائرة واسعة حول صفوف المقاعد، واندفعتُ خارجًا من أحد المخارج الجانبية إلى ضوء الشمس اللافح في ساحة انتظار السيارات المزدحمة. في غضون ثوانٍ قليلة، كنت في سيارتي أقودها منطلقًا نحو السماء بأقصى سرعة.

الفصل الرابع عشر

لم يكن لي من ملجأٍ أذهبُ إليه سوى كوخي على ضفاف البحيرة. كان ثمة احتمال أنني ربما أحظى بالأمان هناك، ولو لفترةٍ مؤقتة، حيث لم يكن بالمكان الخفي الذي يمكن الاختباء فيه لفترةٍ أطول.

لم يكن لديَّ أدنى شكٍّ — عندما هبطتُ بالسيارة الطائرة في مساحة الغابة المكشوفة بين أشجار الصنوبر الإبرية الشكل، وجعلتها تنزلق في خفاءٍ إلى المرأب — أنَّ الشرطة كانت لديها أوامر بإطلاق النار عليَّ وقَتلي. وذاك أمرٌ مفروغ منه ومؤكَّد، إذا كانوا يتصرَّفون تحت تأثير سيسكين.

ولكن هنا بالخارج في الغابة، ستكون أمامي على الأقل فرصةٌ للاختباء والدفاع عن نفسي في حال هبطَت فرقة اغتيالٍ لمداهمتي.

من ناحية أخرى، إذا كان المتحكِّم الأعلى يسعى إلى هدفه الخاص في التخلص مني، بعيدًا عن إجراءات الشرطة، فأمامه خياران:

إما أن يتخلَّص مني في الحال، دون سابق إنذار، وفي تلك الحالة لن يكون في استطاعتي أن أفعل شيئًا.

وإما أن يرسل عميلَه ليتولَّى تنفيذ المهمة بنفسه، لتزييفها في واقعة انتحار أو موت في حادث.

وهذا ما كنت أرغبُ فيه طوال الوقت، فرصة كي ألتقي وجهًا لوجه مع وحدة الاتصال. هنا في العراء، ما كانت لتُتاح له الفرصة لإخفاء هويته. كان سيتعيَّن عليه أن يُظهِر نفسه ويُشاركني عزلة الغابة.

دخلتُ إلى الكوخ واخترتُ أثقلَ مسدس ليزر لديَّ. وعندما تحقَّقتُ من تلقيمه، جاهدتُ لفتحه كي يبثَّ شعاعًا واسعَ المدى. لم أكن أرغبُ على الإطلاق في قتلِ عميلِ المتحكِّم الأعلى.

لا سيَّما أنَّ التحدُّث إليه كان من المحتمَل أن يساعدَ على وَضْع خطة عمل للتصرف على أساسها.

جلستُ بجوار النافذة، وأمامي البحيرة ومساحة الغابة المكشوفة، واضعًا السلاح على ساقَيَّ ومنتظِرًا.

كان جُل تفكيري مَبنيًّا بالطبع على افتراض أنَّ خبيرَ المحاكاة الإلكترونية بالأعلى كان يضع يده لغرضٍ ما فوق الزر، منتظرًا أن يمحو عالَمي بأَسره. لم أستطع تخيُّل سببٍ لانتظاره.

لساعاتٍ بلا انقطاع، لم يكن يعكِّر صفوَ الهدوء بالخارج سوى الحركة الخفية للحياة البرية وسط الأَجَمات، وأعلى أغصان الشجر، ولم يكسر حاجزَ الصمتِ سوى الحيوانات المارَّة، والتكسُّر الخفيف لمياه البحيرة فوق شاطئها الصخري.

بعد غروب الشمس مباشرةً، ذهبتُ إلى المطبخ وفتحتُ حُزمة من أطعمة التخييم. ولأنني كنت خائفًا من إشعال أي أضواء، جلستُ مُكوَّمًا أسفل إحدى النوافذ، ماضِغًا الطعامَ بلا شعور. ولم أستطع طوال الوقت أنْ أطرحَ عن ذهني التناقضَ الكامن في الحاجة إلى وجود كيانٍ غير مادي لتوفير الطعام المادي.

كان الليلُ قد شارف على أن يُسدِل أستاره عندما رجعتُ إلى غرفة الجوائز، وسحبتُ الستارة، وشغَّلتُ بث الفيديو المسائي. ضبطتُ مستوى الصوت ليكون هَمسًا.

عرضَت الشاشة صورةَ الشارع المملوء بالحُطام أمام شركة ريأكشنز. وظهرت بعدها مشاهد مقرَّبة للقوات الفيدرالية خارج المبنى، فيما كان المذيع يستهجن «إراقة الدماء والعنف اللذين تسبَّبا في معاناة هذا اليوم الشنيع».

تابعَ بجدية: «غير أنَّ الإضرابات ليست هي الحدث الوحيد الذي وضعَ مشروعَ هوراس بي سيسكين الأخير في دائرة الضوءِ في الأخبار هذا المساء.

يتعلق الأمر بالمزيد، بأكثر من ذلك بكثير. ثمة مكايد ومؤامرات. قتل وهروب. كلُّ ذلك مرتبط ارتباطًا مباشرًا بخطة اتحاد راصدي ردود الأفعال المزعومة، لحرمان عالَم متشوِّق للنِّعم التي سيُغدِقه بها محاكي هوراس سيسكين.»

ظهرت صورتي فجأة على الشاشة، وعرَّف المذيع صاحبها.

قال: «هذا هو الرجل المطلوب في جريمة قتل هانون جاي فولر، المدير الفني السابق لشركة ريأكشنز.

إنَّه الرجل الذي وضعَ فيه سيسكين ثقتَه المطلَقة. في يَد دوجلاس هُول وُضع التكليفُ الشامل بإتمام المحاكي بعد الحادث المزعوم لوفاة فولر.

لكنَّ الشرطة قد وجَّهَت اتهامَها اليوم، قُتل فولر بالفعل على يَد هُول لتحقيق مكسب شخصي. وعندما رأى هُول أنَّه حُرِم من ذلك المكسب، انقلبَ غدرًا على مؤسسة سيسكين؛ على المحاكي نفسه.

دوجلاس هُول هو الرجل الذي جرَّته قواتُ أمن سيسكين هذا الصباح، عندما دخلَ المقر الرئيسي لاتحاد راصدي ردود الأفعال. فعلَ ذلك بارتكاب الهجوم الشامل الفاشل على شركة رين.»

توترتُ. لقد علم سيسكين إذن على الفور بزيارتي إلى المقر الرئيسي لمستطلعي الآراء. وافترضَ أنني كنت أخطِّط لخيانة مؤامرته مع الحزب. ومن ثَم، تصرَّفَ بخوفٍ وارتباك، وأرسلَ الشرطة بأوامر لإطلاق النار بهدف القتل.

وفجأة أدركتُ سببًا محتمَلًا وراء عدم تخلص المتحكِّم الأعلى مني حتى ذلك الحين؛ فربما رأى أنَّ سيسكين كان — عن غير قصدٍ منه، وسعيًا وراء أهدافه الخاصة — يعتني بالمهمة لصالح المتحكِّم الأعلى نفسه!

أوه، كان بإمكان المتحكِّم الأعلى أن يساعد في الأمر قليلًا. على سبيل المثال، إذا بدا أنَّ الشرطة كانت تماطِل في الأمر، فربما كان بإمكانه أن يُجري عملية اقتران تقمُّصي أخرى، ويجدني حيث كنت أختبئ، ثم يبرمِج الشرطة ليَحمِلها على البحث عني في الكوخ.

كان بإمكانه إما أن يرتِّب الأمر على هذا النحو، وإما أن يرسل وحدة الاتصال الخاصة به لأداء المهمة. بدا مؤكَّدًا أنه لم يكن يريد التخلص مني؛ لأنه عندئذٍ سيُضطر إلى إعادة برمجة مجموعة كاملة من شخصيات الهُويَّة بالحقيقة البديلة، التي تفيد بأنني لم أكن موجودًا من الأساس.

ولكن حتى عندما حاولتُ تخمين استراتيجية المتحكِّم الأعلى، أدركتُ أخيرًا أن العالَم بأَسره ربما لم يكن ليُمحَى في نهاية المطاف! ربما قد قرَّر المتحكِّم الأعلى تسوية التعقيدات الحالية، ثم يحاول مرة أخرى — أخيرة — أن يمحو محاكي فولر تمامًا.

كان بثُّ الفيديو لا يزال يستعرض موضوعَ خيانتي المزعومة:

«لكن أنشطة هُول الشائنة لم تَنتهِ بالقتل المزعوم لهانون فولر، وخيانته المُدَّعاة لسيسكين وللمحاكي، وذلك حسب معلومات الشرطة.»

عُرِضَت صورةٌ لكولينجسورث على الشاشة.

خفضَ المذيعُ صوتَه بجدية شديدة: «ذلك أنه، علاوةً على ذلك، مطلوبٌ لصِلته بأكثر جرائم القتل شناعةً في تاريخ الشرطة المحلية، وهي جريمة قتل أفيري كولينجسورث، المستشار النفسي في شركة ريأكشنز.»

مرَّتْ دقيقةٌ كاملة قبل أن ألتقطَ نفسًا آخر. لقد تخلَّصَ المتحكِّم الأعلى بالفعل من أفيري!

واصلَ المذيعُ وصفَ «الوحشية المروِّعة» لمقتل الدكتور كولينجسورث.

أذاعَ الخبرَ بنبرة عاطفية: «وصفت الشرطة الوفاة بأنها أبشع تشويهٍ حدثَ في التاريخ. وُجدَت أجزاءٌ مقطوعة الأوصال من الجثة؛ مفاصل الأصابع، والساعِدان، والأذنان، مبعثرةً في كل مكانٍ في غرفة مكتب كولينجسورث. كانت كلُّ قطعة بدورها مَكويَّة بعنايةٍ للتحكم في نزيفِ الدماء؛ كي لا يموتَ أثناءَ التعذيب الوحشي.»

أوقفتُ الجهازَ مذعورًا. وحاولتُ أن أُصفِّي أفكاري، لكني لم أستطع أن أرى سوى صور لأفيري، في حالة عجزٍ ورعب، وهو يعلم طوال الوقت أنه لا يمكنه الهروب مما كان يحدث له.

لا يمكن أن يكون مَن فعلَ ذلك عميلًا ماديًّا، أي: وحدة اتصال. لا بد أنه كان المتحكِّم الأعلى نفسه، باستخدام أساليب تعذيب ما ورائية. تخيَّلتُ كولينجسورث يصرخ في ألم مبرِّح بينما تُخلَع أنملة خنصره، كما لو أنه قُطِع بالسكين، بينما ظهر شعاع ليزر مُعدَّل من العَدم كي يكوي مَوضِع البَتر.

نهضتُ أسبُّ في رعب. علمتُ في ذلك الحين أن المتحكِّم الأعلى كان ساديًّا. ربما الجميعُ في ذلك الوجود الأعلى كذلك.

عدتُ إلى النافذة وفتحتُ الستائر على اللون الأرجواني القاتِم للشَّفق المتأخِّر، وجلستُ مكاني قابضًا على بندقيتي منتظِرًا. ماذا كنت أنتظر؟ الشرطة؟ أم وحدة الاتصال؟

خطرَ ببالي لوهلة أن المتحكِّم الأعلى ربما لم يكن يعلم مكاني. لكني رفضتُ تلك الاحتمالية. من المحتمَل أنه قد اقترنَ بالفعل بنفسه منذ وصولي إلى هنا. أوه، كان ذلك ممكنًا، بل ومرجَّحًا أيضًا. فحسبما أرى الآن، لم تكن معرفتي بعمليات الاقتران السابقة لشيءٍ إلا لأنه أرادَ للأمر أن يسير كذلك؛ ومن ثَم كان بإمكانه الاستمتاع بردِّ فعلي المُعذَّب.

زادَت الظلمة بالخارج، واجتاحَ عددٌ لا يُحصَى من النجوم مجالَ الرؤية ظهورًا واختفاءً بفعل أوراق الأشجار في مَهبِّ الريح، ما جعل الظلمة تبدو وكأنها حقلٌ متلألئ من الخنافس المضيئة. وصرَّت صراصير الليل بتمتمتها الشجيَّة المصاحِبة للَّيل المختلِج. ومن مسافةٍ بعيدة، توَّجَت الضفادعُ الكبيرة اللحنَ بنغمة نقيقٍ بين الحين والآخر.

كان وَهْم الواقع مكتملًا تمامًا. حتى أصغر التفاصيل قد وُضِعت بدقة. هناك بالأعلى، كانت قد استقرت التفاصيل كلها باستثناء بعض دعائمها المحاكاة إلكترونيًّا. وعن غير قصدٍ، لم يُسمَح لها إلا بتناقضاتٍ طفيفة غير مُدرَكة.

وجدتُ نفسي أنظرُ في السماء المرصَّعة بالنجوم، محاوِلًا أن أبصرَ عبر الوَهْم الكَوني حقيقةَ الواقع المطلَق وأغواره. ولكن حينها لم يكن العالَم الحقيقي في اتجاه مادي من مكاني. لم يكن في عالَمي، ولا كنت أنا في عالَمه. ولكنه كان في الوقت نفسه في كل مكانٍ حولي، مَخفيًّا بحُجُب إلكترونية.

حاولتُ أن أتخيَّل ما شعرَ به فيل أشتون، عندما قفزَ خارجًا من محاكي فولر. بلغَت أفكاري عَنانَ السماء إلى الوجود الأعلى. ماذا عساه أن يكون الوضعُ هناك بالأعلى؟ إلى أي مدًى يختلف عن الواقع الزائف الذي عرفتُه؟

ثم فهمتُ أنه حتمًا لا يختلف كثيرًا بأي حال. في الواقع، كان لا بد أن يكون عالَمُ فيل أشتون، المدعوم بالتيارات في محاكي فولر، نسخةً طبق الأصل من عالَمنا، إن كنا نريد أن يكون للتنبؤات التي حصلنا عليها من ذلك الخَلْق التناظري تطبيقٌ صالحٌ لدينا هنا.

بالمثل، فإن عالمي الخاص كان سيسلك مسار هذا العالم الأعلى. من المفترَض أن تكون معظم مؤسساتنا، وثقافتنا، وخلفياتنا التاريخية متماثلة، وحتى ميراثنا ومصيرنا يُفترَض أن يكونا متشابهين.

يُفترَض كذلك أن يكون المتحكِّمُ الأعلى وجميعُ الأشخاص الآخرين هناك بالأعلى كياناتٍ بشرية مثلنا؛ لأن وجودنا ما كان ليُمكِن تبريرُه إلا على أنه صورة تناظرية منهم.

تلاشَى الظلامُ في الخارج أمام شعاعِ الضوءِ المتزايد الذي كان يتلاعب أمام الأشجار. ثم سمعتُ هسهسة سيارة طائرة وهي تهبط تابعةً ضوءها.

فتحتُ البابَ بالضغط على الزر، وألقيتُ بنفسي خارجًا، وغُصتُ وراء سياجٍ، ورفعتُ بندقيتي أمامي.

هبطَت السيارةُ الطائرة وأطفأَت أضواءها وأوقفَت محرِّكها. حدَّقتُ بيأس في الليل الذي صار دامسًا فجأة.

لم تكن سيارةَ شرطة، ولم يكن بها سوى شخص واحد.

انفتحَ البابُ، وأطلَّ السائقُ بنصف جسمه إلى الخارج.

أطلقتُ شعاعَ بندقية الليزر.

أظهر ضوءٌ من شعاع قرمزي واسع المدى ملامحَ وجه ... جينكس فولر! وفي تلك اللحظة المربِكة نفسها، رأيتُها تنزلُ على الأرض.

صرختُ باسمها، ورميتُ بالبندقية جانبًا على الأرض واندفعتُ إلى مساحة الغابة المكشوفة، ممتنًّا امتنانًا يفوق الحصر أنني قد قلَّلتُ كثافة الإشعاع بحيث يَصعَق الهدفَ فقط، فيُفقِده الوعي دون أن يقتله.

بعد منتصف الليل بوقتٍ طويل، كنت لا أزال أتحرَّك جيئةً وذهابًا في الكوخ، مُنتظرًا إياها حتى تُفيق. ولكني كنت أعلم أنها ستظل فاقدة للوعي لبعض الوقت؛ لأنَّ الشعاع قد أصابَ رأسها. ومع ذلك، لم تكن لتعاني إلا من بعض الآثار الجانبية، وذلك بفضل الإشعاع الواسع المدى.

كنت أتلمَّس طريقي عبر الظلام مراتٍ لا تُحصَى خلال الساعات الأولى من الصباح؛ كي أضعَ المناشِفَ الباردة على رأسها. غير أنها لم تتأوَّه واضعةً يدها المرتخية فوق جبهتها إلا مع بزوغ الفجر، وتسلُّل ضوئه عبر الستائر.

فتحتْ عينَيها وابتسمتْ. ثم سألت: «ماذا حدث؟»

قلتُ نادمًا: «لقد أطلقت شعاع الليزر عليكِ يا جينكس. لم أكن أقصد. ظننتُكِ وحدة ... أقصِدُ الشرطة.»

كبحتُ جماحَ نفسي في الوقت المناسب تمامًا. لم أكن أستطيع أن أعقِّد الأمور أكثر من ذلك، بإعادة إعلامها بمقتطفاتٍ من المعلومات المحظورة.

حاولَت الجلوسَ. دعمتُها بأنْ وضعتُ يدي خلف ظهرها.

قالت: «لقد ... لقد سمعتُ عن المشكلة التي كنتَ فيها. كان يجب أن آتي.»

«ما كان يجب عليكِ أن تأتي! لا أحدَ يدري ما ستَئُول إليه الأمور. يجب أن ترحلي!»

عندما حاولَت النهوض، سرعان ما سقطت للخلف على الأريكة. لم تكن لتستطيع الذهاب إلى أي مكان لبعض الوقت، ليس بمفردها.

قالت في إصرار: «لا يا دوج، أريدُ أن أبقى هنا معك. لقد أتيتُ بمجرد أن عرفتُ بالخبر.»

تمكَّنتْ في النهاية من الوقوف على قدمَيها بمساعدتي. وتشبَّثتْ بي وهي تبكي بهدوءٍ فوق وجنتي.

حملتُها كما لو كانت الشيءَ الحقيقي الوحيد في هذا العالَم الوهمي بأَسره. وأدهشَني شعورُ الفَقْد الذي غمرَني. أردتُ طوال حياتي شخصًا مثل جينكس. ولكن العثور عليها

لم يكن سوى إنجاز عقيم أجوف. ذلك أنه لم يكن هناك واقع باستثناء تدفُّق النبضاتِ الانحيازية في دوائر المحاكاة الإلكترونية.

ابتعدتْ عني وحدَّقتْ بشفقةٍ في وجهي، ثم اقتربتْ مجدَّدًا. ضمَّتْ شفتيها على شفتَيَّ بقوة. بدا الأمر كما لو أنها هي أيضًا كانت تعرف ما سيحدث.

فكَّرتُ بحزن فيما كانت ستَئُول إليه الأمور. لو أن المتحكِّم الأعلى قد نجحَ فقط في تدمير محاكي فولر!

لو أنني ما زلتُ أعمل في شركة ريأكشنز، لأصبحَ بإمكاني إذن أن أدمِّره بنفسي! لو كان مختصُّ المحاكاة الإلكترونية في ذلك الواقع الأعلى قد أعادَ توجيهي، كما أعادَ توجيه جينكس!

همسَتْ: «سنظلُّ معًا يا دوج. لن أتركَك أبدًا يا عزيزي.»

قلتُ محتجًّا: «لكنكِ لا يمكنكِ فعل ذلك!»

ألم تدرك كيف أن كلَّ شيءٍ كان مستحيلًا؟ فمع تهديد سيسكين والشرطة لي، لم يكن من بصيصِ أملٍ أمامي.

تراجعتُ مرتبكًا، وركَّزتُ مرةً أخرى على التفكير في بدائل معقولة. إما أنَّ حُبها لي كان لا حدودَ له، لدرجة أنْ لا شيءَ يمكنه الوقوف في طريقه. وإما أنها ببساطةٍ لم تكن تدرك جميعَ التُّهم التي تُوجِّهها لي الشرطة. بالطبع لم تسمع بالطريقة التي ماتَ بها كولينجسورث، وإلا فما كانت هنا الآن.

قلت: «تعلمين أنني مطلوبٌ لأنني متهمٌ بقتل أبيكِ، أليس كذلك؟»

«أنت لم تفعل ذلك يا حبيبي.»

«و... أفيري كولينجسورث؟»

تردَّدتْ. ثم قالت: «أنت لم تفعل ذلك ... لا يمكن أن تكون قد ... فعلت ذلك!»

كان الأمرُ كما لو كانت تتحدَّث عن درايةٍ شخصية مطلَقة. كان إخلاصُها وحُبها شديدَين. لم أمتنَّ لإعادتهم توجيهَها إلا في تلك اللحظة؛ لأنه لم يكن عليها أن تواجِه الخطر الذي كنت أواجِهه حينها.

أخذَت بيدي واستدارَت نحو الباب. ثم قالت: «ربما يمكننا الهربُ يا دوج! سنجد مكانًا نختبئُ فيه!»

عندما لم أتحرَّك، أرْخَت قبضتَها وسقطتْ يدي من يدها.

قالت لنفسها بيأس: «لا، لا يوجد مكانٌ يمكننا الذهاب إليه. سيعثرون علينا.»

لم تكن تعرف إلى أي مدًى ما تقوله صحيحٌ. وشعرتُ براحة لا حدود لها؛ لأنها لم تكن تعي نهائيًّا المعنى المزدوج لصيغة الجمع التي استخدمتْها.

كانت ثمة ضوضاء بالخارج، فأمسكتُ ببندقيتي. عند النافذة، فتحتُ جزءًا من الستائر، لكنني لم أرَ إلا ظبية تحاول المرور عبر السياج؛ كي تصلَ إلى صندوق الطعام الذي كان فارغًا في ذلك الحين.

رفعتْ رأسها بحذر ونظرتْ في اتجاه الكوخ. هدأتْ مخاوفي، وتركتُ الستائر تنسدلُ مرة أخرى في مكانها. ثم شعرتُ بالتوتر. فنادرًا ما كانت توجَد ظباءٌ في المنطقة في هذا الوقت من العام. رجعتُ إلى النافذة. توجَّه الحيوانُ إلى سيارة جينكس الطائرة، وتوقَّفَ على مسافةٍ قصيرة ونظرَ إلى الباب المفتوح.

أحكمتُ قبضتي على بندقية الليزر. ربما كانت الظباءُ في هذا العالَم الأدنى مجرد دعائم توجد فقط كظلال على خلفيةٍ وهمية لإضفاء لمسة ظاهرية من الواقعية. ولكنها أيضًا ربما كانت تتمتَّع بحقيقة نفسية زائفة، بالمعنى المحدود، مثلها مثل وحدات الهوية نفسها.

إذا كان الافتراض الأخير صحيحًا، فليس هناك سببٌ يمنع من برمجة ظبية على النحو الملائم، كي تتجوَّل في الغابة أمام كوخ بجوار بحيرة، وأنْ تراقِبَ ما كان يجري في الجوار عبر الاقتران التقمُّصي!

أدارَ الحيوانُ رأسه نحو الكوخ بأنفٍ يرتعش، وبأذنَين مُشرئبَّتَين نحو السماء التي كانت لا تزال برَّاقة.

سألتْ جينكس: «ما هذا؟»

قلتُ وأنا أُخفي قلقي: «لا شيء. ربما تطلبين لنا فنجانَين من القهوة، إنْ كنت تستطيعين ذلك.»

شاهدتُها وهي تتجه نحو المطبخ مترنِّحةً يمنة ويسرة، ثم فتحتُ النافذة، ولكن فقط بالاتساع الكافي لاستيعاب مكثِّف الشعاع الخطي للسلاح. وعدَّلتُ مَداه قليلًا.

غادرَت الظبية أخيرًا، متوجِّهةً إلى المرأب.

ضغطتُ على زر الإطلاق، ورششتُ الحيوان بالليزر لمدة عشر ثوانٍ كاملة، مع التركيز على رأسه حيث استلقى بلا حَراك.

رجعتْ جينكس للوقوفِ عند باب المطبخ على صوتِ هَسهسة إطلاقِ الشعاع. وقالت: «دوج! إنها ليست ...»

«لا. مجرد ظبية. جعلتُها تنام لبضع ساعاتٍ. لقد كادت تدخل إلى سيارتكِ.»

ارتشفنا القهوة في صمت، وقد جلسَ كلٌّ منا قُبالة الآخر على طاولة الشراب في المطبخ. كان وجهُها شاحبًا، خاليًا من مساحيق التجميل، ويبدو عليه التوتر. تدَّلتْ خصلةٌ شاردة من الشعر الداكن لتحجب جزءًا من عينها. غير أنَّ مظهرَها لم يكن ليُوصَف بالإرهاق. ذلك أنه مع غياب بريق الأناقة، ظهر سحرُ شبابها، بسيطًا، لا تشوبه شائبة.

نظرتْ في ساعتها للمرة الثانية منذ أن استلمَت الأكوابَ من الآلة، ومدَّت يَدها إلى الجانب الآخر من طاولة الشراب لتأخذ بكلتا يديَّ. وسألتني: «ماذا سنفعل يا عزيزي؟»

كذبتُ قائلًا بجِدَّة شديدة: «كلُّ ما هنالك أنني يجب أنْ أظلَّ مختبِئًا ليوم أو يومَين. ثم سنجد حلًّا لكل شيءٍ.» توقَّفتُ لمزيد من الارتجال. ثم أردفتُ: «كما ترَين، ربما يتمكَّن ويتني من تقديم دليلٍ على أنني لم أقتل كولينجسورث. ربما يفعل ذلك الآن بالفعل.»

لم يَبدُ أنها كانت مرتاحة. اكتفتْ بالنظر إلى ساعتها مرة أخرى.

تابعتُ: «لهذا السبب ستركبين سيارتكِ، وتُقلِعين بها بمجرد أن تشعري باستعادة قوَّتك بالقدر الكافي لذلك. إذا اكتشفوا غيابكِ أنتِ أيضًا، فقد يضاعِفُ من فرصهم في العثور عليَّ. بل ربما يفكِّرون في البحث هنا.»

قالت بعناد: «سأبقى معك.»

لم أشعر أنَّ في مقدوري مناقشة الأمر في ذلك الوقت، وكنت متأكِّدًا أنني سأتمكَّن من إقناعها لاحقًا. ومن ثَم، قلتُ: «فلتتولِّي زمامَ الأمور بالنيابة عني. سأذهبُ لأحلق لحيتي بينما لا تزال لديَّ الفرصة لذلك.»

عندما انتهيتُ بعد عشر دقائق، عُدتُ إلى غرفة الجوائز ووجدتُ البابَ الأمامي مفتوحًا. كانت جينكس بالخارج منحنيةً فوق الظبية المصعوقة. أعادَت النظر إلى الكوخ وواصلَت السيرَ دون تخطيطٍ عبر مساحة الغابة المكشوفة.

رأيتُها تختفي في الغابة بحركاتٍ انسيابية رشيقة وكأنها حورية. ومع أنني كنت مُصرًّا على مغادرتها في أسرع وقتٍ ممكن، فقد كنت سعيدًا لقدومها.

ثم ومضَ في ذهني فجأةً — على نحو حادٍّ ومركَّز مثل شعاع الليزر — تساؤلٌ على قدرٍ كبيرٍ من المفارقة، وكأني بوعيي يسخر مني، كيف عرفَت أنني كنت في الكوخ؟ لَم أخبرها قط عن هذا المكان.

أمسكتُ ببندقيتي وهُرعتُ وراءها، عدَوتُ عبر المساحة المكشوفة، وغُصتُ في الغابة. توقَّفتُ وسط أشجار الصنوبر الضخمة المتمايلة، واسترقتُ السَّمع إلى صوت أقدام تَسحَق أوراقَ الشجر الإبرية؛ كي أحدِّدَ الاتجاهَ الذي ذهبتْ فيه.

ثم سمعتُ ما كنت أحاول سماعَه؛ ومن ثَم انطلقتُ مسرعًا في ذلك الاتجاه. اخترقتُ الأدغالَ إلى داخل مساحةٍ مكشوفة صغيرة ثم توقَّفتُ؛ إذ وجدتُني أقف وجهًا لوجه أمام أُيَّل مُرتعِب بقرنٍ ذي عشرة أطراف.

على الجانب الآخر، بعيدًا، رأيتُ جينكس تقفُ منتصبةً في عمودٍ مائل لضوء الشمس المبكر. لكنَّ تبايُنَ الموقف نبَّهني، وأرجعتُ النظرَ إلى الأُيَّل. لم يفر على الرغم من كونه مُرتعِبًا.

وفجأةً باغتَت حواسي الضغوطُ الضارية اللحظية لاقترانِ التقمُّص الناقص. صُعقتُ بفِعل الصخب الهادِر وإلغاءِ التوجيه المصيب بالدوار، فأسقطتُ بندقيتي.

ومن خلال هذا الهرج والمرج الصاخب الذي اعترى حواسي، أدركتُ مرة أخرى نوعًا من الضحك العنيف المنساب عبر رابطة المحاكاة الإلكترونية، التي كانت تربط الآن جميعَ حواسي بحواس المتحكِّم الأعلى.

شبَّ الأُيَّل وركلَ الهواءَ بحوافر قائمتَيه الأماميتَين، ثم أَنزلَهما. خفضَ رأسه وهاجَمني.

ترنَّحتُ تحت تأثير الاقتران غير المتوافق، غير أنني تمكَّنتُ من إبعاد نفسي بعضَ الشيء عن طريق الأُيَّل المندفع.

مزَّقَ قرنُه كُم قميصي، وشَق ساعدي وكأنه شعاع ليزر رفيع كالسلك. وتصوَّرتُ، في المقابل، أنَّ صوتَ ضحك المتحكِّم الأعلى قد ارتفعَ إلى شبه هستيريا.

شبَّ الأُيَّل مرةً أخرى، وحاولتُ إفلات نفسي بعيدًا عن حوافره التي كادَت تنغرس فيَّ. كِدتُ أنجح في ذلك. غير أنَّ الحيوان قد سقط على كتفي بكل ثِقله وطَرَحني أرضًا.

ولكني عندما تدحرجتُ ونهضتُ مرة أخرى، كانت البندقية في يدي. صعقتُ الأيل في خِضَم هجمته التالية. وتحرَّرتُ في اللحظة نفسها تقريبًا من الاقتران.

كانت جينكس أمامي لا تزال واقفةً في شعاع الشمس، غير مُدرِكة لما حدثَ خلفها.

لكنها على الرغم من مراقبتي لها، رفعَتْ نظرها إلى أعلى مترقِّبة، ثم اختفت.

الفصل الخامس عشر

تجمَّدتُ في مكاني في المساحة المكشوفة كما لو أنني واقفٌ هناك إلى الأبد، والأيَّل المصعوق عند قدمَيَّ، وعيناي مثبَّتتان على البقعة التي اختفت جينكس فيها.

عرفتُ الآن أنها كانت هي وحدة الاتصال. كنت مخطئًا تمامًا في تفسيري لأفعالها. لقد ظننتُ أنها علمتْ، لكونها ابنة فولر، بتفاصيل «اكتشافه الأساسي»، ولكنها كانت تحاول إخفاءَها عني حتى لا تُلغَى برمجتي.

تصوَّرتُ عند اختفائها من منزلها أنهم قد انتزعوها مؤقَّتًا؛ كي يستأصلوا المعرفة المحظورة من دائرتها. وأيقنتُ في وقتٍ لاحقٍ أنَّ محو البيانات قد جعلها تُطلِق العِنان للتعبير عن حبها لي.

لكن الأمر لم يكن كذلك على الإطلاق.

لقد تصرَّفتْ بغرابة قبل واقعة اختفائها الأول؛ لأنها كانت قلِقة، مثلها مثل مختصِّ المحاكاة الإلكترونية بالأعلى. كانا خائفَين من أنْ أعلم سِر فولر.

ثم نجحَ كولينجسورث — الذي كان مُبرمَجًا على أن يَثنيني عن قناعاتي المحظورة — في أن يجعلني أُصدِّق أنني أعاني من ذلك الشيء المستبعَد الذي أسماه «جنون الارتياب الكاذب». سيطرَ هذا الاعتقادُ على تفكيري تمامًا في تلك الليلة التي خضعتُ فيها لعملية اقتران تقمُّصي، عندما كنت في المطعم مع جينكس.

افترضَ المتحكِّم الأعلى حينها أنني قد أفلتُّ من قبضته. وبدأتْ جينكس بوصفها وحدة اتصال في لعب دور العاشقة المتلهِّفة؛ كي تستدرجني بعيدًا عن شكوكي.

هكذا ظلَّت الأمور مستقرة حتى يوم أمس، عندما عَلِم المتحكِّم الأعلى من كولينجسورث أنني لست وحدي مَن انتابَتْه شكوكٌ عنيدة حول أنَّ عالَمنا لم يكن حقيقيًّا، بل أفيري أيضًا.

وقد أتت جينكس هنا البارحةَ لسببٍ واحد فقط، وهو أن تُبقيَني تحت قبضتِها حتى ينتهوا من ترتيب وفاتي «الطبيعية». ربما كانت «ستقتلني» بنفسها!

أدركتُ أخيرًا أنَّ دمًا دافئًا يسيلُ من جُرحي، ويتقطَّر عند أطراف أصابعي. مزَّقتُ كُم القميص ولفَفتُه بإحكام حول ساعِدي المُخترَق بقرن الأيل. ثم عدتُ إلى الكوخ.

حاولتُ مرةً أخرى تفسير تلك التناقضات، ولكن دون جدوى. على سبيل المثال، كيف تمكَّنَت جينكس من الاختفاء هكذا ببساطة؟ لم تتمكَّن أيٌّ من وحدات الهوية في محاكي فولر من فِعل ذلك، باستثناء ...

بالطبع! لقد فعلتُ الشيءَ نفسه تمامًا حينما انسحبتُ بعد إسقاط نفسي داخل محاكي «سميولكرون-٣» على دائرة مراقبة مباشرة!

ومن ثَم، فإنَّ جينكس إما وحدة اتصال أو كيان ردِّ فعل. لقد كانت «إسقاطًا لشخصٍ حقيقي في الواقع الأعلى!»

ولكن ما زالت التناقضات قائمة. لماذا لم يُعيدوا توجيهي ببساطة، كما حدثَ مع وحدات هوية أخرى، لدرجة أنهم بدَّلوا حقيقة وجود لينش من الأساس؟

إلى جانب ذلك، لا بد أن المتحكِّم الأعلى قد أجرى اقترانًا تقمُّصيًّا عدة مرات مع كولينجسورث؛ من أجل برمجته في حملة تدمير جهاز محاكاة فولر. لماذا إذن لم يتعلَّم من أفيري قبل يوم أمس أنني لن أتخلَّى عن معتقداتي، فيما يتعلق بالطبيعة الحقيقية للواقع؟

استفقتُ من أفكاري على صوت حفيف وطقطقة لشجرةٍ أثناء سقوطها. نظرتُ إلى أعلى مذعورًا.

كانت شجرة صنوبر ضخمة تُوشِك أن تسقط فوق رأسي مباشرةً!

حاولتُ مسعورًا أن أبتعدَ عن طريقها، ولكنها ضربَت الأرضَ ورجَفَتها، وتطايرت أغصانها الكثيفة بأكملها عليَّ. ثم تدحرجتُ لأجد نفسي أمام جذعٍ آخر.

نهضتُ مرتبكًا، وتراجعتُ أتلمَّس التَّلْم الدامي الذي أَحدَثه أحدُ الأغصان في وجنتي. ثم دوَّى رأسي فجأة بأعراضِ الاقتران التقمُّصي الناقص المثيرةِ للغثيان، والتي أشعرُ في كل مرة أنها تستهزئ بي وتسخر مني.

هُرعتُ إلى الكوخ، أحاولُ يائسًا إخمادَ الألم الذي لا يهدأ للتقمُّص المتنافر. وصلتُ إلى حافة المساحة المكشوفة، وأنا أشعر برأسي يطنُّ، ورؤيتي مشوَّشة. ثم توقَّفتُ فجأة.

كان دبٌّ أسود ضخم يتشمَّم سيارة جينكس الطائرة. شعرَ بوجودي واستدار. لكنني لم أكن على استعداد لتحمُّل أي مخاطر. قتلتُه بشعاع ليزر حادٍّ مركَّز.

لا بد أن ذلك قد حرمَ المتحكِّم الأعلى من فرصةٍ للتلذُّذ السادي كان ينتظرها بفارغ الصبر. ذلك أنه عندما سقطَ الحيوان، انقطعت رابطةُ التقمُّص وتحرَّرتُ من ضغطها العنيف.

غير أنه بات من الواضح الآن أنني لا بد أن أهرب من الغابة. فهناك العديد من عناصر الطبيعة التي كان من الممكن التلاعُب بها ضدي. وإنْ كان من فرصةٍ أمامي، فستكون حتمًا بالعودة إلى المدينة، حيث ربما لا يتسنَّى للمتحكِّم الأعلى القدْرُ نفسه من الحرية لبرمجة البيئة المزيَّفة ضدي.

لم أكدْ أدخل الكوخَ حتى شرعتُ في تضميد جُرح ذراعي، ووضعتُ مرهمًا على التمزُّق الواخز الذي امتدَّ من صُدغي إلى فكِّي.

على الرغم من الخوف واليأس الذي غشي ذهني كالضباب، كنت قادرًا على التفكير في جينكس. هل كانت جينكس فولر موجودةً فعلًا في أي وقتٍ من الأوقات في عالَمي؟ أم أنها طوال الوقت لم يَعدُ كونها إسقاطًا؟

أخذتُ سترتي متجرِّعًا في النهاية المفارقةَ المريرة لوقوعي في حُبِّها. لم أكن سوى طَيفٍ من وَهْم، وكانت هي شخصًا حقيقيًّا ملموسًا. كان بإمكاني أن أتخيَّل ضحكاتها الساخرة ممزوجةً بضحكاتِ المتحكِّم الأعلى الممتلئة بالحماس.

توقَّفتُ فجأة عند الباب مرتابًا. هل أعودُ إلى المدينة؟ حيث يوجد رجال شرطة سيسكين بالخارج ليُطلقوا النار عليَّ؟ حيث لديهم حليفٌ بالأعلى يتوق بشدة إلى برمجتهم في الاتجاه الصحيح، حتى وإن كان بإمكاني تجنُّبهم؟

كانت هناك حركة مشوَّشة في زاوية رؤيتي، وانحنيتُ لا إراديًّا أسفل أجنحةٍ مضطربة ونعيب أجشَّ.

لكنَّ الغرابَ لم يَعمِد إلى مهاجمتي. انتصبت مرتبكًا، وشاهدتُه ينعطف ويطير مباشرةً إلى داخل المطبخ. فاق الفضولُ الخوفَ ورجعتُ إلى الداخل. كان الطائرُ قد جثمَ على الأرض، وراحَ ينقر على زر باب حجيرة وحدة إمدادات الطاقة المعزولة.

فكَّرتُ في الأسلاك العارية بالداخل. وتجمَّدتُ في مكاني داخل الكوخ للحظةٍ بعدما تملَّكتني حالةٌ من التردُّد المروِّع.

ثم هُرعتُ إلى الخارج، مسرعًا عبر المساحة المكشوفة قبل أن أُلقي بنفسي على الأرض. انفجرَ الكوخ متهشِّمًا بصوت هدير مُدوٍّ، قاذفًا بالحُطام فوق فدانٍ من الغابة شملَ معه المرأب.

لحُسن الحظ، لم تُصِبني أو تُصِب سيارة جينكس الطائرة أيٌّ من الحجارة وقِطع الأخشاب المندفعة وسط المساحة المكشوفة، وهو ما كان يجب أن يثير شكِّي على الفور.

بتفحُّص الحُطام، اقتنعتُ أخيرًا أنني يجب أن أجرِّبَ حظي في المدينة.

على ارتفاع ألفَي قدم من الغابة، كان مصدرُ الطاقة الرئيسي مُعطَّلًا. ضبطتُه على وضع الطوارئ، واستأنفَت ريشاتُه الدوران. غير أنَّ المحرك قد اعتلَّ في تقطُّع، ومع كل طقطقة كانت السيارة الطائرة تغوص مسافة ألف قدم أخرى.

حاولتُ بشدةٍ مع عجلة القيادة للحفاظ على بعض السيطرة. وتمكَّنتُ أخيرًا من تغيير مسار السيارة الطائرة وتحويلها إلى البحيرة، آملًا أن تكون معي دُفعة أخيرة من الطاقة لتقليل صدمة الهبوط.

في تلك اللحظة، تدخَّلَ المتحكِّم الأعلى مجددًا في حواسي الإدراكية. ولكنَّ ألمَ الاقتران الناقص كان أقل وطأةً في تحمُّله هذه المرة. وحدَه وضعي العصيب في حَد ذاته هو ما كان يوفِّر له متعة كافية.

وفجأة بدأتْ رياحٌ معاكِسة قوية تَمخَض سطحَ البحيرة، محوِّلةً إياه إلى غطاءٍ من الزَّبَد، وأصبحتْ زاوية هبوطي أكثر تحدُّرًا. وزادَ ذلك من احتمالية اصطدامي بالأشجار وارتطامي بها، قبل بلوغي خَطَّ الشاطئ.

لكنَّ اندفاعةً غير متوقَّعةٍ من الطاقة دفعَتني لأنطلقَ بأقصى سرعة، وجعلَت اندفاعةٌ أخرى السيارةَ الطائرة تهبط على مسافة خمس أقدام فقط، فوق الأمواج المتلاطمة كالسِّياط.

أمسكتُ عجلة القيادة بإحكامٍ بالغ ابيضَّتْ من شدَّته مفاصلُ أصابعي، وجلستُ مكاني أرتعد وأتصبَّب عرقًا، والسيارة الطائرة ترتفعُ مجدَّدًا في السماء.

استشعرتُ النشوةَ التي كان يشعر بها المتحكِّم الأعلى. وعرَفتُ من قوة مشاعره أنني لن أُفلِت منه بتلك السهولة. استعدتُ قوتي، وانتظرتُ لما عساه أن يأتيَني بعد ذلك، بينما واصلَت السيارة الطائرة طريقَها نحو المدينة، ولا تزال ترتفع.

تذكَّرتُ أنه من الممكن تعديل الاقتران في محاكي فولر للسماح بإجراء تقمُّصٍ متبادَل. كان ذلك الجهاز سيُستخدَم، على سبيل المثال، متى أردت التواصُل مع فيل أشتون دون الحاجة لإسقاط نفسي في عالَمه.

ومن ثَم، حاولتُ العودة إلى الرابطة التقمُّصية، مُدرِكًا طوال الوقت أن المتحكِّم الأعلى سيكون على درايةٍ بنواياي. لكني لم أستطع إدراك أيِ شيءٍ عبر حواسِّه. كان اقترانًا في

اتجاهٍ واحد. غير أنه كان لا يزال بإمكاني الشعور بوجوده إلى حدٍّ ما. بدا الأمر كما لو أنه بإمكاني اكتساب «الشعور» به. وكان الانطباع الذي وصلني من غرضه الخبيث الملتوي واضحًا للغاية.

ثم عبستُ في حيرة. تنامَى إلى ذهني ذلك الافتراضُ المستعصي على الفهم بأن تلك الرابطة بيننا لم تكن سوى شكلٍ من أشكال التقمُّص. بدا أن ثمة إشارةً غامضةً على وجود تشابهٍ معين بين كلٍّ منا. أهو تشابه مادي؟ أم في الشخصية؟ أم أنه لم يَعدُ كونه انعكاسًا لظروفنا التناظرية؛ حيث كان كلٌّ منا مختصًّا في المحاكاة الإلكترونية في عالَمه؟

استقررتُ على ارتفاع ستة آلاف قدم، دون مزيدٍ من التدخل من قِبَل المتحكِّم الأعلى. ثم انحرفتُ بمقدمة السيارة الطائرة لأسفل، مُستخدِمًا الدفع بدلًا من الرفع، وأسرعتُ إلى المدينة. امتدَّت الكتلُ الخرسانية الضخمة للحاضِرة أمامي، على بُعد لا يتجاوز بضعة أميال.

هل سأنجح؟ غُصتُ بعدها راجعًا في مقعدي وقد تملَّكني اليأس. هل أريد حقًّا أن أفعل ذلك؟ في الغابة، حيث كنت وحدي مع المتحكِّم الأعلى وطبيعته المُعادية بكلِّ ما فيها، كانت لديَّ فرصة ضئيلة للبقاء. أما هنا في المدينة، فلم تكن هناك حيواناتٌ متاحة لبرمجتها على مهاجمتي. ولكن ماذا عن الجَماد؟ الشريط المُمزق لرصيف متحرك يُطقطِق فجأة في سرعةٍ فائقة؟ تساقُط إفريز؟ خروجُ سيارة طائرة عن السيطرة؟

حدَّقتُ في قلقٍ عبر القبَّة البلكسيكية في سحابةٍ رمادية صغيرة قسَّمَت الأُفق. اتسعَت رقعتُها على نحوٍ مرعبٍ عندما حملتني السيارة الطائرة مباشرةً نحوها. حاولتُ تجنُّبها، غير أنَّ أوانَ ذلك قد فات.

في أعقاب ذلك مباشرةً، وجدتُ نفسي وسطَ سِربٍ سريع صاخب من طيور الشُّحْرور ذوات الأجنحة الحمراء. على ارتفاع ستة آلاف قدم. اصطدمَت الطيور بالسيارة الطائرة، وتفرَّق السربُ فوق القبَّة. وسُحبَت المئات منه عبر مآخِذ الهواء على ظهر المَركبة. أصدرَت الريشات صوتًا كالأنين، وأحدثتْ ضجة أمام الكتلة شبه الصُّلبة، وأخذتْ تُصفِّق بصوتٍ مرعب. اعتلَّ المحرك، وأصدر أزيزًا، وتوقَّفَ، ثم تحرَّر من ذلك كلِّه، ولكن ليكرِّر دائرة الأزيز المشئوم.

جفلتُ والسيارة الطائرة تسقط بسرعة، حيث تلاعبَ المتحكِّم الأعلى بحواسي من جديد. مرةً أخرى، استطعتُ أن أتحمَّل الاقتران التقمُّصي. ومرةً أخرى، كافحتُ في ظل الفكرة

المتضاربة بأنَّ الشخص الذي كان يتغذَّى على يأسي وخوفي ربما يُشبهني على نحو غير مفهوم.

بدأَت الريشات المقصوفة في الاهتزاز، في محاولةٍ بائسة لتخفيض سرعة الهبوط. زادَ الاهتزاز، وسرعان ما بدا الأمر كما لو أنَّ السيارة الطائرة ستُمزِّق نفسها إرْبًا إرْبًا. ثم تصدَّعَت القبَّة وتهشَّمتْ، واندفعتْ متطايرةً فوق رأسي. نظرتُ بالخارج لأرى إلى أي مدًى كنت بعيدًا عن الأرض. ولدواعي المفارقة، أدركتُ أنني قد هبطت تقريبًا أمام المبنى الواسع القصير لشركة ريأكشنز مباشرةً.

أصبحتُ الآن على ارتفاع منخفض جدًّا، حتى إنني تمكَّنتُ من رؤية القوات. وتساءلتُ عما إذا كان المحاكي الأعلى، في ضربة استراتيجية بارعة، سيجعلني أصطدم بالمبنى كي يمحوَني أنا وآلة فولر في آنٍ واحد.

ولكن إذا كانت هذه هي خطته، فقد نسي أمر شبكة الطوارئ التي تحمي المدينة. ذلك أنه عندما بلغَت السيارة الطائرة بالكاد ارتفاعَ مائتَي قدم فوق المبنى، انطلقَت ثلاثة أشعة صفراء كثيفة من السطح، وتقاربت فوق المركبة البائسة.

لقد امتصَّت الأشعة زَخْمها. وتمحوَرَت ببطءٍ وفي تناسُق دقيق، وتحرَّكت بي على طول عدة مئاتٍ من الأقدام فوق السطح نحو أقرب محطة استقبال للطوارئ.

لكنَّ مختصَّ المحاكاة الإلكترونية الأعلى لم يكن ليُحرَم من بهجة وحشية أخرى. انفجرَ محركُ السيارة الطائرة متحوِّلًا إلى لهيبٍ ملأ المركبة بحرارة ضارية. لم يكن لديَّ خيار. كنت ما زلت على ارتفاع مائة قدم فوق منطقة الاستقبال، فقفزتُ من السيارة الطائرة.

في هذه الأثناء، كان المتحكِّم الأعلى قد قطعَ عملية التقمُّص. وإلا فربما استطاع بسهولةٍ تدبير الأمر لإخراجي من الشعاع المُستقبِل. لكن بدلًا من ذلك بقيتُ آمنًا داخل المخروط اللامع، وهبطتُ في ساحة انتظار السيارات قبل بضع ثوانٍ، قبل تحطُّم السيارة الطائرة.

لم أُضيِّع الوقت هناك، كما لم أُضيِّعه مع شرطة المرور ورجال الإطفاء الذين تدفَّقوا خارجين من المحطة. قفزتُ من ساحة انتظار السيارات، ووثبتُ فوق الرصيف الثابت، وهبطتُ فوق أبطأ رصيفٍ متحرك. في غضون ثوانٍ، كنت قد شققتُ طريقي إلى الحزام الناقِل العالي السرعة.

على بُعد مُربعَين سكنيَّين، عدتُ إلى الرصيف الثابت ومشيتُ بهدوءٍ قدر الإمكان إلى أقرب فندق.

كان هناك في الردهة بائعُ جرائد آلي يعلن عن تطوُّرات اليوم بصوتٍ آلي رخيم: «يخطِّط سيسكين لعرض المحاكي «سميولكرون-٣» على الجمهور صباحَ الغَد! ستحلُّ الآلة مشكلات العلاقات الإنسانية أولًا!»

لكن استراتيجية سيسكين لم تحظَ باهتمام كبير مني أثناء أخذي الحزامَ الناقل إلى الجزء الخلفي من الردهة، حيث وجدتُ زوجًا غامضًا من الكراسي شبه مخفيٍّ بنَبْتة شمعية ضخمة. غُصتُ منهَكًا فاقدَ الحس في أقرب كرسيٍّ منهما.

«دوج! أوه، دوج! استيقظ!»

لا بد أن الإرهاق قد جعلني بطريقة ما أستغرقُ في النوم. لكنني استفقتُ متعَبًا، حيث كان أول ما وعيته هو التخدُّر الواخِز في ساقي المُنهَكة. ثم فتحتُ عينَيَّ ورأيتُ جينكس جالسةً في الكرسي المجاور. جفلتُ، ووضعتْ يدها على ذراعي.

قفزتُ مذعورًا وحاولتُ الفرار عائدًا نحو الجزء المزدحم من الردهة. لكن ساقيَّ الْتوَتا وكِدتُ أسقط. وقفتُ مكاني مترنِّحًا، وحاولتُ مسعورًا وضعَ قدم أمام الأخرى.

نهضتْ ودفعتني مرةً أخرى في الكرسي. حدَّقتُ في ساقيَّ مرتبِكًا.

قالت: «أجل يا دوج. لقد أطلقتُ عليهما شعاعَ الليزر، كي لا تتمكَّن من الفِرار مني.»

كان بإمكاني حينها أن أرى انتفاخ مسدس الليزر الصغير في حقيبتها.

قلتُ مُفشيًا الأمر: «أنا أعرف ... كلَّ شيءٍ. أنتِ لستِ منا! أنتِ لست حتى وحدة هوية!»

لم تظهر على وجهها المفاجأة، فما بدا عليها سوى القلق المزوج بالأسى.

قالت بهدوء: «هذا صحيح. والآن أصبحتُ على دراية بمقدار ما تعرفه. لكنني لم أكن أدرك ذلك قبل ساعة واحدة، عندما كنا هناك في الكوخ. لذلك تراجعتُ إلى الغابة. كان عليَّ أن أعرفَ إلى أي مدًى وصلَت معرفتُك عن نفسك، أو إلى أي مدًى سمحَ لك هو بالمعرفة.»

«هو؟ مَن؟»

«المتحكِّم الأعلى.»

«إذن هناك بالفعل متحكِّم أعلى؟ هذا بالفعل عالَم مُحاكًى إلكترونيًّا؟»

لم تنبِسْ ببِنت شَفة.

سألتُ: «وأنتِ مجرد ... إسقاط؟»

قالت وهي تهوي بجسدها في الكرسي: «مجرد إسقاط.»

أعتقدُ أنني كنت سأصبح أقل يأسًا إذا كانت قد أنكرت الأمر. لكنها جلست في مكانها فحسب عابسة الوجه، دون أن تعطيني أيَّ بصيص من الأمل، ما منحني الوقت كي أدرك

تمامًا أنني كنت بالفعل مجرد وحدة رد فعل. بينما كانت هي شخصًا حقيقيًّا، ذا طبيعة مادية، والذي لا أراه إلا في انعكاس بارع لذاتها الحقيقية.

انحنتْ نحوي. وقالت: «لكنك مخطئ يا دوج! أنا حقًّا لا أريد خداعك. كلُّ ما أريده هو المساعدة.»

لمستُ وجنتي بما فيها من جُرحٍ، ونظرتُ للأسفل إلى ساقيَّ المشلولتَين بفِعل شعاع الليزر. لكنها لم تأخذ إيماءتي على المَحمَل الساخر نفسه الذي قصدتُه منها. بل قالت:

«عندما فررتُ هذا الصباح، كان ذلك لأنني أردتُ أن أُجري عليك فحصًا تقمُّصيًّا سريعًا. كان عليَّ أن أقدِّر حجم شكوكك بالضبط. وذلك كي أعرف من أين أبدأ في حديثي إليك عما كان يجب أن أخبرك به.»

وضعتْ يدها على ذراعي، ومرة أخرى أحجمتُ متراجِعًا. واصلتْ في نبرةٍ دفاعية: «لقد كنتَ مخطئًا تقريبًا فيما ذهبتَ إليه بشأني. شعرتُ باليأس في البداية عندما رأيتُكَ تسعى إلى المعرفة التي ما كان يُفترَض أن تكون لديك.»

«معرفة محظورة على جميع وحدات الهوية؟»

«نعم. لقد فعلتُ كلَّ ما في وسعي لإبعادها عنك. بالطبع تخلَّصتُ من الدفاتر التي كانت في غرفة مكتب الدكتور فولر، بشكل مادي. لكن ذلك كان خطأً. فقد أثار لديك مزيدًا من الشكوك. كان يجب علينا، بدلًا من ذلك، إزالة الدليل عن طريق إعادة البرمجة المحاكاة إلكترونيًّا. لكننا كنا في ذلك الوقت مشغولين للغاية بدفع راصدي ردود الأفعال لإضرابهم.»

ألقتْ نظرةً سريعة على آخر الردهة. وقالت: «حتى إنني برمَجتُ مستطلِع آراءٍ ليَثنيك عما تسعى إليه بتحذيرك في الشارع في صباح ذلك اليوم.»

«كولينجسورث أيضًا؟ هل جعلتِه يَثنيني عن الأمر؟»

«لا. بل المتحكِّم الأعلى هو مَن تولى مسئولية تلك الاستراتيجية.»

هل كانت تريدني أن أصدِّق أنها لم تكن لها يد في مقتل أفيري الوحشي؟

«أوه يا دوج! لقد جرَّبتُ عدة سبل لجعلك تنسى موت فولر، واختفاء لينش، وشكوكك. لكني كنت في تلك الليلة التي أخذتني فيها إلى المطعم على وشك الاستسلام.»

«ولكني قلتُ لكِ حينها إنني صِرتُ مقتنعًا أن الأمر كلَّه كان مجرد تخيُّل مني.»

«نعم أعلم. لكني لم أصدقك. ظننتُكَ تحاول خداعي. لكن عندما انسحبتُ لاحقًا من الإسقاط المباشر، أخبرني المتحكِّم الأعلى في تلك الليلة أنه أجرى عليك فحصًا لتوِّه. وقال إنك

اقتنعت أخيرًا بفكرة جنون الارتياب الكاذب، وإنه بإمكاننا الآن التركيز على تدمير محاكي فولر.»

«أوه، لقد علمت — عندما تحدثت إليكِ عبر الهاتف المرئي في اليوم التالي — أنكِ قد أتيتِ إلى المنزل بعد مغادرتي. لكنني تجاوزت عن الأمر، وبدا أنكِ قد قبلتِ توضيحي. على الأقل لم تفعلي شيئًا بعدها لإثارة شكوكي.»

التفتُّ بعيدًا عنها. وقلتُ: «وقد بالغتِ في ردة فعلكِ على أمل أن تَثنيني عن الطريق.»

خفضَت عينَيها وراحت تنظر في يديها. ثم قالت: «أعلم أنك محق تمامًا في النظر إلى الأمر على هذا النحو. ولكن هذا ليس صحيحًا.»

بدَت وكأنها تكافح لإثبات أنها لم تتلاعب بي. ولكنها قالت بدلًا من ذلك:

«ثم عندما بدأ كلُّ شيءٍ في الحدوث لك بالأمس، علمتُ أنَّ الأمور قد حادَت عن الصواب. كان أول ما فعلتُه هو أن هُرعتُ إلى مكان وجودك في أقرب وقتٍ ممكن. لكن عندما وصلتُ هناك، أدركتُ أنني لم أتصرَّف بحكمة. لم أتوقَّع مدى الصعوبة التي كنت سأواجهها في التحدُّث إليك، دون أن أعرف حجم شكوكك، وما كان في بالك عني.

لذلك، غادرتُ في أول فرصة سنحَت لي، وتواصلتُ معك من خلال ما ظننتُ أنه دائرة تقمُّص مباشر. أوه، لم يكن الأمر سهلًا يا دوج. لقد كان المتحكِّم الأعلى في تواصل شبه مستمر معك. كان عليَّ أن آخذ دائرة موازية. كان يجب أن أغيِّر الدائرة بأقصى درجات الحذر، حتى لا يدرك ما كنت أفعله.

لكن عندما فعلتُ ذلك، رأيتُ كلَّ شيءٍ، على الفور. لم أكن أحلم، أوه يا دوج، إنه وحشٌ ضارٍ، عديمُ الإنسانية إلى أقصى درجة!»

«المتحكِّم الأعلى؟»

طأطأتْ رأسها كما لو كانت محرَجة. وقالت: «كنت أعلم أنه شخصٌ بهذه المواصفات. لكني لم أُدرك إلى أي مدًى كانت بشاعته. لم أكن أعلم، أغلب الوقت، أنه كان يتلاعب بك من أجل أن يتلذَّذ فحسب بإحساس المتعة الخبيثة الذي يسعى وراءه.»

رمقتْ آخِر الردهة مجددًا.

سألتُ بجفاء: «إلامَ تنظرين؟»

الْتفتَت إليَّ. وقالت: «الشرطة. ربما برمَجهم بمعلومة أنك قد رجعت إلى المدينة.»

ثم فهمتُ كلَّ شيءٍ. الآن عرفتُ هدفَها من الجلوس معي هنا والتحدث إليَّ.

مددتُ يدي إلى حقيبتها، لكنها قفزت من فوق الكرسي.

حاولتُ بمشقَّة الوقوفَ على قدمَيَّ المشلولتَين، وترنَّحتُ وراءها.

«لا، لا يا دوج! أنت لا تفهم شيئًا!»

«أنا أفهم كلَّ شيءٍ جيدًا!» سبَبتُ ساقَيَّ لأنهما بالكاد استطاعتا أن تحملا وزني. وقلتُ مخاطبًا إياهما: «أنتما تحاولان فقط أن تُبقياني في مكاني حتى يُمكِن للمتحكِّم الأعلى توجيه الشرطة إليَّ!»

«لا! ذلك ليس صحيحًا! عليكَ أن تصدقني!»

استطعتُ أن أحاصرها في أحد الأركان، وأخذتُ أضيِّق الخناقَ عليها.

لكنها سحبت مسدس الليزر ورشَّت ذراعي وصدري. كثَّفتْ شعاعه وأطلقَته على حَلقي. ثم فتحَته على أقصى سَعته وأصابتني إصابةً خفيفة في رأسي.

جلست في مكاني أترنَّح كالثَّمِل، بعينَين نصف مُغمَضتَين، وأفكار مشوَّشة.

أبعدَت المسدس، وأخذتْ ذراعي الرخوة ولفَّتها حول رقبتها. أسندتني من خصري وحملتني بصعوبة إلى المصعد.

مَر بنا زوجان عجوزان وابتسمَ الرجل إلى جينكس، بينما رمقَتنا المرأة بنظرة ازدراء.

ردَّت جينكس الابتسامة، وقالت: «أوه، يا لها من تقاليد!»

في الطابق الخامس عشر، واجهَتها صعوبة بسبب وزني في تحريكي إلى الباب الأول على اليسار. انفتح القُفل بسعتها الحيوية وأدخلتني.

قالت: «لقد استأجرتُ هذه الغرفة قبل أن أُوقِظك في الردهة مباشرةً، لم أتخيَّل أن هذا سيكون سهلًا.»

أسقطتني على السرير، ثم اعتدلت وجلست وحدَّقت بي. وتساءلتُ عما كان وراء التعبير الجامد الذي لازمَ ملامحها الجميلة. أهو انتصار؟ أم تعاطُف؟ أم رِيبة؟

أخرجَت المسدس مرة أخرى، وضبطَته على إشعاع أضيق قليلًا، وصوَّبته نحو رأسي. وقالت: «لا داعي للقلق بشأن المتحكِّم الأعلى لبعض الوقت. حمدًا لله أنه يحتاج إلى الراحة في بعض الأحيان. ونحن أيضًا بحاجة إلى الراحة.»

ضغطَت دون تردد على زر الإطلاق.

الفصل السادس عشر

عندما استيقظتُ، كان الظلامُ في الغرفة لا يمثِّلُ سوى حاجزٍ خافِت أمام أضواء المدينة المتلألئة التي تسرَّبتْ عبر النافذة. استلقيتُ في مكاني وأنا أنوي ألَّا أدعها تعلم باستيقاظي حتى أتمكَّن من تحديد مكانها. حرَّكتُ ذراعي، ثم ساقي، على نحو غير ملحوظ. ولم أشعر بأي ألمٍ باقٍ من إشعاع مسدس الليزر البارحة. لقد كانت حذِرة على الأقل وهي تُطلِق الإشعاع، ما تركَ لديَّ آثارًا جانبية بسيطة.

لاحظتُ حركةً على الكرسي بالقرب من السرير. لو كان بإمكاني أن أُدير رأسي في اتجاهها دون أن تُلاحظ، لربما تمكَّنتُ من معرفة مكان مسدس الليزر.

لكن بينما كنت مستلقيًا في مكاني، أدركتُ أنني قد نمت عشر ساعاتٍ على أقل تقدير. ولم يحدث شيءٌ يُذكَر. لم تأتِ شرطة سيسكين. ولم يتخلَّص المتحكِّم الأعلى مني. والأهم من ذلك أنَّ جينكس لم تُطلِق عليَّ إشعاعًا قاتلًا هنا وأنا وحدي في غرفة الفندق، وهو ما كان يمثِّل بالتأكيد الطريقة الأسهل للتخلص مني.

تردَّدَت كلماتُها الواضحة في ضوء الغرفة الخافت حيث سألت: «أنت مستيقظ، أليس كذلك؟»

استدرتُ وجلستُ.

نهضتْ ورفعتْ يدها نحو نطاق استشعار السعة الحيوية لمفتاح السقف، ودخل الضوء. لوَّحت بيدها لضبطه على كثافة خفيفة، ثم اقتربتْ من السرير.

«هل تشعر بتحسُّنٍ الآن؟»

لُذتُ بالصمت.

«أعرفُ مدى خوفك وارتباكك بالتأكيد.» وجلسَت بجواري. ثم أضافت: «أنا أيضًا كذلك. لهذا السبب يجب ألَّا يعمل كلٌّ منا ضد الآخر.»

نظرتْ في جميع أنحاء الغرفة.

أشارت إلى ذراع الكرسي وقالت: «مسدس الليزر هناك.» ثم، كما لو كانت تريد إثبات صدقها، أخذَته وأعطَته لي.

ربما أصبحتُ أكثر ميلًا للوثوق بها بعدما أخذتُ قسطًا من الراحة وزال عني الإرهاق. غير أنه لم يكن هناك ما يمنع من الاستمتاع بهذا الشعور أيضًا والمسدس في جيبي؛ فذلك أفضلُ من أن أتركه في حوزتها. أخذتُه من يدها التي مدَّتها نحوي.

اتجهتْ نحو النافذة وحدَّقتْ في الليل المُضاء اصطناعيًّا. وقالت: «سوف يتركك وشأنك حتى الصباح.»

نهضتُ متشكِّكًا في قدرتي على الوقوف، وجرَّبتُ تحريك ساقَيَّ. لم يكن بهما خدَر. ولم يكن هناك أي أثر لشعاع الليزر، ولا حتى الصداع الخفيف الذي يعقبه مباشرةً في بعض الأحيان.

الْتفتَت نحوي. وسألتني: «هل أنت جائع؟»

أومأتُ إيجابًا.

مشتْ إلى فتحة الاستلام وضغطتْ على زر فتح الباب. أحضرَت الصينية الذاتية التسخين ووضعتها على كرسيٍّ بجانب السرير.

حاولتُ أن آكلَ بِضعَ قضماتٍ، ثم قلتُ: «في النهاية تريدينني أن أصدِّق أنكِ تساعدينني.»

أغمضتْ عينَيها في يأسٍ. وقالت: «نعم. لكنه ليس باستطاعتي أن أفعلَ أكثر من ذلك.»

«مَن أنتِ؟»

«جينكس. لا، لست جينكس فولر. بل جينكس أخرى. لا يهم. الأسماءُ لا تهم.»

«ماذا حدث لجينكس فولر؟»

«لم تكن موجودةً من الأساس. إلا قبل بضعة أسابيع قليلة.» أومأتْ برأسها إيماءة العارف، قبل أن أتمكَّن من الاحتجاج. «أنت تعرفها بالتأكيد منذ سنوات. لكن هذه المعرفة ليست سوى نتاج لعمليات إعادة البرمجة أو البرمجة الرجعية. كما ترى، وقعَ حدثان في الوقت نفسه. اكتشفَ الدكتور فولر طبيعة عالَمه. وبالأعلى، أدركنا أنَّ محاكي فولر يمثِّل مشكلة يجب التخلص منها. فقرَّرنا نحن أن نزرع مراقبًا هنا بالأسفل لملاحظة التطوُّرات عن كَثب.»

«نحن؟ مَن ... تقصدين؟»

رفعتْ نظرَها إليَّ لبرهة. وقالت: «مهندسو المحاكاة الإلكترونية. اختاروني لأكونَ المراقِبَ. ومن خلال البرمجة الرجعية، أضفنا فكرةً متوهَّمةً أخرى بأن فولر كانت لديه ابنة.»

«لكنني أتذكَّرها وهي طفلة!»

«الجميع — جميع كياناتِ رَد الفعل ذات الصلة — يتذكَّرونها في طفولتها. كانت تلك هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها تبرير وجودي هنا بالأسفل.»

تناولتُ المزيدَ من الطعام.

نظرتْ من النافذة. وقالت: «لا تزال أمامنا سُويعاتٌ قليلة حتى انفلاق الصبح. سنكون بأمان حتى ذلك الحين.»

«كيف؟»

«حتى المتحكِّم الأعلى لا يمكنه أن يظل مستيقظًا لمدة ٢٤ ساعة في اليوم. هذا العالَم مبنيٌّ على الأساس الزمني نفسه للعالَم الحقيقي.»

بغضِّ النظر عن استيعابي لهذا الأمر وتصديقي له، لا بد أنها كانت هنا لسبب من سببَين؛ إما لمساعدة المتحكِّم الأعلى في تدمير محاكي فولر، وإما لتنفيذ عملية التخلص مني. لم يكن ثمة احتمال ثالث. فقد استطعتُ أن أتخيَّلَ نفسي في سعةٍ تناظرية، وقد نزلتُ إلى العالَم المزيَّف لمحاكي فولر. بالأسفل، كنت سأعتبر نفسي إسقاطًا لشخصٍ حقيقي، مقارنةً بالشخصيات التناظرية تمامًا ممن حولي. وعندئذٍ، ما كانت لتَعنيني الشئون التافهة لأيٍّ من وحدات الهوية الدنيا.

سألتها بلا موارَبة: «ما غرضكِ من الوجود هنا؟»

«أريدُ أن أكونَ معك يا حبيبي.»

حبيبي؟ كم كنت ساذجًا في ظنها؟ هل كان من المفترض أن أصدِّق أن شخصًا حقيقيًّا قد يقع حقًّا في غرام وحدة رَد فعلٍ، مجرد ظِل مُحاكًى إلكترونيًّا؟

غَطتْ وجهَها بيديها المرتعشتَين على ما بدا أنه اضطرابٌ.

وقالت: «لكن يا دوج، أنت لا تعرف مدى وحشية المتحكِّم الأعلى!»

قلتُ بمرارة: «بل أعرف.»

«لم أكن أعلم ما يفعله قبل أن أقترن معك يومَ أمس. ثم رأيتُ ما كان ينوي فعله. كما ترى، إنَّه يتمتع بالسلطة المطلقة على محاكيه، وعلى هذا العالَم. أظن الأمرَ أشبه بما لو أنه إله. أو على الأقل هكذا بدا الأمر أخيرًا بالنسبة إليه.»

توقَّفتْ محدِّقةً في الأرض. ثم قالت: «أظنه كان صادقًا في البداية في محاولته برمجة عملية تدمير محاكي فولر. لا بد أنه كان كذلك بالفعل؛ لأني أتصوَّر أنه إنْ كانت آلة فولر قد كُتِب لها النجاح، فلم يكن ليصبح هناك أيُّ مكان بالأسفل هنا لنظام استطلاع ردود الأفعال، المتمثِّل في راصدي ردود الأفعال أنفسهم. أتصوَّر أنه كان صادقًا أيضًا في رغبته الإنسانية في التخلص من أي وحدة رد فعل تَعي طبيعتَها المحاكاة إلكترونيًّا.

عندما انحرفتَ عن الطريق المحدَّد لك، حاولَ قتلَك، بسرعة، بطريقة عديمة الشعور. ولكن شيئًا ما قد حدث. أظنه أدركَ حجم المتعة التي كان يحصل عليها من اختبار مهاراتك. وفجأة، لم يعُد يريد التخلص منك، على الأقل ليس بسرعة كبيرة.»

قاطعتُها مفكِّرًا: «قال كولينجسورث إنه يمكنه أن يفهم كيف يفكِّر مختصُّو المحاكاة الإلكترونية في أنفسهم بوصفهم آلهة.»

حدَّقتْ في وجهي باهتمام. ثم أضافتْ: «وتذكر عندما تحدَّث إليك كولينجسورث، كان المتحكِّم الأعلى قد برمَجه ليقول ذلك بالضبط.»

تناولتُ بعضَ القضماتِ الأخرى ودفعتُ بالصينية جانبًا.

تابعتْ: «لم أدرك سوى أمس أنَّ باستطاعته حلَّ مشكلته معك، في أي وقتٍ يشاء، عن طريق إعادة توجيهك. ولكن لا. لقد كانت هناك تلك الرغبة المنحرفة التي يريد إشباعها بتركك لتقترب من سِر فولر، ثم الدفع بك بعيدًا، والزجِّ بك طوال الوقت نحو مصير مماثل للذي رتَّبه لكولينجسورث.»

قلتُ لها وقد تجمَّدت أوصالي: «أنتِ لا تعتقدين أنه قد حاول تشويه ...»

«لا أعلم. لا يمكن لأحدٍ معرفة ما ينوي فعلَه. لذلك كان عليَّ أن أبقى هنا معك.»

«ما الذي يمكنكِ فعله؟»

«ربما لا شيء. كلُّ ما يمكننا فعله هو أن ننتظر ونرى ما سيحدث.»

لفَّت ذراعَيها حولي في توتر. هل توقَّعَت مني أن أصدِّق أنها أرادت أن تكون معي بدافع من روح التعاطف، لمجرد أنَّ أحدًا بالأعلى قد قرَّر تعذيبي؟ حسنًا، يمكنني سحب البساط من تحتها ودحض ادعائها الكاذب بسهولة شديدة.

«جينكس، أنتِ شخصٌ حقيقي. وأنا لستُ سوى نسج خيالِ شخصٍ ما. لا يمكنكِ أن تحبِّيني!»

تراجعتْ إلى الوراء، وعلى ما يبدو قد تألمتْ. ثم قالت: «أوه، ولكن أنا يا دوج! إنه ... من الصعب شرح الأمر.»

لقد تصوَّرتُ أنه سيكون كذلك. جلستْ على حافة السرير ونظرتْ إليَّ مرتبِكة. كانت عيناها مضطربتَين. بالطبع، لم تكن تدري كيف تشرح كيفية وقوعها في حبي في ظل هذه الظروف.

وضعتُ يدي في جيبي وتحسَّستُ مسدس الليزر. تأكَّدتُ من أنه كان مضبوطًا على أقصى سرعة. ثم أخرجتُه بسرعة واستهدفتُها فجأة.

اتسعتْ عيناها وشرعتْ في النهوض. وقالت متوسِّلة: «لا يا دوج! لا!»

أطلقتُ عليها شعاعًا سطحيًّا، مركِّزًا على رأسها، وسقطَت هي فاقدةً الوعي فوق السرير. هذه الدفعة القصيرة كانت كفيلة أنْ تشلَّ حركتها لمدة ساعة على الأقل.

في تلك الأثناء، كان بإمكاني التحرك والتفكير بحرية، بعيدًا عن ضغط وجودها. وأدركتُ على الفور تقريبًا ما عليَّ فعله بعد ذلك.

بينما كنت أفكِّر في الخطة، أمضيتُ الوقت في الاغتسال، ثم في استخدام ماكينة الحلاقة الآلية الموجودة في الحمام. ثم أدخلتُ مقاسي في الموزِّع الشخصي، وانتظرتُ خروجَ القميص الذي طلبتُه مغلَّفًا بالبلاستيك.

شعرتُ بالانتعاش أخيرًا، ونظرتُ في الساعة. كان الوقتُ قد تجاوزَ منتصفَ الليل بكثير. رجعتُ ونظرتُ إلى جينكس وهي ساجيةٌ فوق السرير. وضعتُ مسدس الليزر على الوسادة وجثوتُ على ركبتَيَّ بجوار السرير.

كان شعرها الداكن حريريًّا ولامعًا وهو ينسدلُ متألقًا على الوسادة. دفنتُ يدي في أعماقه الناعمة، متلمِّسًا بأصابعي فروةَ رأسها. وجدتُ أخيرًا خياطة الجُرح السهمية الشكل، وضغطتُ بقوة طوال الوقت حتى وجدت الجزءَ الدقيقَ الغائر الذي كنت أبحث عنه.

بينما كانت إصبعي على هذا الموضع، ضبطتُ مسدس الليزر على التركيز المطلوب، ثم وضعتُ المكثِّف في مكان إصبعي تمامًا. ضغطتُ على الزر قليلًا، ثم ضغطتُ مرة أخرى إضافية.

هالَتني للحظةٍ اللاعقلانيةُ فيما أقوم به من فِعلٍ مادي في إسقاطٍ غير مادي. غير أنَّ الواقعَ المتوهَّم كان، وهكذا كان يجب أن يكون، مثاليًّا لدرجة أنَّ جميع الحالات الفيزيائية الزائفة قد ظهرت بشكل ملائم في صورة آثار مُحاكاة إلكترونيًّا. والإسقاطات لم تكن استثناءً من القاعدة.

تراجعتُ. فلتحاول الآن أن تخدعني! يمكنني الآن — بعد أن رششتُ مركز إرادتها جيدًا بالليزر — أن أصدِّق أيَّ شيءٍ كانت ستقوله، ولو على مدار الساعات القليلة التالية على الأقل.

انحنيتُ فوقها. وقلتُ: «جينكس، هل تسمعينني؟»

أومأتْ برأسها دون أن تفتح عينَيها.

قلتُ آمرًا: «لن تغادري. هل تفهمين؟ لن تغادري حتى أسمحَ بذلك.»

أومأتْ مجدَّدًا.

بعد خمس عشرة دقيقة، بدأتْ تستيقظ.

وقفتُ أمامها وهي جالسةٌ في مكانها على السرير، حيث كانت مترنِّحة قليلًا من أثر شعاع الليزر الأخير. كانت عيناها من بعيد صافيتَين ومستقرتَين.

قلتُ: «انهضي.»

ونهضتْ.

«اجلسي!»

جلستْ مُذعِنة.

كان واضحًا أنني قد استهدفتُ مركز إرادتها.

طرحتُ السؤال الأول. فقلتُ: «هل من شيءٍ غير صحيح فيما أخبرتني به للتو؟»

ظلَّتْ عيناها مرتكزتَين في الفراغ. كانت تعابيرُ وجهِها مجمَّدة. وأجابت: «لا شيء.»

جفلتُ. ها أنا مُفحَم من البداية. ولكن لم يكن من الممكن أن يكون كلُّ ما قالته صحيحًا!

عندما أعدتُ التفكير في المرة الأولى التي رأيْتها فيها، سألتُها: «هل تتذكَّرين رسم أخيل والسلحفاة؟»

«نعم.»

«لكنكِ أنكرتِ لاحقًا وجود رسم كهذا.»

لم تقل شيئًا. ثم عرفتُ سبب صمتها. لم أكن قد طرحتُ سؤالًا أو وجَّهتُها لقول شيءٍ بعينه. ومن ثم، سألتُها: «هل أنكرتِ لاحقًا وجود رسم كهذا؟»

«نعم.»

«لماذا؟»

«لأنني كان من المفترَض أنْ أَثنيكَ عن الطريق، أنْ أحجبَ عنك المعرفةَ المُهلِكة.»

«لأنَّ هذا ما أراده المتحكِّم الأعلى؟»

«جزئيًّا فحسب.»

«هل من سببٍ آخر؟»

«لأني وقعتُ في حُبِّك ولم أرغب أن أراكَ تتورَّط في ملابساتٍ خطيرة.»

أُحبطتُ مرةً أخرى. لأنني كنت أعلم أنَّه من المستحيل عليها أن تشعر بعاطفةٍ حقيقية تجاهي، بقدر ما هو مستحيلٌ عليَّ أن أتورَّط عاطفيًّا مع إحدى وحدات الهوية في محاكي فولر.

«ماذا حدث بالفعل للرسم؟»

«أُعيدَت برمجته.»

«هناك في مكانه المحدَّد؟»

«نعم.»

«اشرحي لي كيف حدث ذلك!»

«كنا نعلم بوجوده هناك. بعد ترتيب المتحكِّم الأعلى لموت فولر، قضيتُ أسبوعًا أراقبُ حاويات ذاكرته التي عُطلَت بحثًا عن أي تلميحاتٍ ربما تركها وراءَه حول «اكتشافه». نحن ...»

قاطعتُها بقولي: «لا بد أنكِ تعرفين إذن أنه أرسلَ المعلومات إلى مورتون لينش.»

اكتفَت بالتحديق أمامها فحسب. كانت تلك جملة خبرية.

«ألم تعلمي بعد ذلك أنه أرسل المعلومات إلى لينش؟»

«بلى.»

«لماذا لم تتخلَّصي على الفور من لينش؟»

«لأن ذلك كان سيتطلَّب إعادة توجيه العديد من وحدات رد الفعل.»

«كان عليكِ إعادة توجيههم على أي حال عندما قررتِ في النهاية إلغاء برمجة لينش.»

انتظرتُ حتى أدركت أخيرًا أنني لم أعطها سوى جملة خبرية أخرى. ومن ثَم، أعدتُ صياغة الفكرة: «لماذا لم تريدي إعادة توجيه هذا العالَم إلى الحقيقة البديلة بأنَّ لينش لم يكن له وجود من الأساس؟»

«لأنه بدا أنه سيَلزم الصمتَ بشأن ما أَخبره به فولر. اعتقدنا أنه سيُقنع نفسه في نهاية المطاف أنه كان يتخيَّل فحسب أن فولر قال إنَّ هذا العالم كان لا شيء.»

توقَّفتُ لاستجماع أفكاري. وقلت: «كنتِ تشرحين لي كيفية اختفاء رسم فولر. أكملي شرحكِ.»

«بمراقبة حاويات ذاكرته التي جرى تعطيلها، اكتشفنا الرسم. وعندما ذهبتُ إلى ريأكشنز لأخذ متعلقاته الشخصية، كان عليَّ أن أبحثَ عن أدلة ربما كانت قد غابت عنا. قرَّر المتحكِّم الأعلى التخلص من الرسم في ذلك الوقت تحديدًا؛ كي نتمكَّنَ من اختبار كفاءة مُعدل الاستئصال.»

ذرعتُ الغرفة مرة أخرى جيئةً وذهابًا أمامها، وأنا على اقتناع أنني حصلتُ أخيرًا على الحقيقة الكاملة. لكنني أردتُ أن أعرفَ كلَّ شيءٍ. ربما أعلمُ مما تخبرني به ما إذا كان هناك ما يمكنني فِعله للهروب من نوايا المتحكِّم الأعلى السادية.

«إذا كنتِ شخصًا حقيقيًّا بالأعلى هناك، فكيف يمكنكِ الحفاظُ على إسقاط نفسك هنا بالأسفل؟» كان ما دفعني إلى طرح هذا السؤال أنني أدركتُ فجأةً أنني لم يكن بإمكاني أن أظلَّ إلى أجل غير مسمًّى في محاكي فولر في دائرة مراقبة مباشرة.

أجابت بطريقة آليَّة، دون أي مسحة من التعاطف أو الاهتمام. وقالت: «في كل ليلة، بدلًا من أن أَخلُد إلى النوم، أعودُ إلى الأعلى هناك. وخلال هذا الجزءِ من اليوم الذي يُفترَض منطقيًّا ألَّا أكون فيه على اتصال بوحدات رد الفعل هنا بالأسفل، أختفي.»

كان ذلك منطقيًّا. فالوقتُ على أريكة الإسقاط كان مكافئًا للوقت الذي يقضيه المرءُ في النوم. ومن ثَم، تُلبَّى الحاجة البيولوجية إلى النوم بالكامل. وعندما تغادر هذا العالَم، يمكنها الاهتمام باحتياجاتها المادية الأخرى.

واجهتُها فجأةً بالسؤال المهم. «كيف تفسِّرين وقوعكِ في حُبي؟»

قالت بلا عاطفة: «أنتَ شديد الشبه برجلٍ كنت أُحبُّه ذات يومٍ بالأعلى.»

«مَن؟»

«المتحكِّم الأعلى.»

بطريقةٍ ما شعرتُ بدُنوٍّ لحظة الكَشف. تذكَّرتُ كيف جاءني ذلك الانطباعُ الغريب بوجود تشابه غامض بيننا، خلال مراتِ الاقتران التقمُّصي الأخيرة معه.

«مَن هو المتحكِّم الأعلى؟»

«دوجلاس هُول.»

تراجعتُ غير مُصدِّق. «أنا؟»

«لا.»

«لكن ذلك ما قلتِه للتو!»

صمتت، كردٍّ فِعل على جملتي الخبرية التي لم أطلب لها جوابًا أو تأكيدًا.

«كيف يمكن للمتحكِّم الأعلى أن يكون أنا وليس أنا في الآن نفسه؟»

«إنه شيء كالذي فعله الدكتور فولر مع مورتون لينش.»

«لا أفهم.» ثم عندما لم تردَّ، قلتُ: «اشرحي ذلك!»

«أعادَ فولر تكوين لينش كشخصيةٍ في محاكيه، وكان ذلك على سبيل المزح فقط. وأعادَ دوجلاس هُول تكوين نفسه كشخصية في محاكي فولر.»

«تقصدين أنني أُشبِه المتحكِّم الأعلى بالضبط؟»

«إلى حدٍّ ما. الشَّبه المادي مطابق تمامًا. لكنَّ السمات النفسية مختلفة. أرى الآن أنَّ هُول الذي بالأعلى مصاب بجنون العظَمة.»

«ولهذا السبب لم تعودي تُحبينه؟»

«لا. لم أعد أحبه قبل ذلك بكثير. لقد بدأ يتغيَّر منذ سنوات. أظنه الآن يعذِّب وحدات رد فعل أخرى. يعذِّبها ثم يُلغي برمجتها لإخفاء أي دليل قد يُخزَّن في دوائر ذاكرتها.»

مشيتُ إلى النافذة، وحدَّقتُ في الخارج في سماءِ الصباح الباكر. لم يَبدُ معقولًا بطريقة أو بأخرى أن يُشبِع شخصٌ رغبةً منحرفة لديه، بمشاهدة كياناتٍ تخيُّلية تعاني عذابًا مُحاكًى. ولكن، على أي حال، يستمدُّ جميعُ الساديين حسًّا من «التقدير الذاتي» من مَشاهد المعاناة. وفي بيئة مُحاكاة إلكترونيًّا، كان التعذيب المُبرمَج صفةً ذاتية تمامًا مثل ردِّ الفعل النفسي على التعذيب الفِعلي في عالَم حقيقي.

رجعتُ إلى جينكس وقد بدأتُ أفهم الآن موقفَها، ودوافعَها، وردودَ أفعالها. ثم سألتُها: «متى علمتِ أنَّ المتحكِّم الأعلى قد برمَجَ معادِله المُحاكَى إلكترونيًّا في جهازه؟»

«عندما بدأتُ أستعدُّ لمهمة الإسقاط هذه.»

«لماذا فعل ذلك في رأيكِ؟»

«لم أستطع حتى التخمين في البداية. لكنني أعلم الآن. لا بد أنَّ الأمر له دافعٌ في اللاوعي. نوعٌ من تأثير دوريان جراي. لقد كانت حيلة ماسوشية. لكنه ربما لم يدرك حتى أنه كان بالفعل يقدِّم لنفسه نفْسًا تناظرية، كان بإمكانه أنْ يُطلِق العِنان لعُقدة ذَنبه في مواجهتها.»

«منذ متى وأنا هنا بالأسفل؟»

«عشر سنوات، مع ما يكفي من عمليات إعادة البرمجة لمنحك ماضيًا يبدو حقيقيًّا ومشروعًا قبل ذلك.»

«كم عمر جهاز المحاكاة نفسه؟»

«خمسة عشر عامًا.»

غُصتُ مجدَّدًا في الكرسي، مرتبِكًا ومرهَقًا. أمضى العلماءُ قرونًا يفحصون الصخور، ويدرسون النجوم، وينقِّبون عن الحفريات، ويمشِّطون سطحَ القمر، ويطبِّقون بدقة وعناية نظريتَهم المنطقية تمامًا القائلة بأن هذا العالَم عمره خمسة مليارات سنة. وعلى مدار تلك السنوات تقريبًا، كانوا طوال الوقت على خطأ. كان الأمر مَدعاةً للسخرية والازدراء على المستوى الكَوني.

في الخارج، كان أولُ شعاعٍ قد شرعَ في البزوغ على هيئة هلالٍ رفيع فوق الأُفق. كان بإمكاني تقريبًا الآن أن أفهم كيف يمكن لجينكس أن تحب شخصًا لم يكن حقيقيًّا.

سألتُ بهدوءٍ: «لقد رأيتِني لأول مرة في مكتب فولر، وأدركتِ أنني كنت أقربَ شبهًا إلى دوجلاس هُول الذي وقعتِ في حُبه يومًا عن ذلك القابِع هناك في الأعلى؟»

«لقد رأيتُكَ عدة مراتٍ قبل ذلك، عندما كنتُ أستعد لمهمة الإسقاط. وفي كل مرة كنت أدرسُ فيها خِصالكَ، وأسمعُكَ تتحدَّث، وأتابِعُ أفكارَك، كنت أعرفُ فيها أنَّ دوج هُول الذي افتقدتُه هناك بالأعلى في جهاز المحاكاة الخاص به؛ موجودٌ هنا بالأسفل في جهاز المحاكاة نفسه.»

اقتربتُ منها وأخذتُ يدها. تركَتها لي باستسلام.

سألتُها ساخِرًا بعضَ الشيء من قرارها: «والآن تريدين البقاءَ معي هنا؟»

«ما دُمتُ أستطيع. حتى النهاية.»

كنت على وشك أن آمرها بالعودة إلى عالَمها. لكنها ذكَّرتني دون قصدٍ أنني لم أسألها بعدُ أهم سؤال.

«هل اتخذ المتحكِّم الأعلى قراره بشأن محاكي فولر؟»

«لا يوجد شيءٌ يمكنه فعله. لقد خرجَ الموقف عن السيطرة. جميع وحدات رد الفِعل هنا بالأسفل تقريبًا على استعدادٍ للكفاح من أجل حماية آلة فولر؛ لأنهم يعتقدون أنها ستحوِّل عالَمهم إلى مدينةٍ فاضلة.»

سألتُ مذعورًا: «إذن، سوف يدمِّرها؟»

«لا بد له أن يفعل ذلك. لا توجد وسيلة أخرى. لقد فهمتُ ذلك منذ آخِر مرة اختفيتُ فيها.»

سألتُ متجهِّمًا: «كم من الوقت لدينا؟»

«إنه ينتظر فحسب الانتهاء من رسميات استشارة المجلس الاستشاري. سيفعل ذلك صباح اليوم. ثم سيقطع المحوِّل الرئيسي.»

الفصل السابع عشر

كان النهار يزداد سطوعًا في السماء، وأنا أقف الآن أمام النافذة أشاهد الحياة وهي تدبُّ في أوصال المدينة. بالأعلى انحدرَ سيلٌ من شاحنات الشرطة، يحمل على ما يبدو طاقمًا، لتغيير حُرَّاس مبنى ريأكشنز الكائن على بُعد عدة مربعات سَكَنية.

كم بدا كلُّ شيءٍ تافهًا! كم هي عديمةُ النفع كلُّ غايةٍ ومصير! كم كانت كلُّ وحدةٍ من وحدات ردود الفعل ساذجة وجاهِلة!

كان هذا يوم الفَناء. لكنني الوحيدُ الذي أعرفُ ذلك.

ستسير الحياة في مسارها الطبيعي بعد لحظة، سيحتشدُ الناسُ فوق الأرصفة المتحركة، وتُواصِل حركة المرور انسيابَها في غير اكتراث. وفي الغابة، ستنمو الأشجار وتسري الحياةُ البرية في سكينةٍ وسطها. ودون تراخٍ أو توانٍ، ستطرح البحيرات مياهها في موجاتٍ لطيفةٍ فوق الشاطئ الصخري.

في صباح اليوم التالي، سيُطرَح كلُّ الوَهم جانبًا. سيهدأ فجأةً الاندفاعُ المتواصل للتيارات المستمرة في عددٍ لا يُحصَى من المحوِّلات، وسيتوقَّف في منتصف دورة انتقاله من كاثود إلى أنود، ويتجمَّد في تسابُقه المحموم عبر نقاط الاتصال على آلاف حاويات التخزين. في تلك اللحظة، سيتحوَّل الواقع الجليُّ الذي لا يُدحَض إلى عَدَم من الدوائر المُعطَّلة. سيُمحَى كَونٌ إلى الأبد في لحظةٍ مصيرية أخيرة من القصور الكُلي في المحاكاة الإلكترونية.

استدرتُ ونظرتُ إلى جينكس. ما زالت لم تتحرَّك بعد. اقتربتُ وحدَّقتُ في جمالها الذي ظلَّ جليًّا، حتى في الحالة التي هي عليها من فقدان الحركة الأشبه بالغفوة. لقد حاولتْ إنقاذي من المعرفة المرعبة بأن نهاية جميع الخلائق قد أَوشكَت. لقد أَحبَّتني. وصلَ مَبلَغ حبِّها لي أنها أرادت أن تُشاركني زوالي.

انحنيتُ وأحطتُ وجنتَيها بيديَّ، شاعِرًا بنعومة وجهها، وانسدلتْ جدائلُ شعرها الحريري الكثيف الداكن على أصابعي في نعومةً لا تقل عن نعومة وجهها. كانت هنا إسقاطًا لنفسها الحقيقية. لا بد أنها بالجمال نفسه هناك بالأعلى. كانت جميلةً قلبًا وقالبًا، حتى إنَّه ما كان ينبغي أن تُهدِر جمالها مقابل التزامٍ شعوري بالتضحية بالذات، يستند إلى إحساسٍ مضلِّل بالولاء والإخلاص.

رفعتُ وجهَها، وطَبعتُ قُبلةً على جبينها ثم شفتَيها. تُرى هل أَبدتْ أقل قدرٍ من رد الفعل؟ كنت وجِلًا. كان سيُفهَم من ذلك أنَّ إرادتها المُقيَّدة قد استأنفَت الإعلانَ عن نفسها.

لم أستطع المخاطرة بحدوث ذلك. لم أستطع السماح لها بأن تكون محاصَرة هنا عندما تنتهي اللحظة الأخيرة من الوجود المُحاكَى. إذا كانت موجودة حينها، فإنَّ ذلك يعني نهايتها هي أيضًا في الواقع، كما سيحدث مع إسقاطها في عالَمي.

«جينكس.»

«نعم.» ارتعشَ جفناها للمرة الأولى منذ ساعات.

أمرتُها قائلًا: «ستُغادرين الآن. ولن تدخلي في إسقاطٍ مجددًا.»

تراجعتْ وانتظرتْ.

بعد برهة، كرَّرتُ نافدَ الصبر: «ستغادرين ... الآن.»

ارتجفتْ، وأصبحتْ صورتها باهتة، كما لو أنها قد حجَبَتها تياراتُ حملٍ حراريٍّ صاعدة من حارة مرورية سفَعَتها الشمس.

لكن الضبابَ قد انقشعَ وظهرتْ مرة أخرى واضحة.

ماذا لو لم أتمكَّن من إجبارها على العودة؟ أمسكتُ يائسًا بمسدسها. ربما إطلاقٌ آخر للِّيزر على مركز إرادتها ...

لكني تردَّدتُ. وصحتُ فيها مجدَّدًا: «جينكس! ارحلي! أنا آمُرك!»

امتعضتْ قَسَماتُ وجهِها في تعبير ينمُّ عن احتجاج وتوسُّل.

غمغمتْ بضَعفٍ ووَهَن: «لا يا دوج، لا تجعلني ...!»

صرختُ: «ارحلي!»

بدَت صورتُها باهتةً بفِعل تيارات الحِمل الحراري مرةً أخرى. ثم اختفتْ.

أَعدتُ المسدسَ إلى جيبي، وهويتُ عاجِزًا على حافة السرير. ماذا الآن؟ هل من شيءٍ يمكنني فعله سوى الانتظار؟ كيف يمكن للمرءِ أن يشرع في مواجهة خَصم جبَّار، كُلي القدرة، مهووسٍ بذاته؟

متى ستَحينُ النهاية؟ هل سيتركني في سلام حتى تلك اللحظة، أم سيجد وقتًا ليلاعبني لعبة القط والفأر؟ هل كانت نهايتي ستتزامن مع إلغاء البرمجة الشامل ... لكل شيءٍ؟ أم أنه يفكِّر لي في شيءٍ خاص قبل الإزالة الشاملة؟ شيء مماثِل لما سبقَ أن أَعدَّه لأفيري كولينجسورث؟

بعيدًا عن الجانب الشخصي في تلك اللحظة، تساءلتُ عما إذا كان هناك أيُّ شيءٍ يمكن فعله هنا بالأسفل، لجعله يَعدِل عن رأيه بخصوص تدمير خلائقه المُحاكاة إلكترونيًّا.

بدأتُ أتذكَّر الحقائق. كانت الفائدة المرجوَّة من آلتِه مهدَّدةً بلا شك. لقد أتقن فولر صناعة مُحاكٍ داخل مُحاكٍ آخر، وكان غرضُ المحاكي الداخلي أن يؤدي وظيفة المحاكي الخارجي نفسها. كلاهما قُصِد به استطلاعُ الرأي العام عن طريق الْتماس استجاباتٍ من كياناتٍ تناظرية، بدلًا من الأشخاص الحقيقيين.

ولكن آلة فولر الزائفة في تحقيقها لهدفها كانت تجعل عمل المحاكي الأكبر مستحيلًا. ذلك أنه عندما بدأت ريأكشنز في إمداد المسوِّقين، والحكومة، والمؤسسات الدينية، والعاملين في قطاع الخدمة الاجتماعية وغيرهم، بالتنبؤات؛ كان مستطلعو الآراء أنفسهم سيُستبعَدون من المشهد.

كان الحلُّ واضحًا، وهو ضرورة إيجاد طريقة للإبقاء على اتحاد راصدي ردود الأفعال؛ كي يواصلوا عملهم باعتبارهم وسائل المحاكي الأكبر لتحفيز ردود الأفعال، وسط وحدات رد الفعل هنا بالأسفل.

ولكن كيف؟

لا توجد أي وحدة هوية ليست على استعدادٍ للحشد من أجل الدفاع عن آلة فولر، باستثناء منظمة اتحاد راصدي ردود الأفعال. ذلك لأن سيسكين قد وَعَدهم بتحقيق الكثير باستخدامها.

أوه، كان بإمكان المتحكِّم الأعلى أن يدمِّر محاكي فولر تمامًا. بقنبلة ثرميت أخرى. أو حتى بشحنة برق. لكن ذلك ما كان سيحلُّ شيئًا. فما كان ذلك ليؤسِّس على الفور لحركة شاملة فحسب، ولكن وحدات رد الفِعل كانت ستُحمِّل أيضًا راصدي ردود الأفعال المسئولية، وتصبُّ جامَ غضبها على الاتحاد.

أيًّا كانت وجهةُ نظرك في الأمر، فقد كان الاتحاد مقدَّرًا له الهلاك. ونتيجةً لذلك، كان لا بد من إلغاء عالَم بأكمله، كَون زائف بأَسره، من الوجود لإفساح الطريق أمام بدايةٍ جديدة.

نظرتُ عبر النافذة مجدَّدًا، وشاهدتُ قرص الشمس البرتقالي الضخم يرتفع في عَنان السماء، مزحزِحًا سَديمَ الفجر من أمامه. لقد كانت شمسًا لن تبلغ أبدًا الجانبَ المقابِل من الأفق.

ثم شعرتُ فجأة أنَّ شخصًا ما كان معي في الغرفة. لم يكن الأمر سوى إدراكٍ حاضِر البديهة بوجود حركةٍ ورائي، وَقْع أقدامٍ غير مرئية تقريبًا.

دون أن أكشف عن إدراكي للأمر، دسستُ يدي بخفة في جيبي. ثم أخرجتُ المسدس والتفتُّ.

كانت جينكس.

نظرتْ إلى سلاح الليزر في يدي. وقالت: «لن يحلَّ ذلك أيَّ شيءٍ يا دوج.»

أوقفتُ إصبعي على زر الإطلاق. وسألتُها: «لمَ لا؟»

«مهما أطلقتَ عليَّ الإشعاع، فلن يفيد ذلك في شيءٍ. يمكنك أن تقضي على قوة إرادتي. ولكن في كل مرة أغادر فيها، يحرِّرني ذلك من شلل الإرادة. سأظل أعود ببساطة.»

وضعتُ المسدس في جيبي مُحبَطًا. القوة لن تفيد. يجب أن أجد طريقةً أخرى. هل أُناشِدها التعقُّل؟ أم أجعلها تدرك أنهم يجب ألا يعثروا عليها هنا عندما يحدث الأمر؟

اقتربتْ مني. وقالت: «دوج، أنا أُحبُّك. وأنت تحبُّني. رأيتُ ذلك جيدًا عبر الاقتران التقمُّصي. لستُ بحاجةٍ إلى أي سببٍ آخر كي أبقى معك.»

وضعتْ يدها على كتفي، لكنني ابتعدتُ. وقلتُ لها: «لو كنا في حالة اقترانٍ الآن، لعرفتِ أنني لا أريدُكِ هنا.»

«أستطيع أن أفهم ذلك يا حبيبي. ربما حتى لديَّ الشعور نفسه. ولكنني لن أرجع مهما يكن.»

سيطر الإصرارُ على تعابير وجهها عندما استدارت نحو النافذة، وحدَّقتْ بالخارج في المدينة.

سألتْ: «ألم يتدخَّل المتحكِّمُ الأعلى بعدُ؟»

«لا.» ثم أدركتُ ما كان عليَّ فعله إذا أردتُ إخراجَها من هذا العالَم — وإبقاءها خارجه — قبل حدوث إلغاء البرمجة الشامل.

قالَت متأمِّلة: «لقد كنتَ محقًّا بشأن أسلوبه في الاقتران. عادةً لا تدري وحدةُ ردِّ الفعل أنه يتدخَّل حتى. غير أن هناك طريقةً لجَعْل التجربة مؤلمةً بقدر ما تريد. كلُّ ما عليك هو أن تضع جهاز التعديل خارج الطَّور قليلًا.»

لم تكن تخدعني عندما قالت إنه مهما أصبتُ مركز إرادتها بالشلل، فإنها ستواصِلُ العودة. الحلُّ إذن أن آمرَها بالمغادرة قبل اللحظة النهائية مباشرةً، عندما لا يكون أمامها وقتٌ للعودة.

يمكنني أن أفاجِئَها الآن، أُفقِدها الوعي، وأطلِق الإشعاع على مركز إرادتها، الآن. كان ذلك سيحوِّلها إلى كائن آلي خاضِع بالطبع. لكنه كان من شأنه أيضًا أن يجعلها تحت طَوعي. ووقتها، يمكنني أن أنتظر على أمل أن يحدث شيءٌ يشير إلى اقتراب إلغاء البرمجة الكلي. ربما الشمس، أو ربما دعائم أساسية أخرى ستبدأ في الاختفاء من الوجود أولًا. عندما يحدث ذلك، سأوجِّهها ببساطة إلى المغادرة على أمل أن يكون قد فاتَ الأوان على إسقاطها من جديد.

لكن لا بد أنها قد رأت انعكاس صورتي في النافذة، عندما اقتربتُ منها ومسدس الليزر في يدي.

قالت بهدوءٍ: «ضَع ذلك جانبًا يا دوج! إنه فارغ.»

رمقتُ العدَّاد. كان المؤشر عند الصفر.

قالت: «عندما أرسلتَني هناك بالأعلى، كان في مقدوري أن أعود في وقتٍ مبكر عن ذلك. لكني استغرقتُ وقتًا في برمجة تفريغ المسدس من شحنته.»

جلستْ على الأريكة عاقدةً ساقَيها تحتها.

وقفتُ بجوار النافذة مُحبَطًا. في الخارج، كانت أشرطة السير قد بدأت تحتشد بالناس. كان أغلبهم يستقلُّ الرصيفَ المتحرك في اتجاه شركة ريأكشنز المحدودة. كانت المظاهرة العامة التي نظَّمها سيسكين مصدرَ جذب عام.

استدرت بحِدَّة. وقلتُ: «ولكن يا جينكس ... أنا لا شيء!»

ابتسمت. وقالت: «وأنا كذلك الآن.»

«لكنكِ حقيقية. لديكِ حياتُكِ الحقيقية كلُّها أمامكِ!»

لوَّحتْ لي من فوق الأريكة. وقالت: «كيف نعرف أن أكثر الحقائق واقعيةً حتى لن يتضح في نهاية المطاف أنها وهمية؟ لا يمكن لأحدٍ أن يثبت وجوده، أيمكنكَ أنت؟»

ارتميتُ بجوارها قائلًا: «كفاكِ تفلسُفًا.» ثم أضفتُ: «أنا أتحدَّث عن شيءٍ مباشر، ذي معنًى. أنتِ لديكِ جسدٌ وروحٌ. أنا لا!»

مرَّتْ بظفرها على ظهر يدي، وهي لا تزال مبتسمة. وقالت: «ها أنت. لا بد أنَّ ذلك يقنع أي أحد أن لديه جسدًا.»

أمسكتُ بذراعِها وأدرتُها نحوي. ثم توسَّلتُ إليها مُدرِكًا أنه لا جدوى من محاولة إعادتها إلى عالَمها: «أرجوكِ يا جينكس! الوضعُ خطير!»

قالت بجدية: «لا يا دوج. ليس هناك تأكيد أيًّا ما كان، ولا حتى في وجودي المادي، أنَّ الأشياء المادية هي مادية بالفعل، وحقيقية.

وأما عن الروح، فمَن قال إن روح الشخص يجب أن تكون مرتبطة، بأي درجة، بشيءٍ مادي؟ في تلك الحالة، فإن قزمًا أبتر لا بد أن له روحًا أقل من عملاق ضخم في أي عالَم كان.»

حدَّقتُ إليها ولم أعقِّب.

واصلَتْ بجدية: «ألا ترى؟ إنَّ مجرد وجودنا هنا بالأسفل لا يعني أنَّ علينا أنْ نضع متحكِّمًا في محاكٍ بيئي، جبَّارًا مهووسًا بذاته، محلَّ تصوُّرنا عن الإله.»

أومأتُ برأسي وقد كنت بدأت أفهم.

قالت بيقينٍ وقناعةٍ شديدَين: «إنَّ العقلَ هو ما يهم. وإذا كانت هناك حياةٌ بعد الموت، فلن تُحرَم منها وحداتُ رد الفِعل في هذا العالَم، تمامًا كما لن تُحرَم منها وحداتُ الهُويَّة في محاكي فولر، أو الأشخاص الحقيقيون في عالَمي.»

أمالتْ وجنتَها على كتفي. وقالت: «لا أملَ في إنقاذ هذا العالَم يا دوج. لكني لا أكترث. ليس تمامًا. فقد خسرتُك هناك بالأعلى، كما تعلم. ولكني وجدتُكَ هنا بالأسفل. لو عُكسَت أدوارُنا، كنتَ ستشعر بالشيء نفسه، وكنتُ سأتفهَّم ذلك.»

قبَّلتُها كما لو كانت اللحظةُ التالية هي اللحظةَ الأخيرة قبل إلغاء البرمجة الشامل.

قالت بقناعة: «إذا تبيَّن أنه سيترك هذا العالَم لبضعة أيام أخرى، فسأعودُ إلى هناك بالأعلى، ولكن فقط لضبط جهاز التعديل على جهد مرتفع. ثم سأعود. وبعدها ببضع ثوانٍ، سيكون الاقتران بين إسقاطي هنا بالأسفل وبين ذاتي المادية بالأعلى قد تعطَّل تمامًا. وسأصبح جزءًا لا يتجزأ من هذا العالَم المُحاكَى إلكترونيًّا.»

لم أستطع أن أَنبِس ببنت شفة. لقد حاولتُ إقناعها. ولكنها، بدلًا من ذلك، أقنعَتني.

ارتفعت الشمسُ في مستوى النافذة، وألقت بأشعَّتِها الدافئة عبر الغرفة.

سألتْ: «ألَم ... يتدخَّل مرة أخرى بعد؟»

«لا. لماذا؟»

«أنا خائفة يا دوج. ربما يريد أن يتلاعبَ بك مرةً أخرى قبل أن يغلق جهاز المحاكاة.»

شعرتُ بالرجفة في كتفَيها، وأَحطتُها بذراعيَّ.

سألتْ: «هل ستخبرني عندما يقرن نفسَه بك؟»

أومأتُ موافقًا، ولكني، مرةً أخرى، أردتُ أنْ أعرفَ السببَ.

«لأنه ربما يكون للأمر بعضُ التأثير عليه إذا اكتشفَ أنني سأبقى هنا في الأسفل، إلى الأبد.»

فكَّرتُ في دوجلاس هُول في ذلك الواقع الأعلى. كنت أنا وهو بصورةٍ ما مجردَ وجهَين مختلفَين لشخصٍ واحد. تسلَّلتْ عبارةُ الكتاب المقدَّس «على صورته» إلى ذهني، لكني تجنَّبتُ التمادي في هذه النبرة اللاهوتية الزائفة. إنه إنسان، وأنا إنسان. ويتمتَّعُ بالطبع بمزايا مطلَقة عني. ولكن بصرف النظر عن ذلك، فكلُّ ما يفصلنا هو حاجز مُحاكًى إلكترونيًّا، حاجز ضلَّل تفكيره، وشوَّه عقله، وملأَه بوَهْم العَظَمة، وحوَّله إلى مهووسٍ بها.

لقد عذَّبَ وقتلَ بلا رحمة، وتلاعبَ بكياناتِ ردود الفِعل باستهانةٍ وحشيةٍ غاشِمة. ولكن من الناحية الأخلاقية، هل هو مُدان بأي شيء؟ لقد انتزعَ أرواحًا وحيواتٍ؛ حياة فولر وكولينجسورث. لكنهما لم يكن لهما وجودٌ من الأساس. لم يكن واقعُهما، إدراكُهما لكيانهما، سوى وعي ذاتي منحَهما إياه عبر الدوائر المعقَّدة لمُحاكِيه.

ثم قَمعتُ رغبتي الشديدة في إيجاد تبريراتٍ وأعذار. فما كنت لأتبنَّى موقفَ المُدافِع عن هُول القابع بالأعلى. لقد قتلَ ... بوحشية. لم يُبدِ أيَّ قدر من الشفقة في تخلُّصه من تلك الكيانات التناظرية التي اكتشفتْ وَهْم واقعها. ولم يقتل وحداتِ رد فعل فحسب. بل قتلَ بشرًا أيضًا بكلِّ وحشية. ذلك أن الوعي بالذات هو المقياس الوحيد للوجود.

ذكَّرتُ نفسي بعبارة «كوجيتو إرجو سوم». أنا أفكِّر، إذن أنا موجود.

هذا هو بيت القصيد بكلِّ تأكيد.

نهضتُ وعُدتُ إلى النافذة، وحدَّقتُ بالخارج في الأرصفة المتحرِّكة المزدحمة. ولم أستطع أن أرى سوى جزءٍ من مبنى ريأكشنز. بدا المشهد هناك كما لو أنه يولِّد إثارةً كهربائية ذاتية خاصة به. كان مئاتُ الأشخاص المتلهِّفين، الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر إعلانَ سيسكين الموعود عن مُحاكِيه، يَسدُّون الطرقَ المرورية، ويُفقِدون الأرصفة المتحركة حركتها بأوزانهم وأعدادهم التي تفوق الحدَّ.

سألتْ جينكس: «ألمْ يتدخَّل المتحكِّم الأعلى بعد؟»

هززتُ رأسي دون أن أرفعَ عينيَّ عن الحشود المتزايدة. جالَ بخاطري أنَّ الناس أنفسهم — وحدات رد الفعل — هم مَن عرقلوا نوايا المتحكِّم الأعلى. لقد جعلوا تدميرَهم حتميًّا.

كان ضغطُ الرأي العام بمثابة درع منيعة لحماية محاكي فولر، الذي يتعيَّن تدميره نهائيًّا إذا كان لهذا العالَم أن يستمرَّ في الوجود.

كان الوضعُ مليئًا بالمفارقات بطريقةٍ أو بأخرى. سيسكين نفسه هو المسئول عن موقف الجماهير. فقد تلاعبَ بالناس من خلال الاستجداءِ النفسي بكفاءةٍ فاقَت ما كان في إمكان المتحكِّم الأعلى فعلُه، من خلال عمليات المحاكاة الإلكترونية.

ومن أجل تغيير الوضع فيما يخصُّ السد المنيع الذي شكَّله الوضع العام على هذا النحو، أصبحَ يتعيَّن على مختصِّي المحاكاة الإلكترونية إعادةُ برمجة كلِّ وحدة تقريبًا من وحداتِ ردود الفعل. كانت تلك مهمةً هائلةً للغاية. وسيكون من الأسهل محو جميع الدوائر تمامًا والبدء من جديد.

ثم انتبهتُ واقفًا واستدرتُ نحو جينكس، فاغرًا فمي في لحظة إدراكٍ مفاجئ.

أمسكتْ بذراعي. وقالت: «دوج! هل هذا ... هو؟»

«لا. جينكس، أظن أن لديَّ خطة!»

«خطة لماذا؟»

«ربما يمكننا أن ننقذَ هذا العالَم!»

تنهدتْ في يأسٍ. وقالت: «لا يوجد شيءٌ يمكننا فعله هنا بالأسفل.»

«ربما يوجد شيءٌ حقًّا. إنها فرصة ضئيلة. لكنها موجودة. هذا العالَم المُحاكَى، الذي هو من اختلاق المتحكِّم الأعلى، لا يمكن إنقاذه؛ لأنَّ الناس، الذين يمثِّلون فيه وحدات ردِّ الفِعل، يصرُّون على الحصول على محاكيهم الخاص بأي ثمن. أليس كذلك؟»

أومأَت برأسها. وقالت: «لا يمكنه تغيير معتقداتهم وآرائهم من دون إعادة برمجة كاملة.»

«لا يستطيع. ولكن ربما أنا أستطيع! أولئك الناس بالخارج يدعمون جميعًا سيسكين؛ لأنهم يعتقدون أنَّ جهاز المحاكاة الخاص به سيغيِّر عالَمهم.

ولكن لنفترضْ أنهم علموا بدوافعه الحقيقية. لنفترض أنهم اكتشفوا أنه لا يرغب في شيءٍ إلا في أن يصبح حاكمهم المطلق. وأنه هو والحزب يتآمرون ضدهم. وأنه لا يخطِّط على الإطلاق لاستخدام «سميولكرون-٣» كوسيلة لإنارة الطريق أمام التقدُّم الاجتماعي!»

عبستْ، ولم أستطع أن أميِّز ما إذا كانت مرتبكة بسبب اقتراحي، أم كانت تستعدُّ لُمحاجَّتي.

واصلتُ: «ألا ترين؟ سيدمرون المحاكي بأنفسهم، سيُصابون بخيبة أمل كبيرة لدرجة أنهم سينقلبون على سيسكين! ربما سيكون بإمكانهم القضاء على الحزب أيضًا!»

كانت ما زالت لا تُظهِر حماسًا كبيرًا.

«سيكون من شأنهم أن يخلقوا أجواءً يستحيل فيها استحداثُ محاكِي فولر من جديد. ومن ثَم، سيتمكَّن المتحكِّم الأعلى بسهولة من إعادة توجيه بعض وحدات رد الفعل مثل سيسكين وهيث وويتني. ذلك حيث يعيدُ توجيه مسارات اهتماماتهم بعيدًا عن تخصُّص المحاكاة الإلكترونية برُمَّته.»

«ولكن ما كان هذا ليحرِّرك يا دوج! ألا ترى؟ حتى إنْ أنقذت هذا العالَم بالفعل، فإنكَ بذلك ستمنح المتحكِّم الأعلى مستقبلًا غير محدود لتنفيذ كلِّ عمليات التعذيب المحاكاة إلكترونيًّا، التي يمكنه ...»

«ينبغي ألَّا نقلق بشأن ما يحدث لي تحديدًا! هناك الآلاف من الناس الذين لا يشكُّون حتى فيما هو على وَشْك أن يحدثَ لهم.»

غير أنني استطعتُ أن أفهم وجهة نظرها. لا بد أنَّ تعاطفي مع وحدات رد الفعل كان أعمقَ من تعاطفها معهم. فقد كنت واحدًا منهم.

سألتْ بجدية: «كيف ستوجِّههم لمعرفة حقيقة سيسكين؟ ليس لدينا الكثير من الوقت.»

«كلُّ ما سأفعله هو أن أخرج إلى الشارع وأخبرهم. ربما سيَرى المتحكِّم الأعلى ما يحدث. وعندئذٍ سيدرك أنه ليس عليه أن يدمِّر هؤلاء الناس في النهاية.»

عقدتْ ذراعَيها واستندتْ إلى الحائط بلا حماس.

قالت: «لن تُتاح لك الفرصة لإخبارهم بأي شيءٍ. جعل سيسكين الشرطة بأكملها تبحث عنك. سيطلقون عليك الإشعاع في اللحظة التي يرَونك فيها!»

أمسكتُ بمعصمها واندفعتُ نحو الباب.

لكنها تراجعتْ شبه يائسة. وقالت: «حتى لو نجحت يا حبيبي ... حتى لو لم يطلقوا عليك الإشعاع وتمكَّنتَ من إقناع الجميع ... فلن ينظروا إليك إلا على أنك جزءٌ من خطة سيسكين. سيمزِّقونك إرْبًا!»

سحبتُها عبر الغرفة. وصحتُ فيها قائلًا: «هيا! سأحتاجكِ على أي حال.»

الفصل الثامن عشر

كانت الأشرطة في الأرصفة المتحركة في الخارج مكتظَّة بالأشخاص المتجهين إلى شركة «رين»، عندما اعتلَيتُ الحزامَ الناقِل البطيء، وسحبتُ جينكس إليه. قبل بلوغنا نهاية المربع السكني، كنا قد عبرنا إلى الرصيف المتوسط السرعة. فلم يكن لنا مكانٌ على الشريط السريع.

ارتفعَ أمامنا من بعيدٍ دويُّ أصواتِ هُتافٍ هادرة كالموج. ورافقَها تصفيقٌ بين الحين والآخر. وفي اللحظة التالية لذلك، أقلَعتْ سيارةٌ سيسكين الخاصة بقوة من منطقة الهبوط أمام شركة «ريأكشنز»، وتوجَّهتْ إلى «بابل سنترال».

لاحظتُ في نهاية المطاف التضاربَ الباديَ في الحشد من حولي؛ لم يكن هناك أيٌّ من راصدي ردود الأفعال. أدركتُ أن غيابهم كان يعني أنَّ اتحاد راصدي ردود الأفعال قد تخلَّى عن وظيفته؛ ومن ثَم فإن محاكِي العالَم الأعلى أصبح لا يمتلك نظامًا خاصًّا به لاستطلاع ردود الأفعال.

وقفتْ جينكس فوق الشريط بجواري صامتةً، وكانت عيناها تنظران إلى الأمام مباشرةً، ووجهُها صارمًا وعيناها شاردتَين عما حولنا.

كنت أنا أيضًا منشغلًا بأفكار بعيدة عما يدور حولنا، أفكار تجاوزتْ لامحدوديةَ وجودي المقيَّدة. حاولتُ أن أتخيَّل ما كان يفعله المتحكِّم الأعلى في تلك اللحظة. وبما أنَّ عالَمَينا يرتكزان على أساسٍ زمني متماثل، فلا بد أنه مستيقظ الآن.

ربما يكون في اجتماعٍ مع مجلسه الاستشاري في هذه اللحظة نفسها. وذلك حسب ما أستشف من حقيقة أنه لم يقرن نفسه بي بعد. ولكني لم يكن لديَّ أدنى شك في أنه يعكف الآن على أن يستعيدَ بحماسٍ رابطتَه المُحاكاة إلكترونيًّا بيننا، بمجرد انتهاء الإجراءات الرسمية للجلسة. ويعني ذلك أنَّ النهاية قد اقتربت.

تباطأَت الأرصفة المتحركة تحت وطأة الوزن الكبير لحمولتها، فأصبحتْ في سرعة الحلزون. كان الراكبون عن يميني ينزلون عن الشريط السريع بلا صعوبة، ويتدفقون في الحارات المرورية المزدحمة والمختنقة مروريًّا؛ لمواصلة التجمهُر عند شركة «رين» الكائنة على بُعد مربعَين سكنيَّين.

أمسكتْ جينكس بيدي بشدة. وقالت: «هل من إشارةٍ على تدخُّله؟»

«ليس بعد. أظنُّه لا يزال مجتمِعًا بالمجلس.»

ولكن في اللحظة نفسها التي نفيتُ فيها تدخُّلَه، أدركتُ أنه قد أجرى بالفعل اقترانًا تقمُّصيًّا معي. استطعتُ أن أشعر بوجوده الآن، ولكن على نحو أكثر دهاءً من أي مرةٍ ماضية.

لم ينشأ عن الاقتران هذه المرة الألمُ الحادُّ المستهزئ بضعفي، كما كان في المرات السابقة. عرفتُ بطريقةٍ ما أنه على غير العادة قد اكتفَى بالملاحظة غير مُبالٍ. إذا كان قد نوَى تعذيبي، فقد أجَّله لسببٍ ما.

نظرتُ جهة اليسار، فأصبحتْ جينكس في مجال رؤيتي. واستطعتُ أن أشعر بتوتره من هَوْل المفاجأة، ورؤيته لها إلى جانبي. ثم عرفتُ أنه كان يُمعِن النظرَ في تجاربي الأخيرة ليعرف ما حدث.

لا شكَّ أنه تفاجأ وشعر بمتعةٍ سادية، حين عرفَ أن جينكس قد ربطتْ نفسها بلا رجعةٍ في علاقةٍ محتومة مع هيكله المُحاكَى إلكترونيًّا.

تساءلتُ حائرًا لماذا لم يبدأ تعذيبي بعد، لماذا لم يضع مُعادِل الاقتران خارجَ الطَّور. ثم اتضحَت الإجابة أمامي؛ فمن أشدِّ أشكال التعذيب أنْ تجعلَ الضحية تدرك اقترابَ العذاب ولكنك تُؤخِّره، فتجعلها في حالة خوفٍ وترقُّب مستمرَّة.

استجابةً لتلك الفكرة، أحسستُ أنني أسمعُ ضحكته الخبيثة الماكرة مجلجِلةً بقوةٍ تكاد تكون مسموعة. رأيتُ أنه لم يكن أمامي وقتٌ لأُضيِّعه، ولم أكن أعلم كم تبقَّى لديَّ. وبدا أنه يستمدُّ من ذلك التخوُّف الجديد مزيدًا من التلذُّذ والمتعة.

تركنا الرصيفَ المتحرك وتقدَّمنا سيرًا على الأقدام، متدافعَين عبر الحشود.

ناديتُه في ذهني: «هُول؟»

فلم ألقَ ردًّا. ثم تذكَّرتُ أنَّ الاقترانَ من جانبٍ واحد.

«هُول، أظن أنَّ بمقدوري أنْ أنقذَ لك جهاز المحاكاة الإلكترونية هذا.»

لم أجد حتى ولو أثرًا لردِّ فعل يُوحي باستماعه. هل كان يستمع؟ ولكن لا بد أنه يعلم حتمًا ما خطَّطتُ له. لا بد أنه قد رآه في أفكاري الدفينة.

«سأجعلُ هذا الحشد يهاجم آلة سيسكين. ولا يهمني ما يحدث لي.»

ما مدى الابتهاج الذي كان يستمده من الخوف والإذلال الشديدَين، اللذَين شعرتُ بهما في مخاطبته مباشرةً بهذه الطريقة؟

«سأدبِّرُ الأمرَ بحيث لن يصبح أحدٌ يطيق محاكي سيسكين. حتى إنهم سيدمِّرونه. وهو ما تريده بالضبط. ولكن ذلك ليس ضروريًّا. صَدِّقني. لأنه بإمكاننا الاحتفاظُ بآلة سيسكين وراصدي ردود الأفعال التابعين لك هنا بالأسفل في الآن نفسه. كلُّ ما علينا هو أن نستخدمَ شركة رين في الأبحاث المتعلقة بالمشكلات الاجتماعية فحسب.»

لا يوجد حتى الآن ما يشير إلى أنه يكترث لهذا الأمر، أو أنه حتى يستمع إلى ما أقوله.

«أعتقدُ أنَّ بإمكاني تحويلَ الرأي العام ضد سيسكين. ولكنهم سيصُبُّون جامَ غضبهم على «سميولكرون-٣». لن أتمكَّن من إيقاف ذلك. لكنك تستطيع. سيكون الأمر سهلًا. عاصفةٌ رعدية عنيفة ستفرِّقُهم، بعد أن أجعلهم ينقلبون عليه مباشرةً.

في تلك الأثناء، يمكنك إعادة برمجة عدد قليل من وحدات رد الفعل. والقضاء على سيسكين ماليًّا. وبعدها تخطِّط لنقل الحيازة العامة لآلته والاستحواذ عليها. سيعرفون أنها لا تُستخدَم في شيءٍ بخلاف الأبحاث في مجال العلاقات الإنسانية. ومن ثَم، يكون هناك أساسٌ منطقي يُعزِّز وجودَ راصدي ردود الأفعال في هذا العالَم.»

هل كان يتلاعبُ بي؟ أم أنه يستمر في صمته فقط حتى يُشعِرني بمزيدٍ من القلق؟ أم أنه ينتظر منشغلًا بلحظة رؤية الشرطة لي وعثورهم عليَّ، أو بالكيفية التي سيعاملني بها الغوغاءُ عندما أحطِّم أوهامَهم؟

بحثتُ في السماء عن إشارة تفيد بأنه قد أمر بهبوب العاصفة الرعدية التي ارتأيتُ أنها ستكون ردَّه التالي. ولكن لم تكن هناك غيمةٌ واحدة في الأفق.

كنا الآن في المربع السكني الأخير قبل شركة ريأكشنز. وكان الشارعُ مكتظًّا للغاية لدرجة أنني تمكَّنتُ بصعوبة من المرور بجينكس خلاله.

رفرفتْ عاليًا اللافتةُ المبهجة التي وضعَها سيسكين في واجهة المبنى:

حدثٌ تاريخي!
ترقَّبوا البيانَ العام اليوم

(مجاملة لهوراس بي سيسكين)
ستحُلُّ شركة رين أُولى مشكلاتها الإنسانية

كانت هذه بالطبع عملية احتيال. لم يكن لدى هيث الوقتُ الكافي لإعادة برمجة المحاكي لأداء وظيفة جديدة. وفي نهاية المطاف، لن يقدِّم سيسكين للناس سوى بعض المراوغة المُتقَنة — ربما استعدادًا لإصدار تشريعاتٍ جديدة يتعدَّى من خلالها على راصدي ردود الأفعال — بعد أن يتركهم يهدَءُون لبضع ساعات.

تقدَّم الحشدُ دافعين بنا معهم. وقد كنت ممتنًّا لـ «بيانِ» سيسكين. فقد احتشدَ الآلاف هنا ممن يمكنني أن ألقي على مسامعهم ما كان عليَّ قوله.

استدارت جينكس نحوي متوترةً. وقالت: «بالطبع لا بد أنه قد أجرى اقترانًا معك الآن!»

لكنني كنت أركِّز أفكاري بقوة على المتحكِّم الأعلى في استجداءٍ صريحٍ أخير:

«هُول، إذا كنت تفكِّر فيما أقول، فثمة أمران آخران. تستحق دوروثي فورد وضعًا أفضل مما هي فيه. يمكنك أن تمحو فريقَ العمل الدنيء عن طريق إعادة توجيهه. وسيكون ويتني أفضل من هيث في الإشراف على البحث الاجتماعي. وأَوجِد طريقة ما لإخراج جينكس من هنا. أنا لا أستطيع.»

كنا قد وصلنا إلى التقاطُع الأخير، وشعرتُ كأنني شخصٌ يرتل صلواته. ربما كان عدم التيقُّن الذي تلا مناشدتي الصريحة مناظِرًا للتضرُّع إلى إله من منظور واحد على الأقل، وهو أنَّ المرءَ لا ينتظر ردًّا شفهيًّا في أيٍّ من الحالتَين.

ثم شعرتُ به ... ذلك الدوار المتزايد، وَقْع الصوتِ الهادِر الذي لم يكن صوتًا على الإطلاق، والغثيان، وتأجُّج النيران الزائفة في كلِّ حواسي.

لقد أخرجَ المعادِلَ عن الطَّور. واستشعرتُ، من خلال الألم المتواصل، تأثيرَ ضحكته الوحشية الذي نقله إليَّ عبر عملية التقمُّص.

لقد سمعني. غير أنَّ خضوعي البائس قد أمدَّه ببهجةٍ تحوَّلت لديه إلى هَوَس بالترقُّب.

ثم خطرَ لي أنه ربما لم يرغب قطُّ في إنقاذ هذا العالَم. ربما كان يتطلَّع طوال الوقت إلى المَرَح والتلذُّذ بإرهاب الآلاف من وحدات رد الفعل، وهم يشاهدون عالَمهم يتداعى أمام ناظريهم وتحت أقدامهم.

اندفعتْ زمرةُ الناس التي كنا محاصَرَين فيها إلى الأمام، ثم اصطفُّوا إلى اليسار. وتفرَّقوا حول منصة تحويل بين الأرصفة المتحرِّكة، وكأنهم تيارٌ منهمر حول عائقٍ ما.

اندفعنا إلى الرصيف الذي وصلَ ارتفاعُه إلى الخَصر، وأخرجتُ ذراعي لأَحُول دون تأذِّي جينكس من حافته المعدنية. كان رجلان من رجال الشرطة على مقربة منا يحاولان استعادة بعض أشكال النظام.

رفعتُ جينكس على المنصة، وخَطوتُ على الحافة المكسورة الملتوية لرصيف متحرك مقطوع، وصعدتُ بجوارها. سُحِبنا مرتَين تقريبًا قبل أن نتمكَّن من شَق طريقنا إلى وحدة التحكم الفوقية.

ثم وقفتُ على التجويف الذي أخذَ شكل حرف V وقيَّمت موقفنا. مع الفولاذ الموجود خلفنا وعلى كلا الجانبَين، لم نكن مكشوفَين إلا من الأمام حيث شاهدْنا المدَّ المندفع للبشر الذي امتدَّ إلى مبنى ريأكشنز عبر الشارع.

أمسكتُ بكَتِف جينكس ووجَّهتُها إليَّ. وقلتُ لها: «لم أكن أريد أن تسير الأمور بهذه الطريقة. لكن لا خيارَ أمامنا.»

سحبتُ المسدسَ من جيبي، وجعلتُها تستدير لتصبح أمامي كالدرع، وأمسكتُها من خَصرها. ثم لوَّحتُ بمسدس الليزر، ورفعتُ صوتي ليعلو فوق صوتِ الضجيج في محاولة لجذب الانتباه.

رأَت امرأةٌ المسدسَ وصرخَت: «احترسوا! إنه مسلَّح!» وقفزتْ من فوق المنصة.

تبعَها ثلاثةُ رجال، وصرخَ أحدهم وهو يقفز. وقال: «إنه هُول! إنه ذلك الرجل المدعو هُول!»

في اللحظة التالية، كانت منصة التحويل قد أُخليَت، ولم يتبقَّ عليها سواي أنا وجينكس. تركونا واقفَين في التجويف الأمامي لوحدة التحكم الفوقية.

أنزلتُ المسدس الفارغ ووضعتُه أمامي، موجِّهًا مُكثِّفه ناحيتها.

شقَّ رجلُ الشرطة الأقربُ طريقَه عبر الحشد على حافة المنصة، وسحبَ مسدسَه.

قلتُ محذِّرًا: «لا تحاوِل أن تصعقنا! إذا أطلقتَ الإشعاعَ عليَّ، فسيقتلُها ردُّ فِعلي المنعكس.»

أنزلَ سلاحَه ونظرَ غير متيقِّن إلى ضابط الشرطة الآخر الذي انضمَّ إليه مؤخرًا.

صرختُ: «إنكم جميعًا مخطئون في حمايتكم لمحاكي سيسكين! إنه لن يستخدمه لتحسين الجنس البشري!»

كان هناك هِياجٌ عام من صيحاتِ الاستهجان، وصاحَ أحدُهم: «أَنزِلوه!»

شقَّ أربعةٌ آخرون من ضبَّاط الشرطة طريقَهم إلى المنصة، وأخذوا في الانتشار في أرجائها. لكنهم لم يتقدَّموا كثيرًا حتى حجبتهم وحدة التحكم الفوقية.

قالت جينكس خائفةً: «لا أظن أنَّ الأمرَ سينجح. إنهم لا يُنصِتون.»

بعد أن هدأت الردود التهكُّمية الهازئة، واصلتُ: «إنكم جميعًا لَحَمقى! سيسكين يستغلكم كالخِراف! أنتم فقط تحمون مُحاكيه من راصدي ردود الأفعال!»

تلاشى صوتي وسط عاصفةٍ من الاحتجاجات: «كذبٌ! كذبٌ!»

حاولَ أحدُ رجال الشرطة الصعودَ إلى المنصة. سحبتُ جينكس إليَّ وغرزتُ مسدسي بقوة أكبر في ضلوعها.

تراجعَ وحدَّق بإحباطٍ في سلاحه. لقد كان معَدًّا على أعلى تركيز، كثافة قاتلة.

شرعتُ في مخاطبة الناس مرةً أخرى، ولكنني توقَّفتُ في مكاني مرتجفًا؛ حيث زادَ المتحكِّم الأعلى في إخراج جهاز تعديل الاقتران الخاص به عن الطَّور. كافحتُ — مهتاجًا — الهديرَ الرابِض، والحرارة الحارقة التي اشتعلتْ في رأسي.

سألتْ جينكس: «دوج، ما الأمر؟»

«لا شيء.»

«أهو المتحكِّم الأعلى؟»

«لا.» لم تكن ثمة حاجة لأنْ تعرفَ بالاقتران.

شعرتُ بأن توترها قد خفَّ. كان الأمر كما لو أنها قد أُصيبَتْ بخيبة أمل لأنَّ تعذيبي لم يبدأ بعد.

هدَأَ الحشدُ، وأَلقيتُ بمزيدٍ من الكلمات الثائرة:

«هل كنتُ سأخاطر بحياتي لأخبركم بهذا إلا لو كان صحيحًا؟ لا يريدُ سيسكين سوى تعاطفكم كي لا يستطيع اتحادُ راصدي ردود الأفعال مقاومته! لن يخدم محاكيه سواه!»

ازدادَ خروجُ معادِل الاقتران بالأعلى عن الطور، وأصبح الهدير الداخلي ألَمًا ضاريًا. لم يخفِّفه سوى التأثير المنعكس من ضحكته الوحشية.

نظرتُ لأعلى. لم يكن هناك أدنى أثر لغَيمة. إما أنه أرادَ بالفعل تدميرَ هذه الخلائق المُحاكاة إلكترونيًّا، وإما أنه لا يعتقد أنه بإمكاني إعادة توجيه آلاف وحدات رد الفعل في عالَمه.

صرختُ بيأس: «ما يريدُ سيسكين سوى أنْ يحكمَ البلاد! إنه يتآمَر مع الحزب! ضدَّكم!»

مرةً أخرى، كان عليَّ انتظار أنْ تهدأ الإثارة المدوِّية قبل أن أتمكَّن من المواصلة:

«عندما يهيمنُ جهازُ المحاكاة على استراتيجيته السياسية، سيترشَّح لأي منصبٍ يريده!»

كان بعضُ الناس يستمعون الآن. لكن الغالبية العظمى حاولتْ أن ترفع صوتها فوق صوتي.

أحاطتْ مجموعةٌ من ضبَّاط الشرطة بالمنصة. كان العديدُ منهم يشقُّون طريقَهم حول الجزء الخلفي من وحدة التحكم الفوقية. وكان أحدُهم يصرخ بشيءٍ ما في المذياع. لن يمرَّ وقتٌ طويل قبل أن تظهر سيارة طائرة. ولن أستطيع التدرُّع بجينكس من راكِبِيها.

في الجانب الآخر من الشارع، كان عدةُ أشخاص يتحرَّكون على سطح مبنى ريأكشنز. عرفتُ اثنَين منهم، دوروثي فورد والمدير الفني الجديد «ماركوس هيث».

عُدتُ قلِقًا إلى الحشد بالأسفل. وصِحتُ قائلًا: «أعرفُ خُطط سيسكين لأنني كنت جزءًا من المؤامرة! إذا كنتم لا تصدقونني الآن، فإنكم تُثبتون بذلك أنكم حمقى كما يراكم سيسكين!»

على السطح، رفعَ هيث مكبِّر صوتٍ إلى شفتَيه. دوَّتْ كلماتُه الثائرة بالأسفل:

«لا تسمعوا له! إنه يكذب! ما يقول ذلك إلا لأنه طُرِد من المؤسسة بأمرٍ من السيد سيسكين والحزب و...»

صمتَ فجأة، مُدرِكًا على ما يبدو لخطورة ما قاله. وكان باستطاعته أن يغطِّي على زَلة لسانه بإكمال جملته: «... والحزب والسيد سيسكين ليس لديهم أي صلة بأي شكل.»

لكنه لم يفعل ذلك. واضطربَ. وساعدَ في إثبات وجهة نظري بفراره إلى المبنى.

كان من شأن هذا وحده أن يكون كافيًا، غير أنَّ دوروثي تدخَّلت أيضًا. الْتقطتْ مكبِّر الصوت وتحدَّثتْ فيه بهدوء:

«ما قاله دوجلاس هُول صحيح. أنا السكرتيرة الخاصة للسيد سيسكين. أستطيعُ إثبات كلِّ كلمة مما قال.»

تنفَّستُ الصُّعَداء، وشاهدتُ الغوغاءَ يندفعون نحو المبنى. ولكني صرختُ حينها من الألم؛ حيث عاقبني المتحكِّم الأعلى بجميع آلام الاقتران الكاذب، حيث بدا واضحًا أنه قد انزعجَ من نجاحي.

صاحت جينكس: «لقد تدخَّل!»

أومأتُ مُشتَّتَ الذهن.

ثم اخترقَ كتفي من أعلى شعاعُ سلاح الليزر الحاد كالقلم الرصاص. وعندما سقطتُ، رأيتُ رجل الشرطة يتشبَّث بالشُّرفة أعلى وحدة التحكم الفوقية.

مَدَدتُ يدي لأدفعَ جينكس بعيدًا، لكنَّ يدي لم تلمس شيئًا. كانت قد رحلت. غادرت أخيرًا إلى عالَمها الخاص.

أذهلَ اختفاؤها رجال الشرطة المُطبِقين عليَّ، لكنه لم يكن إلا تأثيرًا لحظيًّا. فسرعان ما انطلقَ شعاعُ ليزر آخر، مخترقًا صدري. وشقَّ شعاعٌ ثالث بطني. وقطعَ رابعٌ نصف فكِّي.

نزَفتُ من الجراح، وتدحرجتُ ووقعتُ في هُوَّة.

عندما استعدتُ رشدي، شعرتُ ببشرة ناعمة تحت جسدي، وبضغطِ شيءٍ ثقيل ومشدود على رأسي.

كنت مستلقيًا في حيرة بلا حراك. لا أشعر بأي ألم، أو بأي تدفُّق حارق من الدم من جراحي العديدة. وبينما كنت قبل لحظة منكمشًا أمام اعتداءٍ وحشي من قوى الاقتران المنعدمة الرنين، لم يكن هناك الآن شيءٌ سوى الصمت الباعث على السكينة.

ثم أدركتُ أنني لم أكن أشعر بأي ألم؛ لأنَّ جسمي لم يكن فيه أيُّ جروح!

فتحتُ عينَيَّ في ذهول، ووجدتُني على الفور وسط تجهيزات غرفة غريبة تمتدُّ في كل مكان حولي.

على الرغم من أنني لم أرَ هذه الغرفة من قبل، استطعتُ أن أميِّزَ حقيقة المعدات المُحاكاة إلكترونيًّا التي ملأت كلَّ المساحات المتوفرة تقريبًا.

نظرتُ إلى الأسفل، ورأيتُ أنني كنت مستلقيًا على أريكة شديدة الشبه بالتي استخدمتُها من قبل أثناء الاقتران مع وحدات رد الفعل في محاكي فولر. رفعتُ يدي وخلعتُ خوذة التقمُّص، ثم جلستُ أحدِّقُ فيها غير مستوعِب.

كانت هناك أريكة أخرى بجواري. كان سطحُها الجلدي لا يزال يحمل آثارَ تعرُّجاتٍ من شخصٍ قد استلقى عليها لفترةٍ طويلة، على ما يبدو لي من عُمق التعرجات. وكانَت على الأرض بجواري بقايا ممزَّقة لخوذةٍ أخرى، كان من الواضح أنها سقطَت أو طُرحَت جانبًا.

«دوج!»

جَفَلتُ من مفاجأة سماع صوت جينكس.

همسَت باستماتة: «ابقَ مستلقيًا! لا تتحرك! أَعِد الخوذة على رأسك.»

كانت تقفُ بعيدًا عن يساري، أمام لوحة تحكم كبيرة. بدأت على عجلٍ في ضغط المفاتيح وتدوير الأقراص.

واستجابةً للإلحاح في صوتها، رجعتُ للاستلقاء على الأريكة وغُصتُ في حيرتي.

سمعتُ شخصًا دخل الغرفة. ثم سألَ بصوتٍ جاد:

«هل أنتِ بصدد إلغاء البرمجة؟»

قالت جينكس: «لا. لسنا مضطرين إلى ذلك. لقد وجدَ هُول طريقة للحفاظ على كلِّ شيءٍ. إننا نعطِّل العمليات فحسب، حتى نتمكَّن من برمجة بعضِ التعديلات الأساسية.»

صاحَ الرجل: «هذا جيد! سيُسَرُّ المجلسُ لسماع ذلك.»

ثم اقترب مني، وسألني: «وماذا عن هُول؟»

«إنه يأخذ قسطًا من الراحة. كانت الجلسة الأخيرة مُتعِبة للغاية.»

«أخبريه أنني ما زلتُ أرى أنه يجب أن يأخذ تلك الإجازة قبل أن يُنشِّط المحاكي مرة أخرى.»

ثم سمعتُ وَقْعَ أقدام الرجل مغادِرًا.

وأصبحتُ فجأة أفكِّر في ذلك اليوم الذي اقتحمَ فيه فيل أشتون عليَّ مكتبي أمام تشاك ويتني. فمثْل أشتون، تمكَّنتُ بطريقةٍ ما من عبور حاجز المحاكاة الإلكترونية بين العالَمين! ولكن كيف!

انغلقَ البابُ، ونظرتُ لأعلى لأرى جينكس واقفةً أمامي.

انبسطتْ أساريرُ وجهها في ابتسامةٍ عريضة وهي تجثو على ركبتَيها وتنزع خوذتي.

«دوج! أنت هنا بالأعلى الآن!»

حدَّقتُ إليها بشدة فحسب.

استطردتْ: «ألا ترى؟ عندما سألتُكَ إن كان قد بدأ التواصل معك، كان ذلك كي أتمكَّن من تحديد وقت عودتي!»

قلتُ مُشوَّشًا: «لقد غادرتِ. وأتيتِ إلى هنا. كنتِ تعلمين أنكِ ستجدينه وقد اقترنَ معي. وقد زِدتِ الدائرة التي كان يستخدمها إلى ذروة جُهدِها فجأة!»

أومأتْ برأسها. وقالت: «كان لا بد من إجراء الأمر بتلك الطريقة يا عزيزي. لقد كان بصدد تدمير عالَمٍ بأَسره، مع أنه كان في مقدوره أن يُنقذه.»

«ولكن لماذا لم تُخبريني بما كنتِ ستفعلينه؟»

«كيف؟ لو كنتُ أخبرتُكَ، كان سيعرف هو أيضًا.»

نهضتُ وكنت ما زلتُ مذهولًا. وتحسَّستُ صدري، وبطني. اختفت الجراحُ تمامًا على نحو لا يُصدَّق تقريبًا. واستغرقتُ لحظة لاستيعاب أبعاد الأمر. وبتبديل مكاني مع هُول الآخر، يكون قد استحوذَ على جسدٍ جريح فانٍ في الرمق الأخير من حياته.

أثناء تخبُّطي في أرجاء الغرفة، مررتُ أمام سطحٍ معدني لامع لأحد أجهزة التعديل، ورأيتُ انعكاسَ صورتي. كل قَسَمةٍ من قسماتِ وجهي، كانت أنا، كما اعتدتُ أن أكون. لم تبالِغ جينكس عندما قالت إنَّ السمات الجسدية لهُول المتحكِّم الأعلى وهُول التناظري متطابقة تمامًا.

حدَّقتُ عبر النافذة في مشهد الشارع المألوف تمامًا بالأسفل، حيث الأرصفة المتحركة، والسيارات الطائرة التي تهبط على طول الحارات المرورية، ومناطق الهبوط، وأشخاصٌ يرتدون ملابسَ كالتي كانت ترتديها وحداتُ رد الفِعل في عالَمي. ولكن لِم يُفترَض أن يكون أيُّ شيءٍ مختلفًا؟ كان ينبغي أن تكون مدينتي التناظرية انعكاسًا تامًّا لهذا العالَم، إنْ كانت ستحقِّق الغرض المرجو منها، أليس كذلك؟

بإلقاء نظرةٍ فاحصة، رأيتُ أنه كان ثمة فَرق ملموس. فهناك عددٌ ليس بالقليل من الناس يدخِّنون السجائر بلامبالاة. لم يكن لديهم التعديل رقم ٣٣ هنا بالأعلى. وكان من الواضح أنَّ اختبارَ جدوى حظر التبغ كان إحدى وظائف المحاكاة الإلكترونية لعالَمي الزائف.

استدرتُ إلى جينكس فجأة. وقلتُ: «ولكن هل يمكننا أن نُفلِت بهذه الفعلة؟»

ضحكَت. «لِم لا؟ أنت دوجلاس هُول. كان يرتِّب ليأخذ إجازة شهرَين. مع تعطيل المحاكي عن العمل، سأتمكَّن من أخذ إجازةٍ أنا أيضًا. حسنًا، فلنأخذها معًا.»

تابعتْ بحماس: «سأعرِّفُك على كل شيءٍ؛ سأُريكَ صورًا للعالَمَين، وأخبركَ بحقائق عالَمنا وسماته، وبخلفيتك الشخصية وسلوكياتك، وبتاريخنا، وسياستنا، وعاداتنا. ستعرف دور هُول تمام المعرفة بعد أسابيع قليلة.»

كان من الممكن للأمر أن ينجح! كان بإمكاني أن أرى ذلك بسهولة شديدة الآن. وسألتُها: «ماذا سيحدث ... للعالَم هناك بالأسفل؟»

ابتسمتْ. وقالت: «يمكننا إصلاحه ليعودَ جديدًا. أنت تعلم الإصلاحات والتعديلات اللازمة. قبل أن أُلغي تنشيط المحاكي مباشرةً، جعلتُ هيث يُنشِّط حاجزَ تنافُر شركة ريأكشنز. عندما تُعيد تشغيلَ المحاكي، يمكنك البدءُ من تلك اللحظة.»

قلتُ في حماسٍ فجأة: «ستَهبُّ عاصفة بَرَد عنيفة لتفريق الغوغاء قبل أن يتمكَّنوا من اختراق الحاجز. ثم ستكون لدينا قائمةٌ مطوَّلة من التطويرات، وعمليات إعادة التوجيه التي سيكون علينا برمجتها.»

قادتني إلى المكتب. وقالت: «يمكننا أن نبدأ الآن. سنضع قائمة بالتعليمات ونتركها مع فريق العمل. يمكنهم الاعتناء بالمهام التحضيرية بينما نحن في إجازتنا.»

جلستُ في كرسيِّ هُول، وعندها فقط بدأتُ أدركُ أنني قد بُعِثت حقًّا من الوَهْم إلى الحقيقة.

لقد كان التحوُّل مُزلزِلًا، ولكن سرعان ما سأعتادُ الأمر. وفي نهاية المطاف، سيبدو كما لو أنني كنت أنتمي دومًا إلى هذا الوجود المادي.

طَبَعتْ جينكس قُبلةً رقيقة على وجنتي. وقالت: «سيروق لك الحال هنا بالأعلى يا دوج، وإن كان لا يتمتع بالأجواء الغريبة نفسها لعالَمك. كما تعلم، فإنَّ هُول كانت لديه نزعةٌ حالِمة عندما برمَجَ جهازَ المحاكاة. أعتقدُ أنه قد أطلقَ لخياله العِنان في اختياره لأسماء العناصر في الخلفية، مثل البحر الأبيض المتوسط، والريفيرا، والمحيط الهادي، وجبال الهيمالايا.»

هَزَّت كتفَيها كما لو كانت تعتذر عن الافتقار إلى النسبية في عالَم الواقع المطلَق الذي هي منه. ثم أردفَت: «سترى أيضًا أنَّ حجم قمرنا هو رُبع حجم قمركم. ولكني متأكِّدة أنك ستعتادُ على كلِّ الاختلافات.»

وضعتُ يدي حول خَصرها وقرَّبتُها مني. كنت أنا أيضًا واثقًا من أنني سأعتادُ الأمر.

هنـــداوي